المكتبة الصوفية

الكُلّيَّاتُ الأَحْمَدِيَّة

المؤلّفة من كلمات الإمام الرّفاعي غوث البريّة

جمعهُ وألّفه حضرة صاحِبْ السّماحة

السّيد محمد أبو الهدى أفندي الصّياد الرّفاعي الحسيني

الناشر

مكتبة الثقافة الدينية

المكتبة الصوفية

الكُلِّيَّاتُ الأَحْمَدِيَّة

المكتبة الصوفية

الكُلّيات الأحمديّة

المؤلفة من كلمات الإمام الرّفاعى غوث البريّة

جمعهُ وألّفه حضرة صاحِب السّماحة

السيّد محمد أبو الهدى أفندى الصيّاد الرّفاعى الحسينى

الناشر

مكتبة الثقافة الدينية

الطبعة الأولى
١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م

الناشر
مكتبة الثقافة الدينية

٥٢٦ شارع بورسعيد / القاهرة ت : ٥٩٢٢٦٢٠ - ٥٩٢٨٤١١ فاكس : ٥٩٣٦٢٧٧
ص.ب ٢١ توزيع الظاهر - القاهرة
E-mail : alsakafa-alDinaya@hotmail.com

رقم الايداع	٢٠٠٤/١١٣٢٢
I.S.B.N الترقيم الدولي	977- 341 - 155 - 9

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤلف

الحمد لله رب العالمين الذى امتن على عباده الموفقين وراث النبى الأمين بالحكمة وفصل الخطاب، وأفاض على ألسنهم فتح كنوز الحكم الربانية وعلى همم قلوبهم فتح أبواب الأسباب، والصلاة والسلام على عبد الله ورسوله النبى الصادق الأوّاب، سيد الدعاة إلى الله، وسلطان أولى الألباب، وعلى آله أولى المجد الشامخ والشرف الباذخ، وعلى أصحابه ذوى العزم المتين والقدم الراسخ، وعلى التابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فيقول العبد المفتقر إلى رحمة الله وكرمه فى جميع الدواعى محمد أبو الهدى ابن السيد حسن وادى المكنى بأبى البركات الصيادى الرفاعى، غفر الله له ولوالديه وللمسلمين ما شان، وأصلح له ولهم فى الدارين الحال والشان، آمين:

قد سألنى بعض الإخوان من أولى الذوق والعرفان أن أجمع شيئًا من كلمات سيدنا ومولانا الغوث الأكبر والقمر الأزهر شمس الحقيقة، حسام المعرفة والطريقة، سلطان الأولياء، وارث علوم الأنبياء، لسان المتكلمين وة كبار المتمكنين، علم الله المنثور سيف الغيب المشهور، هزبر الحضرة المنصور، تاج أهل المواجيد العرفانية، شيخ مشائخ الأمة المحمدية، لحسيب الفاطمى والنسيب الهاشمى، صباح الولاية المنير أبى العلمين،

ملاذنا وملجئنا، حضرة السيد أحمد محيى الدين الرفاعى الحسنى الكبير، أعز الله قدره ومقامه، ونشر فى حضرات ملكه بالتأبيد والعناية أعلامه، وحشرنا معه تحت لواء جده سيد سادات المرسلين، عليهم جميعًا أفضل صلوات رب العالمين، فأجبته لذلك راجيًا من الله حسن التوفيق، إنه الهادى إلى سواء الطريق، وقمت لجمع هذا الكتاب المستطاب المشتمل على كلام سيد الإقطاب وفرحة الأحباب إمامنا وأستاذنا المشار إليه، رضوان الله تعالى وتحياته عليه، فجاء كتابا تذهل له الألباب وتخضع لسلطان مضامينه الرقاب، يفوح منه عبر النفس النبوى وشذا العطر العلوى، ينتفع به العالم والجاهل ويغترف من سيال بحره الملى والسائل، وتتعلق به ألباب أولى القلوب، تعلق المحب بالمحبوب، كيف لا وهو منتظم من درر كلمات حكيم الأولياء وولى الحكماء ودرة قلادة الأفراد من الأصفياء.

وقد سميته «الكليات الإحمدية المؤلفة من كلمات الإمام الرفاعى غوث البرية» وها أنا أصدر كلماته الشريفة بأربعين سندًا وردت عن جنابه العالى فى أربعين مجلسًا يروى بهن أربعين حديثًا نبويًا ونصًا جليلا مصطفويًا، لتكون تلك الأحاديث الشريفة تاجا للكتاب ومفتاح خير، إن شاء الله لصالح الأبواب.

الحديث الأول: قال مولانا الإمام الرفاعي رضي الله عنه: حدثنا الشيخ الإمام المقرى القاضي الثقة على أبو الفضل الواسطى بمدرسته في واسط، قال: أنبأنا أبو على الحسن بن على بن المهذب قال: أنبأنا أبو بكر أحمد بن جعفر القطيعى قال: أنبأنا عبد الله بن أحمد بن حنبل قال: حدثنى أبى قال: حدثنا قتيبة بن سعيد بن الليث بن سعد عن ابن الهادى عن محمد بن إبرهيم بن الحارث عن عامر بن سعد عن العباس بن عبد المطلب أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «ذاق طعم الإيمان من رَضِيَ بالله ربًا وبالإسلام دِينًا وبِمُحَمَّدٍ ﷺ نَبِيًا».

* * *

الحديث الثاني: قال مولانا الإمام الرفاعي رضي الله عنه: أخبرنا شيخنا الإمام المقرى القاضي أبو الفضل على الواسطى بمدرسته بواسط قال: أنبأنا الشريف النقيب أبو الفوارس طراد بن محمد بن على الزينى ـ قراءة عليه، ونحن نسمع ـ قال: أنبأنا أبو الحسين على بن محمد قال: أنبأنا أبو على الحسين بن صفوان قال: أنبأنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبى الدنيا قال: أنبأنا الهيثم بن خارجة قال: أنبأنا ثقبة بن الوليد عن أبى بكر بن أبى مريم قال: حدثنى حمزة بن جندب عن أبى يعلى شداد بن أوس قال: قال رسول الله ﷺ:

«الكيِّسُ من دانَ نفسَهُ وعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الموْت، والعاجز من أتبع نفسه هواه وتمنّى على الله».

* * *

الحديث الثالث: قال مولانا الإمام الرفاعى ﷺ أخبرنا العبد الصالح الثقة الشيخ أبو محمد أحمد بن عبد الله بن الحسين بن أحمد بن جعفر الآمدى الواسطى قال: أخبرنا أبو الحسن على بن محمد بن على بن كاتب الوقف بواسط قال: أنبأنا أبو الحسن محمد بن على الرؤاسى إملاء بجامع واسط قال: أنبأنا أبو القاسم عبيد الله بن تميم قال: أنبأنا أحمد بن إبراهيم الإمام قال: أنبأنا على بن حرب بن زيد بن الحباب قال أنبأنا على بن مسعدة الباهلى قال: أنبأنا قتادة أنه سمع أنس بن مالك يقول: قال رسول الله ﷺ:

«الإسلامُ علانيَةٌ والإيمان فى القلب والتقوى ههنا» يقولها ثلاثًا ويشير بيده إلى صدره ﷺ.

* * *

الحديث الرابع: قال مولانا الإمام الرفاعى ﷺ: أخبرنا شيخنا الولى التقى الثقة المقرى القاضى أبو الفضل على الواسطى القرشى بمدرسته فى واسط قال: أنبأنا أبو على الحسن بن أحمد بن الحسن الحداد قال: أنبأنا على أبو طاهر الحسن بن الوزير أبى القاسم على بن صدقة بن على قال: أنبأنا أبو المطهر سعد بن عبد الله الأصبهانى قال: أنبأنا أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد الحافظ قال: أنبأنا أبو محمد عبد الله بن جعفر بن فارس قال: أنبأنا أبو مسعود أحمد بن الفرات قال: أنبأنا أبو داود الحضرى قال: أنبأنا ابن الربيع عن نعيم بن حنظلة عن عمار بن ياسر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

«ذو الوجهينِ فى الدنيا دو لسانين فى النار».

الحديث الخامس: قال مولانا الإمام الرفاعى ﷺ: اخبرنا شيخنا الصالح الثقة العارف بالله القاضى أبو الفضل على الواسطى ﷺ قال: أنبأنا القاضى أبو بكر محمد بن عبد الباقى بن محمد البزار قال: أنبأنا أبو إسحاق إبراهيم بن عمر بن أحمد البرمكى قال: أنبأنا أبو محمد عبد الله بن محمد البزار قال: أنبأنا أبو مسلم إبراهيم بن عبد الله بن مسلم البصرى قال: أنبأنا أبو عبد الله الأنصارى قال: حدثنا حميد عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ:

«انصر أخاكَ ظالمًا كانَ أو مظلومًا.

قال: أنصرهُ مظلومًا فكيف أنصرهُ ظالِمًا؟ قال:

«تمنعه من الظلم، فذلك نصرك إياه».

* * *

الحديث السادس: قال مولانا الإمام الرفاعى ﷺ: حدثنا الشريف محمد بن عبد السميع العباسى الهاشمى الواسطى قال: أخبرنا الحاجب أبو شجاع محمد بن الحسين قال: أنبأنا النقيب أبو الفوارس طراد بن محمد بن على الزينى الهاشمى قال: أنبأنا أبو محمد عبد الله بن يحيى بن عبد الجبار السكرى قال: أنبأنا أبو على إسماعيل بن محمد الصغار قال: أنبأنا أبو بكر أحمد بن منصور الرمادى قال: أنبأنا عبد الرزاق بن همام قال: أنبأنا معمر عن الزهرى عن رجلٍ سمّاه عن أبى هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

«يستجابُ لأحدكم ما لم يعجل، فيقول: دَعَوْتُ فلم يستجب لى».

* * *

الحديث السابع: قال مولانا الإمام الرفاعى ﷺ: حدثنا شيخنا

المقرئ الإمام الصالح القاضي أبو الفضل على الواسطى القرشى رضي الله عنه قال: قرأت أنا وسديد الدولة محمد بن عبد الكريم بن إبراهيم بن عبد الكريم بن عبد القاهر بن زيد بن رفاعة الشيبانى - ويعرف بابن الأنبارى - على أبى عبد الله بن أحمد بن عمر الحافظ قلنا: أنبأك أبو الحسين أحمد بن محمد فاقر به قال: أنبأنا أبو الحسين محمد بن عبد الله الدقاق عن يحيى بن محمد عن إسحاق بن شاهين عن خالد بن عبد الله عن سهل بن أبى صالح عن أبيه عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

«إن الله تعالى عز وجل يرضى لكم ثلاثا ويكره لكم ثلاثا: يرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم، ويكره لكم قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال».

* * *

الحديث الثامن: قال مولانا الإمام الرفاعى رضي الله عنه: أخبرنا الشيخ الصالح الثقة أبو الفتح محمد بن عبد الباقى بن أحمد بن سلمان قال: أنبأنا أبو عبد الله مالك بن أحمد بن على المالكى قال: أنبأنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن موسى القرشى قال: أنبأنا أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الصمد الهاشمى قال: أنبأنا أبو مصعب أحمد بن أبى بكر الزهرى عن مالك عن ابن شهاب الزهرى عن سالم عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر على رجل وهو يعظ أخاه فى الحياء، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

«الحياء مِنَ الإيمان».

* * *

الحديث التاسع: قال مولانا الإمام الرفاعى ﷺ: أخبرنا العبد الصالح الثقة أبو غالب عبد الله بن منصور بجامع واسط قال: أخبرنا أبو عبد الله محمد بن على بن الحسين السلمى قال: أنبأنا أبو الحسن بن أبى الفتح الضرير العثمانى قال: أنبأنا عمر بن محمد المقرئ قال: أنبأنا عبد الرحمن ابن أحمد بن الحجاج قال: أنبأنا أحمد بن محمد بن أبى الرجاء قال: أنبأنا وكيع بن الجراح قال حدثنا الأعمش عن المعرور بن سويد عن أبى ذرٍّ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

«يؤتى بالرجل يوم القيامة فيقال: اعرضوا عليه صغار ذنوبه ـ ويخفى عنه كبارها ـ فيقال له: عَملتَ كذا وكذا، وعملت يوم كذا كذا وكذا، قال: وهو مقر ليس ينكر، قال: وهو مشفق من الكبار أن يجاء بها، فإذا أراد الله به خيراً قال: أعطوه مكان كل سيئةٍ حسنة، فيقول حين طمع: إن لى ذنوبًا ما رأيتها ههنا».

قال فلقد رأيت رسول الله ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه ثم تلى: ﴿فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾.

* * *

الحديث العاشر: قال مولانا الإمام الرفاعى ﷺ: أخبرنا الشيخ أبو طالب محمد بن على عن أبى القاسم على بن أحمد الرزاز قال: أنبأنا أبو الحسين محمد بن مخلد فى سنة ثمان عشرة وأربعمائة قال: أنبأنا أبو على إسماعيل بن محمد الصغار قال: أنبأنا الحسن بن عرفة العبدرى قال: أنبأنا أبو النضر هاشم بن القاسم، عن سليمان بن المغيرة، عن ثابت البنانى، عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

«آتى يوم القيامة باب الجنة فأستفتح فيقول الخازن: من أنت؟ فأقول: محمد، فيقول: بك أُمرتُ أن لا أفتح لأحدٍ قبلك».

* * *

الحديث الحادي عشر: قال مولانا الإمام الرفاعي رضي الله عنه: أخبرنا شيخنا الإمام المقرئ الجليل الشيخ أبو الفضل على الواسطى، قدس الله روحه، قال: أنبأنا أبو القاسم عبد الملك بن محمد الواعظ قال: أنبأنا أبو حفص عمر بن محمد بن عبد الرحمن الجمحى قال: أنبأنا على بن عبد العزيز، عن ابن المبارك، عن حرملة بن عمران، عن يزيد بن أبى جندب، عن أبى الخير، عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

«المرءُ فى ظلِّ صَدَقتهِ حَتَّى يقضى بين الناس ـ أو قال: يحكم بين الناس».

* * *

الحديث الثانى عشر: قال مولانا الإمام الرفاعي رضي الله عنه: أخبرنا الشيخ الجليل المقرئ العارف بالله خالى أبو بكر الأنصارى الواسطى قال: أنبأنا أبو عبد الله محمد بن أبى نصر الحميدى قال: أنبأنا أبو القاسم منصور بن النعمى قال: أنبأنا أبو نصر عبد الله بن سعيد بن حاتم الرائلى قال: أنبأنا أبو يعلى حمزة بن عبد العزيز المهلبى قال: أنبأنا أبو حامد أحمد بن محمد بن بلال البزاز قال: أنبأنا عبد الرحمن بن بشير بن الحكم قال: أنبأنا سفيان بن عيينة، عن عمر بن دينار، عن أبى قابوس، عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه أن رسول الله قال:

«الرَّاحمونَ يرحمهم الرحمن، ارحموا مَنْ فى الأَرْضِ يرحمكم مَنْ فى السماء».

الحديث الثالث عشر: قال مولانا الإمام الرفاعى رضي الله عنه: أخبرنا الشيخ الجليل الولى الأصيل، فرد الوقت، أبو المكارم الباز الأشهب خالى وسيدى منصور الربانى الأنصارى البطايحى رضي الله عنه برواقه فى نهر دقلا قال: حدثنا أبو طاهر أحمد بن الحسين بن أحمد الباقلانى قال: أنبأنا أبو عمرو عثمان بن محمد العلاف قال: أنبأنا أبو بكر أحمد بن سلمان إملاء قال: قرأ علىَّ يحيى بن جعفر بن أبى طالب وأنا أسمع قال: حدثنا محمد بن عبيد بن الأعمش، عن شقيق عن أبى موسى رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله الرجل يحب القوم ولا يلحق بهم قال:

«المرءُ مَعَ من أحب».

* * *

الحديث الرابع عشر: قال مولانا الإمام الرفاعى رضي الله عنه: أخبرنا شيخنا الشيخ أبو الفضل على المقرى القرشى الواسطى، رحمه الله تعالى رحمة واسعة قال: أنبأنا أبو الحسن عبد الرحمن بن محمد بن المظفر الداوودى قال: أنبأنا أبو محمد عبد الله بن أحمد بن حمويه السرخسى قال: أنبأنا أبو عبد الله محمد بن يوسف الفربرى قال أنبأنا أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخارى قال: حدثنا يحيى بن مزرعة قال: حدثنا مالك، عن يحيى بن سعيد، عن محمد بن إبراهيم بن الحارث، عن علقمة بن وقاص، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال النبى صلى الله عليه وسلم:

«العمل بالنية وإنما لامرئٍ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو إلى امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه».

ومن هذا الطريق روى هذا الحديث الشريف سيدنا عمر الفاروق الجليل رضي الله عنه بنص: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:

«إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله...» إلى آخر الحديث.

* * *

الحديث الخامس عشر: قال مولانا الإمام الرفاعى رضي الله عنه: أخبرنا القاضى الإمام المقرئ الشيخ على أبو الفضل القرشى الواسطى بداره بواسط قال: أنبأنا أبو إسماعيل عبد الله بن محمد الأنصارى قال: أنبأنا أبو يعقوب قال: أنبأنا زاهد بن أحمد قال: أنبأنا محمد بن إبراهيم بن نيروز قال: حدثنا المطلب بن شعيب بن عبد الله بن صالح قال: حدثنا الهقل بن زياد، عن بكر بن خنيس قال: حدثنى عاصم بن عبد الله النخعى عن أبى هارون العبدى قال أتينا أبا سعيد الخدرى رضي الله عنه فسألناه عن حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: مرحبا بوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال:

«إنه سيأتيكم بعدى أناس من الآفاق يسألونكم عن حديثى وعن السنة فاستوصوا بهم خيراً».

فكان إذا رآنا قال: مرحبًا بوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم .

* * *

الحديث السادس عشر: قال مولانا الإمام الرفاعى رضي الله عنه: أخبرنا سيدنا فرد الوقت أبو المكارم الباز الأشهب الشيخ منصور الربانى البطايحى الأنصارى رضي الله عنه برواقه فى بلدة نهر دقلا من واسط قال: أنبأنا أبو عبد الله مالك بن أحمد بن على الفرا قراءة عليه قال: أنبأنا أبو الحسن أحمد بن

محمد بن موسى بن الصلت قال: حدثنا أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الصمد الهاشمي قال حدثنا عبيد بن أسباط عن أبي بن سفيان، عن عبد الملك بن عمير، عن ربعي، عن حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :

«اقتدوا باللذينِ من بعدي: أبي بكرٍ وعمر واهتدوا بهدى عمّار، وتمسكوا بعهد ابن أم عبد».

* * *

الحديث السابع عشر: قال مولانا الإمام الرفاعي رضي الله عنه : أخبرنا شيخنا القاضي العدل الثقة المقرئ الإمام الشيخ علي أبو الفضل القرشي الواسطي رضي الله عنه قال: أنبأنا أبو طالب محمد بن علي بن الفتح العشاري قال: أنبأنا أبرو طاهر محمد بن عبد الرحمن المخلص قال: أنبأنا أبو محمد يحيى بن محمد ابن صاعد قال: أنبأنا مالك بن الخليل أبو عسان قال: أنبأنا ابن عدي عن أشعث عن الحسن عن عمران بن حصين أن رسول الله ﷺ قال:

«يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفًا بغير حساب، هم الذين لا يكتوون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون».

* * *

الحديث الثامن عشر: قال مولانا الإمام الرفاعي رضي الله عنه أخبرنا ابن العم الولي الصالح السيد سيف الدين عثمان قال: حدثني أبوك السيد علي بن يحيى الرفاعي ـ صاحب المشهد المنور ببغداد ـ قال: حدثني ابن عمي السيد حسن بن عسلة قال: حدثني النقيب الجليل السيد يحيى بن ثابت قال: حدثني أبي السيد ثابت، عن أبيه السيد حازم، عن أبيه السيد علي الحازم ـ أبي الفوارس، عن أبيه السيد علي أبي الفضائل، عن أبيه السيد رفاعة الحسن

المكى ـ نزيل أشبيلية، عن أبيه السيد أبى القاسم محمد البغدادى ـ نزيل مكة، عن أبيه السيد الحسن القاسم أبى موسى الرئيس، عن أبيه السيد الحسين عبد الرحمن الرضى المحدث القطيعى، عن أبيه السيد أحمد الأكبر، عن أبيه السيد موسى، عن أبيه الأمير الكبير السيد إبراهيم المرتضى، عن أخيه الإمام الأعظم قبلة أهل الباطن على الرضا ـ صاحب طوس، عن أبيه الإمام الشهيد موسى الكاظم، عن أبيه الإمام السعيد جعفر الصادق، عن أبيه الإمام محمد الباقر، عن أبيه الإمام زين العابدين على السجاد، عن أبيه الإمام المظلوم الشهيد السعيد الحسين ـ صاحب كربلاء، عن أبيه أمير المؤمنين يعسوب نحل الموحدين الإمام على، كرم الله وجهه، عن ابن عمنه سيد المخلوقين، حبيب رب العالمين، نبينا ورسولنا محمد ﷺ أنه قال:

«أدبنى ربى فأحسن تأديبى».

* * *

الحديث التاسع عشر: قال مولانا الإمام الرفاعى رضي الله عنه: أخبرنا الفقيه الصالح بندار بن بختيار الواسطى قال: أنبأنا أبو جعفر محمد بن أحمد المهدى الهاشمى قال: أنبأنا أبو عثمان إسماعيل بن محمد قال: أنبأنا أبو بكر محمد بن عبد الله الضبى قال: أنبأنا سليمان بن أحمد قال: أنبأنا إدريس بن جعفر العطار قال: أنبأنا يزيد بن هارون بن محمد بن عمرو بن علقمة عن أبى سلمة بن عبد الرحمن بن عبد الله بن عمر قال: دخل علىَّ رسول الله ﷺ بيتى فقال:

«يا عبد الله بن عمر ألم أخبر أنك تكلف قيام الليل وصيام النهار».

قلت: إنى أفعل، فقال:

«إن من حسبك أن تصوم من كل شهرٍ ثلاثة أيام، الحسنة بعشر أمثالها، فكأنك قد صمت الدهر كله».

* * *

الحديث العشرون: قال مولانا الإمام الرفاعى ﵁: أخبرنا الشيخ الحجة الثقة العارف أبو بكر بن يحيى البخارى الأنصارى الواسطى قال: أنبأنا أبو القاسم طلحة الكتانى قال: أنبأنا أبو الحسين أحمد بن عثمان الآدمى قال: حدثنا أحمد بن ماهان السمسار قال: أنبأنا عبد الرحمن بن مهدى، عن شعبة، عن النعمان بن سالم قال: سمعت عمر بن أوس يحدث، عن عنبثة بن أبى سفيان، عن أم حبيبة ﵂ قالت: قال رسول الله ﷺ:

«من صلى اثنتى عشرة ركعة تطوعًا كل يوم غير الفريضة بَنَى الله له بيتًا فى الجنة».

* * *

الحديث الواحد والعشرون: قال مولانا الإمام الرفاعى ﵁: أخبرنا الشيخ العارف بالله تعالى سيدى عبد الملك بنت الحسن بن ميمون بن الحسين الحربونى الواسطى ـ قدس الله سره ـ قال: أنبأنا الشيخ الثقة عبد الحق بن عبد الخالق بن أحمد.

أقول: وبهذا السند عن عبد الحق بن عبد الخالق بن أحمد ـ بزيادة لفظة ابن يوسف بعد أحمد ـ أجازنا كتابة مولانا الخليفة المفترض الطاعة فى الأرض القائم لله بإحياء السنة والفرض أبو العباس أحمد الناصر لدين الله العباسى الهاشمى، أعز الله به كلمة الدين والمسلمين وأيد باقتداره شريعة سيد المرسلين، عليه صلوات رب العالمين، وعبد الحق بن عبد الخالق بن

أحمد بن يوسف المتقدم ذكره قال: أنبأنا أبو الحسن محمد بن مرزوق بن عبد الرزاق قراءة قال: أنبأنا على بن أحمد بن على قال: أنبأنا عمى الحسن بن على، قال محمد بن مرزوق: وقرأت على أبى نصر محمد بن سلمان أخبركم ذو النون بن محمد بن عامر فأقر به قال: أنبأنا أبو أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد قال: حدثنا محمد بن هارون قال: أنبأنا محمد بن العباس التنسى قال: أنبأنا عمرو بن أبى سلمة قال: حدثنا صدقة، عن الأصبغ، عن ابن حكيم، عن أبيه، عن جده، أن النبى ﷺ قال:

«صنائع المعروف تقى مصارع السوء، وإن صدقة السر تطفئ غضب الرب، وإن صلة الرحم تزيد العمر وتنفى الفقر».

* * *

الحديث الثانى والعشرون: قال مولانا الإمام الرفاعى رضي الله عنه: أخبرنا الشيخ الثقة العارف بالله تعالى عبد الملك بن الحسين الحربونى - قدس الله روحه - قال: أخبرنا أبو مطيع محمد بن عبد الواحد الأديب قال: أنبأنا أبو بكر عبد الله بن أحمد بن العباس الباطرقانى قال: أنبأنا سليم بن أحمد الطبرانى قال حدثنا إسحاق بن إبراهيم الديرى قال: أنبأنا عبد الرزاق قال: أنبأنا معمر عن الزهرى عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تجسسوا، وكونوا إخوانًا كما أمركم الله تعالى».

* * *

الحديث الثالث والعشرون: قال مولانا الإمام الرفاعى رضي الله عنه: أخبرنا شيخنا الشيخ الكبير لعارف بالله تعالى القاضى المقرئ أبو الفضل على

الواسطى رضي الله عنه قال: أنبأنا أبو الحسن عاصم بن الحسن بن المقرئ قال: حدثنا أبو عمر عبد الواحد بن محمد قال: أنبأنا مهدى بن إسماعيل بن محمد بن الصغار قال: أنبأنا محمد بن عبيد الله بن المناوى قال: أنبأنا شبابة ـ يعنى ابن سوار ـ قال: أخبرنا شعبة بن علقمة بن مزيد، عن سعيد بن عبيدة، عن أبى عبد الرحمن السلمى، عن عثمان بن عفان رضي الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال:

«خيركم من تعلم القرآن وعلمه».

* * *

الحديث الرابع والعشرون: قال مولانا الإمام الرفاعى رضي الله عنه: أخبرنا شيخنا الإمام فرد الوقت، الباز الأشهب، خالى أبو المكارم منصور البطائحى الربانى رضي الله عنه قال: أنبأنا القاضى أبو الحسين محمد بن على بن المهتدى قال: أنبأنا أبو الحسن على بن هبة الله بن عبد السلام قال: أنبأنا أبو الحسين أحمد بن محمد قال: أنبأنا أبو الحسن على بن محمد الحربى قال: أنبأنا أبو عبد الله أحمد بن على بن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

«أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه، وأحبونى لحب الله، وأحبوا أهل بيتى لحبى».

* * *

الحديث الخامس والعشرون: قال مولانا الإمام الرفاعى رضي الله عنه: أخبرنا شيخنا القاضى العدل الثقة المقرئ الكبير الشيخ أبو الفضل على الواسطى، رحمه الله رحمة واسعة، قال: أنبأنا أبو القاسم هبة الله بن محمد

الكاتب قال: أخبرنا أبو طالب محمد بن محمد الغيلان قال: أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله الشافعى قال: أخبرنا محمد بن غالب قال: حدثنى عبد الصمد بن ورقاء عن عبد الله بن دينار، عن سعيد، عن أبى هريرة رضي الله عنه، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال:

«من تصدق بعدل من كسب طيب ولا يطعمه إلا لله تعالى فإن الله يقبلها بيمينه ويربيها لصاحبها كما يربى أحدكم فلوه حتى يكون مثل الجبل».

* * *

الحديث السادس والعشرون: قال مولانا الإمام الرفاعى رضي الله عنه: أخبرنا شيخنا العارف بالله خالى الشيخ أبو بكر بن يحيى البخارى الأنصارى الواسطى رضي الله عنه قال: حدثنى الأستاذ أبو القاسم على بن أحمد البسرى قال: أنبأنا أبو عمر عبد الواحد بن محمد بن مهدى قال: أنبأنا محمد بن مخلد العطار قال: أنبأنا محمد بن على بن خلف قال: أخبرنا عمر بن عبد الغفار عن حسن بن حبى وسفيان الثورى، عن سعد بن سعيد، أخى يحيى بن سعيد، عن عمر بن أيوب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

«من صام رمضان وأتبعه ستا من شوال كان كصيام الدهر».

* * *

الحديث السابع والعشرون: قال مولانا الإمام الرفاعى رضي الله عنه: أخبرنا الشيخ الجليل العارف بالله شيخنا أبو الفضل على الواسطى القرشى ـ يعرف بابن القارى رضي الله عنه قال: أنبأنا أبو الحسن عبد الرحمن بن محمد بن المظفر الداوودى قال: أنبأنا أبو محمد عبد الله بن أحمد بن حمويه السرخسى قال: أنبأنا أبو عبد الله محمد بن يوسف الفربرى قال: أنبأنا أبو عبد الله محمد بن

إسماعيل البخـارى قال: حدثنا بشر بن خالد قال: حدثنا محـمد بن جعفر، عن ضعـبة عن سليـمان، عن أبى وائل، عن عبـد الله، عن النبى ﷺ أنه قال:

«المرء مع من أحبَ».

* * *

الحديث الثامن والعشرون: قال مولانا الإمام الرفاعى ﷺ: أخبرنا شـيخنا القـاضى الثـقة الـمقرئ الجليل الشـيخ أبو الفـضل على الواسطى القرشى، رحمه الله رحمة واسعة، قـال: أخبرنى أبو الحسن عبد الرحمن بن محمد الداوودى قال: أخبرنى عبد الله أحمد السرخسى قال: حدثنى أبو عبد الله محمـد الفربرى قال: حدثنى أبو عبـد الله محمد بن إسماعـيل البخارى قال: حدثنى إسحاق بن إبراهيم قال: أخبـرنا الحسين، عن زائدة، عن عبيد الملك، عن مـصعب بن سـعد، عن أبيـه قال: تعـوذوا بكلمات كـان النبى ﷺ يتعوذ بهن:

«اللهم إنى أعوذ بك من الجبن، وأعـوذ بك من البخل، وأعوذ بك من أن أرد إلى أرذل العمر، وأعوذ بك من فتنة الدنيا وعذاب القبر».

* * *

الحـديث التـاسع والعـشرون: قال مـولانا الإمام الرفـاعى ﷺ: أخـبرنى خـالى وسـيـدى أبو المكارم منصـور الربانى البطائحى الأنصـارى الواسطى ﷺ قال: حـدثنى السيد الشـريف حسن بن عـسلة الرفاعى برواق أبى فى أم عبيدة قال: حدثنى النقيب الـسيد يحيى الرفاعى قال: حدثنى أبى السيد ثابت قال: حدثنى أبى السيد حـازم الرفاعى الأشيلى قال: حدثنى أبى

السيد على الحازم الرفاعى قال: حدثنى أبى على أبو الفضائل قال: حدثنى أبى السيد الكبير رفاعة الحسن المكى الحسينى نزيل أشبيلية قال: حدثنى أبى السيد محمد أبو القاسم، عن أبيه السيد الحسن القاسم، عن أبيه السيد الحسين عبد الرحمن الرضى المحدث القطيعى، عن أبيه السيد أحمد الأكبر، عن أبيه السيد موسى، عن أبيه الأمير السيد إبراهيم المرتضى، عن أخيه الإمام على الرضا، عن أبيه الإمام موسى الكاظم، عن أبيه الإمام جعفر الصادق، عن أبيه الإمام محمد الباقر، عن أبيه الإمام على زين العابدين، عن أبيه الإمام الحسين الشهيد بكربلاء، عن أبيه أمير المؤمنين، على المرتضى، عن ابن عمه سيد المرسلين وأشرف المخلوقين نبينا محمد المصطفى ﷺ أنه قال:

«حدثنى جبريل عليه السلام قال: حدثنى رب العزة سبحانه وتعالى قال: كلمة لا إله إلا الله حصنى، فمن قالها دخل حصنى، ومن دخل حصنى أمن من عذابى».

* * *

الحديث الثلاثون: قال مولانا الإمام الرفاعى رضي الله عنه: أخبرنا الشيخ الثقة العارف بالله تعالى خالى أبو بكر بن يحيى النجارى الأنصارى الواسطى رضي الله عنه قال: أخبرنا أبو غالب محمد بن عبد الواحد القزاز قال: أخبرنا أبو إسحاق إبراهيم بن عمر بن أحمد البرمكى قال أخبرنا إسحاق بن سعيد قال أخبرنا محمد بن هروان قال: أنبأنا أبو آمنة محمد بن إبراهيم قال: أخبرنا محمد بن سابق قال: أخبرنا إبراهيم بن طهمان، عن منصور، عن نافع، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ :

«إذا راح أحدكم إلى الجمعة فليغتسل».

* * *

الحديث الحادى والثلاثون: قال مولانا الإمام الرفاعى ﵁: أخبرنا شيخنا الشيخ الجليل أبو الفضل على القارئ القرشى الواسطى ﵁ قال: أنبأنا أبو الحسن عبد الرحمن بن محمد بن المظفر الداوودى قال: أنبأنا أبو محمد عبد الله بن أحمد السرخسى قال: أنبأنا أبو عبد الله محمد بن يوسف الفربرى قال: أنبأنا أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخارى قال: حدثنا صدقة بن الفضل قال: أخبرنا ابن عيينة قال: حدثنا - زياد هو ابن علاقة - أنه سمع المغيرة يقول: قام النبى ﷺ حتى تورمت قدماه فقيل له: غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال:

«أفلا أكون عبداً شكوراً».

* * *

الحديث الثانى والثلاثون: قال مولانا الإمام الرفاعى ﵁: أخبرنا شيخنا الشيخ الجليل أبو الفضل على الواسطى قال: أنبأنا أبو الحسن عبد الرحمن الداوودى قال: أنبأنا أبو محمد عبد الله السرخسى قال: أنبأنا أبو عبد الله محمد بن يوسف الفربرى قال: أنبأنا أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخارى قال: حدثنا عبد الله بن مسلمة قال: حدثنا عبد العزيز بن أبى سلمة، عن هلال بن أبى هلال، عن عطاء بن يسار عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن هذه الآية التى فى القرآن: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ قال فى التوراة: يا أيها النبى إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً، وحرزاً للأميين، أنت عبدى ورسولى، سميتك المتوكل، ليس بفظ ولا غليظ

ولا سخاب بالأسواق، ولا يدفع السيئة بالسيئة، ولكن يعفو ويصفح، ولن يقبضه حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا: لا إله إلا الله، فيفتح بها أعينًا عميا وآذانًا صما وقلوبًا غلفًا.

ولنا بهذا السند عن البخارى قال: حدثنا خالد بن مخلد قال: حدثنا سليمان قال: حدثنا عبد الله بن دينار، عن أبى صالح، عن أبى هريرة رضي الله عنه، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال:

«الرحم شجنة من الرحمن، فقال الله: من وصلك وصلته، ومن قطعتك قطعته».

* * *

الحديث الثالث والثلاثون: قال مولانا الإمام الرفاعى رضي الله عنه: أخبرنا شيخنا القاضى المقرئ القدوة الشيخ أبو الفضل على الواسطى رضي الله عنه قال أنبأنا أبو على الحسن بن على قال: أنبأنا عمر بن أحمد قال: أنبأنا شاهين قال: أنبأنا عبد الله البغوى قال: أنبأنا عبيد الله بن عمر القواريرى قال: أنبأنا زائدة بن أبى الرقاد، عن زياد النميرى، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل رجب قال:

«اللهم بارك لنا فى رجب وشعبان وبلغنا إلى رمضان».

* * *

الحديث الرابع والثلاثون: قال مولانا الإمام الرفاعى رضي الله عنه: أخبرنا شيخنا القاضى القدوة أبو الفضل على الواسطى قال: أخبرنا أبو الحسن محمد بن أحمد قال: أنبأنا أبو عبد الله الحسين قال: أنبأنا أحمد بن بكير بن حامد، عن حماد العسكرى، عن إسحاق بن سيار، عن حجاج بن منهال،

عن حماد بن سلمة، عن برد بن سنان، عن مكحـول، عن أبى أمامة الباهلى قال: قال رسول الله ﷺ:

«من ولد له مولود فسماه محمداً تبركًا به كان هو ومولوده فى الجنة».

* * *

الحديث الخامس والثلاثون: قال مـولانا الإمام الرفـاعى رضي الله عنه: أخبرنا شـيخنا خالى أبو المكارم منصور البـاز الأشهب البطائحى رضي الله عنه قال: أنبأنا أبو على الحسن بن شاذان قال: أنبأنا أبو نصر أحمد بن نصر بن محمد بن اشكاب البخارى قال: أنبأنا الحسن بن محمد بن موسى القمى قال: أنبأنا عبد الرحيم بن جندب، عـن إسماعيل بن يحيى بن عبيـد الله، عن سفيان، عن ليث، عن طاوس، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ:

«من أدى حديثًا إلى أمتى لتقام به سنة أو لتثلم به بدعة فله الجنة».

* * *

الحديث السادس والثلاثون: قال مـولانا الإمام الرفـاعى رضي الله عنه: أخبرنا شيخنا العـارف بالله على القارئ الواسطى قال: أخبرنا أبو بكر الوراق قال: أخبرنا أبو محمد بن يحيى بن صاعد، عن أحمد بن عبد المؤمن، عن على بن الحسن المـروزى، عن أبى حمزة، عن مـنصور، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبد الله قال: كان رسول الله ﷺ إذا قال:

«سمع الله لمن حمده قال: ربنا ولك الحمد».

* * *

الحديث السابع والثلاثون: قال مولانا الإمام الرفاعى رضي الله عنه: أخبرنا شيخنا أبو المكارم بـاز الله الأشهب خالى الشيخ منصور الأنصـارى الحسينى

برواقه فى نهر دقلى قال: أنبأنا أبو الحسن أحمد ـ اشتهر بابن الصلت قال: حدثنا أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الصمد الهاشمى قال: حدثنا الحسين بن الحسن المروزى قال: حدثنا الفضيل بن موسى الأعمش، عن أبى صالح، عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

«لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولن تؤمنوا حتى تحابوا، ألا أخبركم بشىء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم».

* * *

الحديث الثامن والثلاثون: قال مولانا الإمام الرفاعى رضي الله عنه :

أخبرنا بن عمى العبد الصالح السيد سيف الدين عثمان قال: حدثنى أبوك السيد على بن يحيى الرفاعى، صاحب المشهد المنور بالجانب الشرقى من بغداد، قال: حدثنى ابن عمى السيد حسن قال: حدثنى السيد يحيى قال: حدثنى السيد ثابت، عن أبيه السيد حازم، عن أبيه السيد على الحازم ـ ويكنى بأبى الفوارس، عن أبيه السيد على، عن أبيه السيد رفاعة الحسن المكى، عن أبيه السيد أبى القاسم محمد، عن أبيه السيد الحسن الرئيس، عن أبيه السيد الحسين عبد الرحمن الرضى المحدث، عن أبيه السيد أحمد الأكبر، عن أبيه السيد موسى، عن أبيه السيد إبراهيم المرتضى، عن أخيه الإمام على الرضا صاحب طوس، عن أبيه الإمام موسى الكاظم، عن أبيه الإمام جعفر الصادق، عن أبيه الإمام محمد الباقر، عن أبيه الإمام زين العابدين على، عن أبيه الشهيد المظلوم الإمام الحسين، عن أبيه أمير المؤمنين على المرتضى رضى الله عنه وعنهم أجمعين، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

«لما أسرى بى إلى السماء رأيت رحمًا معلقة بالعرش تشكو رحمًا إلى ربها أنها قاطعة لها، قلت: كم بينك وبينها من أب؟ قالت: نلتقى فى أربعين أبًا».

* * *

الحديث التاسع والثلاثون: قال مولانا الإمام الرفاعى رضي الله عنه: أخبرنا شيخنا منصور الربانى رضي الله عنه، عن أبيه سيدى يحيى النجارى، عن سيدى أبى محمد الشنبكى الأنصارى ثم الحسينى الحسنى، عن الشيخ أبى بكر بن هوار البطايحى، عن سيدى سهل بن عبد الله التسترى، عن الشيخ ذى النون المصرى، عن الشيخ إسرافيل المغربى، عن الإمام موسى الكاظم، عن أبيه الإمام جعفر الصادق، عن أبيه الإمام محمد الباقر، عن أبيه الإمام زين العابدين على، عن أبيه الإمام الحسين، عن أبيه الإمام على المرتضى رضي الله عنهم، عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال:

«نظر الولد إلى والديه عبادة».

* * *

الحديث الأربعون: قال مولانا الإمام الرفاعى رضي الله عنه: أخبرنا شيخنا الشيخ القدوة على الواسطى رضي الله عنه قال: حدثنى أبو الفوارس طراد بن محمد الزينبى قال: حدثنا أبو الحسن محمد بن زرقويه قال: حدثنا أبو جعفر محمد ابن يحيى الطائى قال: أخبرنا جد أبى على بن حرب بن محمد الطائى، عن سفيان بن عيينة، عن الزهرى، عن أبى سلمة، عن أبى هريرة رضي الله عنه، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال:

«التسبيح للرجال والتصفيق للنساء».

أقـــول: قد تشرفنا والحـمد لله بذكر هذه الأحاديث الشريفـة والأسانيد العالية المنيفة، وسنذكر هنا شيئًا من كلام سيدنا الإمام الرفاعى ﷺ تكلم به على بعض الآيات الطاهرة الفرقانية، التى هى عـماد الأمر كله، وسنورد بعد ذلك إن شـاء الله من كلمات الحـضرة الأحـمـدية ما يشـرح الخاطر ويسـر الناظر، وبالله التوفيق، وهو الهادى إلى سواء الطريق.

قال مولانا الإمام الأعظم الرفاعى ﷺ: الحمد لله وحسبنا الله وعلى نبينا وسيدنا محمد رسـول الله أفضل صلوات الله وأكمل تسليمات الله، وعلى آله وأصحابه ومن والاه، أى سادة تخلقـوا بأخلاق الله، وذلك أن تتمسكوا بسنة رسول الله ﷺ، وأن تتـخلقوا بـأخلاقه المـحمـدية، وهو خُلُقُه الـقرآن، والقـرآن كلام الله القـديم الكريم الذى لا يأتيـه البـاطل من بين يديه ولا من خلفه، وقد حـرره أصحاب رسول الله ﷺ وجـمعوه، فهـو كما أنزله الله تعالى محفوظ من التحريف والتـغيير والتبديل بشاهد: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْـرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾.

ومن حكم أسراره الربانيـة الإيمان بالغيب وهو حـال المتقين وصنعـتهم بعد الإيمان بالغيب إقام الصـلاة وإيتاء الزكاة والإيمان بكل ما أنزل إلى النبى ﷺ وبكل كتاب سـماوى حق أنزل إلى الأنبياء والمـرسلين، والإيقان كل الإيقان الـحشر إلى الله تـعالى: ﴿الٓمٓ ① ذَٰلِكَ الْكِتَـابُ لا رَيْبَ فِـيـهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ② الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ③ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾.

ومن ذلك الحكم التحـقق بعبادة الله تعالــى، وهـو قد قال سبـحانه:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُم﴾ إشارة إلى أنه يفنيكم كما أفنى الذين من قبلكم ومصيركم إليه فاعبدوه ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ فتكتبون فى عباده المتقين الذين هم ﴿عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

ومن الحكم المقصود الوقوف عند سر كل مثل ضربه الله لعباده والعلم بأنه الحق من عند الله ﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾ ومن هم إلا أنهم حمانا الله وإياكم من طوارق صفاتهم ﴿الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ اظهر لكم من مطوى منشور كتابه رمز الإشارة فأوضح نوع الصراحية، ودلكم على طريق نجاتكم وبيَّن لكم مناهج سعادتكم، وحذركم من موجبات الخزى والقطيعة، فها هو قد أخبر أن الفاسقين ترشقهم سهام الضلال.

فإن قلتم: من هم؟ قيل لكم: الناقضون لعهد الله القاطعون لما أمر الله به أن يوصل، كتعظيم القرآن وإجلال الرسول وإكرام آله وأصحابه واحترام أولياء أمته وعلمائها، وبر الوالدين ورعاية حق الرحم والجوار وحفظ الأخوة الإسلامية الثابتة بين المؤمنين وحفظ حقوق الآدميين، بل وكل المخلوقين، فالهادمون لهذه الأحكام هم القاطعون لما أمر الله به أن يوصل ويفسدون بنقض العهد وقطع ما أمروا بوصله فى الأرض، وهم الخاسرون فى أمرى الدين والدنيا والمردودون فى الآخرة والأولى، وأن الموفين بعهد الله هم المبشرون من لدنه تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ والموصلين لما أمرهم الله بوصلة فإنهم أهل الهدى المرادون بنص: ﴿فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا

خَوفٌ عَلَيهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ وهم المصلحون الذين يثون هدى محمد رسول الهدى المنبجس نوره من سماء القرآن العظيم فى بلاد الله بين عباده القائمون بحكم ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لا تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ تحت راية ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَارِكُمْ﴾ ولا تقولوا إن بنى إسرائيل هم المخاطبون بهذه الآيات وأحكامها تشملهم خاصة، لا بل الإيمان بما أنزل إلى النبى الكريم وإلى من قبله مما لم يحرفه المفترون على الله كذبًا هو حظ هذه الأمة ومنبر دينها والشريعة المحمدية، على مشرعها سيد الوجودات سيدنا محمد بن عبد الله أفضل الصلاة وأتم السلام، هى الشريعة الجامعة الناسخة الكاملة الشاملة.

وإياكم أن يقوم بكم من الفعال المردوة مثل ما قام بمن قال لهم: ﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَٰؤُلاءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ فإن من قتل نفسه بيده أو قتلها بسعيه الفاسد وعمله السئ وظهر بإثمه وعدوانه على قوم من الآدميين فأذلهم وأخرجهم من ديارهم فقد باء بالخزى فى الدنيا وبالعذاب الشديد بالآخرة، وكذلك قال لهم الله تعالى: ﴿فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلاَّ خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ﴾ ومن نص ﴿تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ يظهر للعارف أن من ظهر على قوم أولى باطل وبغى وظلم وجحود بحقه وعدله وإيمانه وساقهم إلى مثل ذلك فطهرهم من ظلمهم وجحودهم وبغيهم وباطلهم وأبادهم إن لم ينتهوا فهو من أنصار الله وحُماة دينه وحراس منافع خلقه، والله تعالى يقول: ﴿إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً﴾.

ومن الحكم المقصود طرح السحر وأهله، فإن من اشتراه، أى: أذعن له واعتقد به ما له فى الآخرة من خلاق، بشاهد قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ﴾ وأن ذلك الكفر الصريح، وأولو الإيمان بالله تجرهم تقوى الله للاعتماد عليه والركون إليه فلا تنعقد قلوبهم على الانعقاد بما كذبه الله، والله ولى المتقين.

ومن الحكم المقصود أن يقدم المرء لنفسه من الخير فى نيته وعمله وقوله وحرمته وسكونه مدة حياته، ليجد كل ذلك عند الله، فإن الإحسان أرفع الدرجات بعد الإسلام، قال تعالى: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ﴾ وقال سبحانه: ﴿مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

ومن الحكم المقصود حماية مساجد الله أن تمنع عن أن يذكر فيها اسمه سبحانه وأن يسعى فى خرابها احترازًا من صادمة قوله تعالى: ﴿بَلَىٰ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَا إِلاَّ خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

ومن الحكم المقصود أن يصرف أئمة الهدى ما فى قدرتهم من الوسع والإمكان لبث روح العدل والإنصاف فى طباع ذراريهم، وأن يقيموا فيهم هذا الحكم إذا أرادوا دوام سر الإمامة الروحية فيهم، ومثله يلزم على أئمة الأشباح وولاة أمور الأمة الذين يحبون تسلسل الأمر فى ذرياتهم، لسر قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾.

ومن الحكم المقصود التسابق إلى عمل الخير وإحياء منار العدل

والاهتمام بكشف هموم عباد الله تعالى مهما أمكن، لقوله تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا﴾.

ومن الحكم المقصود أن لا يُخشى الظالم تحققًا بالخشية من الله، فإن الظالم دون أن يقدر على شيء، والفعّال المطلق هو الله تعالى، وعلى العارف أن ينبه العقول الخاملة لتتحقق بالخشية من الله، فتهمل لسر تلك الخشية حكم الخشية من الظالمين، تمكنًا بمناط امتثال نص: ﴿إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي﴾.

ومن الحكم المقصود التحقق بالذكر والشكر لله تعالى اعتصامًا بحبل قوله جلت عظمته: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلا تَكْفُرُونِ﴾.

ومن الحكم المقصود الاستعانة على كل مهم ومزعج بالصبر والصلاة مع إقامة أحكام الصبر فى النفس، فإن الصبر فيه المصابرة، والمصابرة فيها المجاهدة فى الله لدفع الصائل بكل ما تصل إليه يد العزم والعزيمة من قوة فكر وقوة عمل وقوة جيش وجاش، ومثل ذلك.

وجعل ربى بعد الصبر الاستعانه بالصلاة حتى لا يغفل من طرقته طوارق المحن عن الصلاة التى هى أعظم مناجاة الله سبحانه وتعالى، ووعد ربى بعد الاستعانة بالصبر والصلاة بشرف معيته الربانية للمنتصر به بأن يكون له، وكفى بالله وليا.

والنص ناطق يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ وتمهيدًا فى مقام الحكم وإيضاحا لما أغمض فى سره من النصر قيل فيمن امتحن فقتل فى سبيل الله: ﴿وَلا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِن لاَّ تَشْعُرُونَ﴾.

ولطى فى نشر ونشر فى طى بمقام النسب والإضافات الطارقة المتدلية فى مناطها الأول من محل التنزلات القائمة قال، وهو المتكلم القديم العليم الحكيم: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ ومن هم الصابرون الذين أشار إليهم كتاب الله ووردت واردات البشرى لهم من الله؟ إنما هم كما قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ تجردوا من رؤية أنفسهم فتحققوا بحكم العبدية والمملوكية لله، وعلموا وعلمهم حق أنهم إلى الله راجعون، فصرفوا النظر عن طول العمر وقصره، وانصرفت أنظارهم إلى ما هم إليه راجعون، ووقفوا مع ما هم إليه صائرون، ولذلك قال فيهم تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ إلى الحق الذى طواه الخالق فى الخلق، إذ كل الخلق لله وإلى الله راجعون، ولكن الحظ سابق والحكم لاحق، وهدى الله هو الهدى.

ومن الحكم المقصود طاقة العقل فى معانى الآيات الإلهيات المستودعة فى خلق السموات والأرض، واختلاف الليل والنهار، بالاعتبار لتعيين البرهان للعقل بتلك الآيات التى انتظم بها أمر الأكوان، وفى الفلك التى تجرى فى البحر فيما ينفع الناس لما سيظهره الله من منافعها من عجائب الطى الذى سينشره تعالى بباهر قدرته، ويقيم لها شأنًا ينفع به الناس فى كل زمان ومكان على نسق حال الأزمنة والأمكنة، وفيما أنزل الله من السماء منه ماء، وفى تصريف الرياح التى انبثت من فرج خيوط العالمين الملتصقيْن المتصليْن المنفصليْن والسحاب المسخر بين السماء والأرض، فإن من السحاب سحابًا تنشره الرياح، طواه ثقل الأبخرة، وسحابًا وجف بطبعه حكمًا بين السماء

والأرض حتى تدفعه مادة حادة مسيلة، أو تهزه شبة ريح حالة سقوطه ثقيلة، وتلك مسخرة وهو مسخر.

قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾.

ومن الحكم المقصود أكل الحلال الطيب والتبرى من اتباع خطوات الشيطان، فإنه يأمر بالسوء ليورد تابعيه موارد السوء، ويأمر بالفحشاء ليجعل المنزوغ الذى يركن إليه فحاشًا ويأمر بأن لا يقول المرء على الله ما لا يعلم، كأن يخوض فى الذات والصفات، أو يدعى حلولا أو اتحادًا أو منازعة فى قدر أو مشاركة فى حكم أو أمر أو صفة، أو يدعى تنزل سر وإفاضة حال لم يكن له، وكل ذلك من قواطع الحبل عن الله، والعياذ بالله.

وقد يبث فى النفس حب اتباع الشيطان أكل الحرام الخبيث الحاصل من ظلم أو جور أو حيلة وكذب ودسيسة وما أشبه ذلك.

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلالاً طَيِّبًا وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ (١٦٨) إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾.

وقد اشترط ربى سبحانه تحقيق حكم الوجهة فى مقام العبدية إليه بأكل الطيبات والشكر عليها له سبحانه، بنص قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾.

ومن الحكم المقصود التحقق بالبر، وهو الإيمان بالله انفكاكا عن غيره

وتحققًا بتوحيده والتوحيد وجدان سر قائم فى القلب يوقن به العقل، يمنع خوض فكرك من التعطيل والتشبيه، ولا يكمل الإيمان بالله إلا أن يؤمن العبد بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين إذ الإيمان باليوم الآخر يزرع خوف الله فى قلب العبد فلا يتعدى حدود الله تعالى فى اعتقاداته ولا فى أفعاله.

والإيمان بالملائكة الذين منهم ملائكة الرحمن الذين يتنزلون على العباد المخلصين فيقولون لهم: لا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة، ويتنزلون على من عصى وطغى وبغى وكفر فيقودونهم إلى النار وهم: ﴿غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ وهذا الإيمان يوطد قلب المؤمن لعمل الخير لتنزل ملائكة الرحمن وهربًا إلى الله من تنزل ملائكة العذاب.

والإيمان بالكتاب هو تعظيم أحكامه بالعمل بها والتباعد عن كل ما أمرت نصوصه بالتباعد عنه من قول وفعل، وأنه من عند الله أنزله على عبده رسول الله ﷺ.

والإيمان بالنبيين عليهم الصلاة السلام وهم الذين نبأهم الله وأرسلهم رحمة لخلقه، وأنزل عليهم كتبه وبعثهم بالحق وختمهم بأكملهم وأعظمهم هدًى سيدنا محمد المصطفى ﷺ، إنما هو الإيمان بكل ما جاءوا به والعمل بكل ما أُمروا به، والانتهاء عن كل ما نهوا عنه، والتحقيق بشريعة جامع الشرائع وسيد طوائف النبيين والمرسلين، سيدنا محمد، عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام، والوقوف معها فى كل أمر بطن أو ظهر.

وكمال الإيمان أن يبذل العبد المال على حب ربه إلى ذوى القربى آل البيت: بيت النبى ﷺ، فيتودد إليهم بإهداء المال ليفرج كربة محتاجهم

ويسر قلب صغيرهم ويتقرب بحكم التودد إلى غنيهم ويكون ذلك على حب الله خالصًا لا لغرض من الأغراض، وإلى ذوى القربى أرحام الرجل، وإلى اليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب، بعتقها فى سبيل الله تعالى، وبإعانة المكاتبين فيما كوتبوا عليه وفك الأسارى والمأخوذين ظلمًا ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ والإيمان الحق الذى كله بر هو أن تقام الصلاة وتؤتى الزكاة ويوفى بالعهد ويصبر على تنزلات الأقدار فى البأساء والضراء وحين البأس الملم والجزع المهم يوم ملاقاة العدو حين الجهاد فى سبيل الله تعالى.

فأهل هذه الخصال الشريفة والفعال الكريمة هم الذين صدقوا الله عهده وهم السادة فى الدنيا والآخرة المتقون الذين خافوه فأهملوا خوف سواه، قال تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾ ردًا على أناس خاضوا فى أمر القبلة ودعوا إليها، هذا إلى المشرق وهذا إلى المغرب، كلٌّ يدعو إلى قبلته انتصارًا لنفسه ونخوته وترغيبًا بفعله وعادته، وما كان عليه ويزعم أن ذلك هو البر والأمر العظيم الذى يجب أن يعمل به ويدعى إليه، فقال الحق وغير قوله باطل: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾.

ومن الحكم المقصود إجراء أحكام القصاص على ما أنزل الله حفظا لنظام الأمن الذى أمر بتحكيمه فى خلقه، ويفسر هذه قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾.

ومن الحكم المقصود انفاذ وصية الميت أخذاً بالتقوى وخوفًا من الله، لأن الله جعلها حقا على المتقين.

قال تعالى: ﴿فَمَن بَدَّلَهُ بَعْدَمَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ﴾.

ومن الحكم المقصود صيام شهر رمضان، ومن أدب الحكم التطوع فى الصيام لسر قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾ الآية.

ومن الحكم المقصود اعتقاد قرب الإجابة عند الدعاء إيمانًا بالله وانسلاخًا عن غيره وتحققًا بحال النبى ﷺ وأصحابه، فإنهم كانوا إذا دعوا الله دعوه وهم موقنون بالإجابة.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾.

ومن الحكم المقصود أن لا تأكل الأمة أموالها بينها بالباطل ولا تلقى بأزمة حكمها إلى الحكام لتأخذ حظها منها بالزور والحيلة والغلبة، فالمنع القرآنى قاطع بنص: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ﴾.

ومن الحكم المقصود القتال فى الله وهو الجهاد فى سبيله ولكن بشرط الكف عن التعدى، عملا بقوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾.

ومن الحكم المقصود أن لا يتخذ الكافرون أولياء من دون المؤمنين، ومن يفعل ذلك ويتخذ دون إخوانه المؤمنين عصابة الكافرين أولياء فليس من الله فى شىء إلا أن يخشاهم ويكون ذلك فى حال مجبر، فعليه أن يحذر الله فى فعله ما أمكنه ويرقب قوله تعالى: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن

دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلاَّ أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴾.

ومن الحكم المقصود الإنفاق في سبيل الله، بشرط أن لا يُتبَع ذلك الإنفاق منٌّ ولا أذى، وأن يكون خالصًا لوجه الله تعالى، قال ربي: ﴿ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لا يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُوا مَنًّا وَلا أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (٢٦٢) قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ﴾.

ومن الحكم المقصود التذكر وصحة التفكر والرجوع بالإخلاص في الأحوال والشئون ببصيرة نور العقل إلى الله تعالى، وهذا مما ينتج الحكمة بشاهد ما ورد في الخبر: «من أخلص لله أربعين صباحًا تفجرت ينابيع الحكمة من قلبه وجرت على لسانه، ومن أخلص لتتفجر لم تتفجر» ونص الكلام القديم: ﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُوا الأَلْبَابِ ﴾.

ومن الحكم المقصود إفراد الواحد سبحانه بالوحدانية ورد كل ما يشوب هذا الإفراد من الشرك والحلول والاتحاد وطمس ثائرة هذه البدع المضلة وهشم أنف هذه الدعاوى الدافعة إلى النار.

قال ربي وله الأمر ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّي مِن دُونِ اللَّهِ وَلَكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ (٧٩) وَلا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا الْمَلائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾.

ومن الحكم المقصود الاتحاد على كلمة الحق والاعتصام لأجلها بالله وآياته.

قال تعالى: ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا ﴾.

ومن الحكم المقصود أن تقدم أمة من المسلمين فى كل عهد وزمن فتدعو بالنيابة عن النبى الكريم القائم بنصر كلام الله القديم وتسوق الناس إلى الخير وتأمرهم بالمعروف وتنهاهم عن المنكر، وهذا باعث فلاحهم بشاهد قول الله: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾.

ومن الحكم المقصود الإنفاق فى السراء والضراء وكظم الغيظ والعفو عن الناس، وهذه خصال النبى المتبع المطاع ﷺ وخصال أحباب الله رضى الله عنهم ورضوا عنه، قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾.

ومن الحكم المقصود ذكر الله عند فعل الذنب ليكون وازعًا للعبد والاستغفار وترك الإصرار، وذلك هو التوبة بالإقلاع عن الذنب، ويعقب ذلك الغفران وسكنى الجنان بنص: ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٣٥) أُوْلَئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴾.

ومن الحكم المقصود إعلاء دعامة الشكر لله بإعلاء كلمة الدين في كل زمن، مع القائم بها بشرط العمى عن عين كل قائم بذلك انمحاقا بأمر الله وإعظامًا لشأن الله، وبذلك يسح فيض الكرم جزاء على هذا الشكر الأتم الأكمل.

قال تعالى، وبقوله تبصرة للموقنين وهو أصدق القائلين: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ

رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ .

ومن الحكم المقصود ترك الفظاظة والغلاظة والعفو عن المذنبين من المسلمين والدعاء لهم بالمغفرة ومشاورة من تصح مشورته منهم، وفى العزم على كل أمر تعضد العزم بالتوكل على الله تعالى.

قال تعالى: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ .

ومن الحكم المقصود زيادة الإيمان المترع القلب آمنا عند تهويل الناس بالناس، والقيام بشدة الثبات وعلو الهمة وحسن المقابلة الموطدة على متن التدبير الحسن، وكل هذه من لوازم الإيمان، لأنها من لباب أوامر الله المنزلة فى كتابه القديم، وهنالك فأهل هذه الخصال الشريفة موعودون بنعمة الله وفضله وأنهم لم يمسسهم سوء وعليهم رداء الرضا.

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (١٧٣) فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ .

ومن الحكم المقصود التبرى من البخل، فإن البخل فيه من سقوط الهمة وضعف الإيمان وسوء التدبير الغاية.

قال تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ .

ومن الحكم المقصود الصبر على الأذى فى سبيل الله، وأن ذلك لهو العزم فى الأمر والقدم الراسخ الذى يأخذ بالعبد إلى حضرة القرب.

قال تعالى: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾.

ولا يغربن عن فكرك أيها العارف أن المنافق رضيع الكفر ينضح مما ينضح منه الكافر، فإن آذاك فاصبر على إيذائه واستعن عليه بالله وعامله من جنس عمله، واتق الله وأنت مجازًى على صبرك بكل خير.

قال الله تعالى: ﴿فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾.

ومن الحكم المقصود الصبر والمصابرة والمرابطة والتقوى، وهذه القواعد الأربع روح الإيمان، لا يكون المؤمن الكامل إلا صبوراً، ولا يكون الصابر الكامل إلا مصابراً ولا يكون المصابر الكامل إلا مرابطا، ولا يكون المرابط الكامل إلا تقيا، وهنالك يكون من المفلحين.

قال الله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

ومن الحكم المقصود الأخذ بالعدل والقيام بالإحسان وإيتاء ذى القربى والتباعد عن الفحشاء والمنكر والبغى، وهنا أس الإسلام.

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.

ومن الحكم المقصود التحقق بمشهد قوله تعالى: ﴿لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾.

أى سادة، القرآن سر سرارة، كل أمر وعين أعيان كل الحقائق ونور الله العظيم، وحبل الله المتصل منه إلى خلقه، وهذه حكمه وحقائقه وسرادق أسراره، فخذوا بها، وإياكم والانحراف عنها، ومن اعتدى عليكم فاعتدوا عنيه بمثل ما اعتدى عليكم، واتقوا الله وقفوا فى كل حال وطور وفعل عند حدود الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله، إنا لله وإنا إليه راجعون.

هذا ما فتح الله به اليوم على عبده الضعيف، احمده هو ولى التوفيق، ألا إلى الله تصير الأمور، والحمد لله رب العالمين.

وقال رضي الله عنه فى بعض مجالسه الشريفة:

الحمد لله الذى فجر ينابيع الحكمة من قلوب المؤيدين فجرت على ألسنتهم وتحققوا بحكمها، فأفيض لهم منه نور أوضح لهم محجة علم اليقين، الله الذى نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين، والصلاة والسلام على قاموس براهين الحقيقة وناموس أفانين المعرفة والطريقة، أشرف أصحاب القلوب الطائرة إلى الله، وأعظم ملوك حضرات الغيوب الدالّين على الله روح العوالم آدم البروز فى نشأة خلقة أبيه آدم، سيدنا محمد عبد الله ورسوله وصفيه وحبيبه، وسلطان حضرات قربه ومظهر برهان أمره فى ملكه وملكوته، وعلى آله وأصحابه الهداة المرضيين وورائه الأعيان المكرمين، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين، آمين...

أى أخى، بارك الله بك، وحّد الله تعالى تجمع خاطرك وتصلح سرك، وأطع الرسول صلى الله عليه وسلم تحفظ شأنك، وتحكم أمرك وارفع نفسك عن سفاسف

الأمور وانتخب معاليها تعز نفسك وترفع قدرك، كما صدقك من كذبك فعله، ولا آمنك من خانك أصله، اشتر الرجل الأمين الصعب الطلق اللسان الكريم الأصل الغزير العلم بكل ما فى يدك، ولا تضن عليه، وبع الرجل الهين الخائن المتلصص الوضيع الأصل القصير المبلغ بغير ثمن، ولا تمل قلبك إليه، فإن المشترى الأول ربح لا يعقبه خسران، والمباع الثانى غائلة لا تأتى بأمان.

وإذا اتخذت بطانة فقف مع كريمها وأعرض عن ذميمها، وشرف صيتك بمصاحبة من شرف صيته، وأحكم أمرك بمن يرجح دينه على دنياه، وشد عراك بمن يعرف شأن الدنيا والآخرة ويملك هواه.

لا تأمن الجرىء على ربه المهمل لأحكام دينه ولو أعجبك لسانه، فإن من أهمل أمور دينه تكذيبًا لله واستخفافًا برسوله، فتكذيبك واستخفافك عنده أهون، وإن من فعل ذلك عجزًا عن القيام بحق ربه ونبيه فهو عن حقك أعجزه.

من أصر على ترك الفرائض من الإسلام جحدًا أو عنادًا فهو أضر على الأمة من الكفار وأسرق لهمم الجاهلين من أولئك الطغام الأشرار، ومن عبد الدرهم ما عبد الله ومن طمحت همته لجمع المال من حرام وحلال فهو أسير الزيادة لا يقف إلا معها، ومن كان كذلك فلا نخوة ولا وفاء له، بينة المدعى الأعمال، ودفتر حال الحكام العمال وخلوة العبد بربه عند جمع قلبه تظهر له إذا اعتبر نقصانه وكماله، وتبرز لعيانه إذا تفكر عمله وحله ﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ﴾ من أطاف إنصافه على طرق أعماله أمن من عواقب فعاله، ومن لم يحاسب نفسه على كل نفس لم يكتب عندنا فى ديوان الرجال، ما

كل عالم إذا قلت له: اعمل بما علمت أجابك فعله، ولا كل منطيق إذا قلت له صرِّف أقوالك وافقك عقله، والجامع بين هذه المزايا هو الرجل الذى تعقد عليه الخناصر وتبتهج به المحاضر، وترجمة الحياة صيت، إما حسن وإما مذموم، وعلمك إن لم يكن دالا لك على نجاح فى دينك وطمأنينة فى قلبك فهو جهل، وقدرتك إذا أنتجها محض الغلبة ولم يوطدها لك انقياد خالص تقول به القلوب فهى ضعف، وكل عمل لك لم تجعل فيه الحكمة المحمدية أصلاً فهو فاسد، والكافر مستدرج والمؤمن بعد أن فُطِر على الإسلام لا يفلح إذا كفر أو استخف، والزمان إناء لماء الأفكار تتلون بلونه، الناس بقاداتها والعبيد بساداتها والسائس يعرف أتقانه بخيل اصطبله سمنت أو هزلت، والخِل يعطيك الصفا ويأخذ منك الوفا، فإن وافيته صافاك، واللئيم غدار والكذاب بعيد عن الأمانة، ومن انقطع إليك فاحمل عبأه وثقله، فإن لم تفعل أمرته بالاتصال بغيرك، والأمير بالأعوان الصالحين لسياسة الدنيا والدين، والعاقل يحمل غصة الكريم الحاذق سنين لينتفع بفضله يومًا، والحازم يسكت أعوامًا لحكمة، وينطق ساعة فيحيى أمة، ومن وقف مع الأخساء انفصل عن الأجلاء، ومن عظَّم الجهلاء سقط من أعين العلماء، ومن ذمه العاقل العالِم فقد ذمه كل العالَم، والأحمق من أراد كتم عيب أظهرته الأيام، وأحسن المزايا وعد يشده وفا، وخبر يصححه صدق، وعزم تعضده عزيمة، وقوة تلازمها رأفة، وعلم ينيره عقل ولسان قلب، وهمة يصونها ترفع، وطبع يمازجه أدب، وحسب يعظمه كرم وعقيدة يظهرها إيمان، وخاطر يوطده اتكال على الله تعالى، والناس للناس من حيث التعاضد محتاجون، ولكل بارزة من الحوادث بعين الحاجة متشوفون، وإذا

عرف العاقل عظم أو حقر كل احتياجه لكل شيء عرف بذوقه احتياجه لموجد الأشياء فعامله بقدر احتياجه إليه.

أيها الغبى، تنام محتاجًا للحادثات التى ستعدم وتستيقظ محتاجًا لها وترى إنك بعد ذلك فوق الأشياء الفوقية تقوم بالاستغناء الحق عن الشيء، وباحتياج الشيء للمتفوق، وذلك أن الوصف مفقود من كل الوجود، احتجت لحائك الثوب ولغازل القطن ولحلاجه وجامعه وزارعه فما بالك بموجده، احتجت للفران فى خبزك وللطحان ولحاصد القمح ودارسه ومصلحه فما بالك بمنشئه، ثوبك سترك وفيه رأيت حاجتك ولقمتك قوامك وفيها رأيت حاجتك، قس عليها بقايا حاجاتك للأشياء، وترفع بقياسك تجد احتياجك للموجد فوق احتياجك للوجودات، فافزع إليه، وتكفى وصمة الاحتياج برزقك من حيث لا تحتسب يسخر لك الأشياء بمحض القدرة.

أيها اللبيب لا تدفع عقلك لمضايق المطالع وتقف مع المقاصد وتنصرف عن مسالك أهل العلم بالله تعالى الذين انتظمت لهم بيد الوهب قلائد عقود الحقائق، كل مطامعك ومقاصدك ومسالك همتك قاصرة عن حد النتيجة ما لم تكن منفعة إليك بسلطان الأمر الأزلى، وهناك قليل من سعيك ينتج لك ثمرة القصد، وعلى هذا الطريق المحكم فسعيك موافقة حكم لا معارضة قسم ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا﴾ آية من قاهر الإرادة المحتمة فعلت فوق فعلك قبل كونك أخذت زمامك منك، فنم بسعيك على عتبة باب التسليم، قدر قمر الإبراز منازل فى سموات الأحكام بحكمة سلطانه ﴿ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم، قل بلسان قلبك: اكتب بقلم سرك، طر بجناحى روحك ويقينك، انصرف عن قالبك عن علمك عن عملك، دع

شقشقة الألفاظ، خذ بلباب الحكم، مت عن هواك، طالب عزمك بالقيام بعزائم الأمور، سر عن الموجودات سير ذى يأس من غير الوجد، جلت عظمته، وقف القوم بقلوبهم مع مشائخهم، الأحياء منهم والأموات، واستفاضوا سر الإخلاص بتوسط أرواحهم، لا لكونهم مفيضين بل لكونهم محل الفيض الإلهى، والتماس توسط أرواحهم هو التعرض لنفحات الرحمن والتشوق لبركة تجلياته، وقد أمرنا بالتعرض للنفحات الرحمانية والاتباع لسبل أهل الإنابة للحضرة القدوسية.

فعليك أيها السالك بهذين السرين، ففيهما لك قرة عين تنفى الغين وتسقط حكم البين من البين، وإذا شارفتك من أطوارك أحوال فنقها من سابحات خيالك، فإن حضرة الخيال ترسم لأهل الأحوال صحف شئونات يصعب عليها تفريقها عن الحقيقة، ومنها الشطح والدعوى، وكل ذلك لرعونة تمكنت آثارها من القلب، فإذا شارفت الرجل أحواله من أطواره هاجت عليه لعدم تمكنه ورعونته، فصال وجال وعربد وقال، والكل خيال، إنا لله وإنا إليه راجعون.

كن أيها اللبيب فى أبان سلوكك محجة الطريق سائسًا لنفسك عالمًا بأحكام سياستها، ممارسًا لأسرار النفوس وما انطوت عليه من المحاضرات والمضامرات والخفايا المكتومات، وحقق عزمك بالتمكن فى عزائم الصدق وانسلخ عن كل مشارفة يشرف منها طور نخوة نفسك، حتى لا تبقى لك من آثار مشارفاتك غبار نخوة، وهنالك تحسب فى الركب وتصلح لمجالسة الأحبة ومجانستهم، وإلا فأنت دخيل، وتشبه بهم بقصد التحقق بأحوالهم والتمكن بمقاماتهم، لا بمجرد التقليد الوهمى للتقدم والغرض، واهدم

صوامع عزمك بذكر الموت، فهو هادم اللذات وصر حيا بالله، وكفى بالله وليا. والسلام.

وقال ﷺ: الحمد لله وحده، وسلام على المرسلين، جل ربي كل مسموع ومنظور له، طريق إلى القلب أو إلى النفس أو إلى الروح أو إلى العقل أو إلى الخاطر أو إلى محضر الخلقة وما اشتملت عليه، فتسمع الأذن صوت الحادى بنغمة رقيقة فتغرفها غارفة الروح إلى الخاطر، فتوقع فيه هدأة لطيفة تصرفه عن السير إلى جهة أخرى، وتسمع نغمة عريضة فتغرفها تلك الغارفة إلى النفس فتوقع فيها سكينة، وتسمع رنة عود أو قصب ففى الغارفة ينتج منها فى القلب حزن، وتسمع ضجة طبل فالغارفة تنتج منها فى النفس هزة شجاعة ونخوة ولكل رنة مسموعة ونغمة حرف وكلمة، ولغة مركبة طريق ينصرف إلى محله من الذات ويأخذ حكمه حسب ما هو، وكذلك المنظورات، فإنك ربما رأيت الرجل الأعجمى وأنت الصميم العربى فبمجرد سقوط نظرك عليه تحبه بلا سبب، وإنك ربما رأيت قريبًا من بطنك قريبًا من فصيلتك، وبمجرد سقوط نظرك عليه كرهته، وربما رأيت الهر فأضحكك مرآه، وربما رأيت الذئب فاستفزك مرآه، وربما رأيت الطفل يتكفأ فحزنت له، وربما رأيت المعجب المتبختر فشب بك وقد الغضب عليه، لا هذا الطفل لسبب ولا هذا المتبختر لسبب تلك أوضاع الطرق الواردة إلى عالم الذات، وهى كثيرة: تنظر الخضرة فتبهج، وتنظر الماء فتنبسط، وتنظر الجمال فتفرح، وتنظر القصور والزينة فتمرح إلى الخيال، وتنظر الصافنات الجياد فتسير مع عالم همتك، وتنظر المال فيذهب بك خاطرك إلى طرق شتى، وتنظر النساء فتسيرك بضاعة نيتك إلى طرقها، وتنظر الملوك فيفزع بك

حالك إلى شئونات كثيرة من أطوارك، وتنظر اللاهين فيقعدك عزمك على بساط عزيمتك، وتنظر الزاهدين فيطير بك خيالك إلى ما تشتهيه من حالهم نفسك، وتنظر العارف فيهابه قلبك.

وهنا سر عجيب: طوارق الهيبة خمسة: ترى وجه الرجل فيأخذك من طارق جماله الوضعى هيبة أبرزتها مادة حال كامنة فى نفسك، وترى وجه الرجل فيفرغ لك النظر بطريق القلب من ذلك المشهد حالا فى قلبك من سر حاله الذى أجمعت على وجوده فيه همتك فتبرز فيك منه بوارز الهيبة، وترى وجه الرجل فيستجمع مع نظرك له منه قوة فعالة فيك يتصورها خيالك ويتدبرها فكرك فتخشى فعلا منه فى نفسك أو مالك أو مروءتك، فتبرز فيك منه بارزات الهيبة، وترى وجه الرجل فيمد لك من ذلك النظر بساط طور عقل قائم فيه أو علم قائم معه أو فضل ثابت به، فتنشر أوصافه عليك رداء الهيبة منه ولو أنه فوق حصير مقطعة، وتروح نجائب همتك إلى الآمال فيه، وكلما عظم أملك به عظمت هيبتك له، سواء فى ذلك أملك به لله أو أملك به للدنيا، وترى وجه الرجل فيسترلك منه بطىء نظرتك، وهمٌ لا حقيقة له، يهيبك من أبيه وجده وعمه وخاله وعوارض غوائله، ويعدك وهمك ويمنيك وهذا المشهد الخامس مشهد لا أصل له، وفوق هذه المشاهد الخمسة لا شىء عند من يعلم، والرجل من غلب سمعه وبصره وأفناهما فى الله تعالى، فوقف فى كل منظور ومسموع مع الحقيقة فيه، عظم من الشيئين ما عظم الله، وترك الكل لله، وقيد نظره وسمعه، بل وكل مدارك ذوقه وعلمه بالحقائق التى تعود إلى الله، وأرى أن العالم من أوقعت فيك هيبة علمه قيداً عند كلامك فأسمعته ما يصح عندك بميزان عقلك وذائقة علمك أن يسمعه،

والعاقل من أوقعت فيك هيبته حالا قيد حركاتك وسكناتك، وأراك أمامه بقيد الحكمة خوف انتقاده، والعارف من أوقع فيك حاله هيبة جعلتك مذعنًا لكماله محبا له فى نفسك، وإن حولتك بيد عجبها ومريدًا للتشبيه به وبحاله فى الأصوات والأيدى والأعين والألسن ومجموع هيئاتها ومفرد ذواتها سلطان إلهى، يقول بشأنه قائل الحق: ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً﴾ وعلى القوالب رقائق الحقائق خفية وجلية فى الظلمة هيب وفى الضوء أنس وفى الحرارة زهوق وفى البرودة صعوق، وكلها من واردات الهيبة دهشة وسكينة وخوف وطمأنينة، يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل، حكم استودعها عالم الخلق وكتم أسرارها عن كثير من خلقه لإقامة شراع الحيرة للكل ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

وقال ﷺ: الحمد لله الذى هو مفزع قلوب الموحدين إذا انقطعت بها أطنبة الأسباب، وموئل قلق أفئدة الراجين إذا سدت تجاه مأملها الأبواب، الفرد الصمد الذى تعكف حاجات المحتاجين العارفين منهم والجاهلين بطبعها على عتبة قدرته القاهرة والملك الباقى الذى تسطع شموس بقائه السرمدى، فتظهر فى كل آونة أعيان الفناء المحصن بكل الذرات الباطنة والظاهرة، جل من ذى سلطان غلبة حكمه لا تدفع، وتعالى من ذى شأن آيات قدرته لا تنزع، تحن إليه طبيعة الكافر إذا انصرمت فى أمره حيلته، وتتعرف إليه روح الجاحد إذا انقطعت فى حيلته وسيلته، قدرته تحكمت فأوقعت طور العجز فى كل مخلوق طامس أو بارز، وعظمته تفردت فقطعت عن حضرة الفردية طبع كل فرد قوى أو عاجز، هذه الهياكل التى أبرزها

ألفت الشبه فى عقول المبعودين فعجزوا عن القطع بعدم الوحدانية، وهذه الحقائق التى طرزها محت الشكوك من قلوب المقربين فاقتدروا على فهم تنزلات الأوامر الربانية، وبعد هذا العجز والاقتدار أسدلت ستائر العظمة على مدارك الدراك، فصاح بهم لسان الدهشة: العجز عن إدراك، الإدراك دارك وأقرب المخلوقين وأقواهم على خوض هذا العجاج المشتبك والمهمه المغلق المحتبك قال: سبحانك ما عرفناك حق معرفتك.

اللهم يا عظيم السلطان يا عميم الإحسان، صل على سيد رسلك الذى رفعت فى حظيرة القدس مقامه ونشرت فى حظائر العوالم كلها أعلامه، كنز الحقيقة المنبجسة من درة القدس الأنزه، فمكنونات علوم الغيب مكنوزة بخزانته، أمينك على أسرار الربوبية، فجميع بدائعها المصونة مطوية فى منشور أمانته، حبيبك القائم بأمرك للمبايعة عنك بيد لا يعرف غيرها حتى القيامة، سلطان منصة حكمك القاعد على سرير الأمر والنهى مؤيداً بالعصمة والأمن والتوفيق والكرامة، عبدك المتمكن فى دوحة روضة العبودية المحضة، ودونه خاصة عبيدك وعبادك، سيدنا محمد، الثابت القدم فيما تزحزحت به عزيمة العزم، مثقال ذرة عن صراط أمرك ومرادك، وسلم اللهم عليه وعلى آله شموس حضرات الحضور فى سدرة الترقى الجامع، وأصحابه أسودك المتبحبحة تحت أعلام وطيس الملاحم والمعامع، وعلى تابعيه ووارثيه المؤيدين بخدمته القائمين بإحياء سنته، إلى يوم الدين، والسلام علينا وعلى عباد الله الصالحين.. آمين.

أى سادة، بوارق الأرواح فعالة فى عالمها، وعالمها المحض الذى تصدر فيه إشارة الأمر، فتتدلى من خزانة السر إلى محفل الجهر، فبعد

ظهورها تنقطع عنها لمعة الأغلاق الروحانى، وتدل عليها بردة السبب المدرك العيانى، فأهل الحجاب يقفون مع السبب الظاهر، وأهل النور يشهدون السبب الذى انبطنت فيه الأشائر، فأهل الرياضة من أهل الزيغ يصلون إلى مكان جمع الهمة، فيظهر بهم أثرها من تسلق الروح المهيئة، فيزعمون التحكم فى المحضر الذى هو عالم الأرواح، وأين هم منه؟ لو كان لهم ذلك لوردت عليهم همتهم بلا تكلف لجمعها، ولحصل لهم سر الاطلاع على حكم الإشارة الصادرة، سواء كانت بجمع همتهم أو بجمع همة غيرهم، وهذا شأن أصحاب الترقيات الروحية من خاصة هذه الأمة المحمدية.

باسم الله، لا حول ولا قوة إلا بالله، يا أهل الحضرة يا أهل الطمس يا ركبان يا أدلاء يا فقهاء يا فقراء يا خاصة يا عامة، هذه حضرة لا لغو فيها، أنصتوا بأذن العقل الكريم وتلقوا بفهم القلب السليم، أنتم على بساط ها هى تصب عليه سحب الرحمة والكرم، وتمد عليه موائد البركة والنعم، أنتم فى ديوان جنده الواردات الغيبية وباطنه التدليات السماوية وحاكمه الأمر النافذ الربانى الذى لا دخل فيه لحمحمة نفس فلان وعلان، أسرار الكتاب المنزل وحكم مقاصد الحبيب المرسل يملى على بلسان الإفاضة ويملى منى إليكم بطريق الوساطة، وأنا فيه مثلكم وفى مرتبة المحكومية لا فرق بينى وبينكم، قال تعالى لحبيبه عليه أجل صلواته وأعظم تحياته: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ هذا التحكيم مرتبة العبدية وبسط مائدة الأنسية، ولكن نشر على رأسه الشريف إعظاما لجليل قدره وإعلاء لسلطان أمره لواء قوله تعالى: ﴿يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾ فظهرت دولة الفرقية بينه وبين كلٍّ من أمته، فهو صاحب مرتبة الفرق،

وإلا فنحن لا فرق بيننا إلا بالبصيرة النافذة والحجاب المسدل، فهذان لا يفيدان الفرق الذى يقطع المناسبة بين المبصر والمحجوب، لأن قلب الشأن لا شيء على من هو كل يوم فى شأن، فهذا اللجام رد شكيمة أهل الدعوى عن الترفع والتعالى وأنزل العارفين منزلة الأدب والخدمة فى حضرة التلقى والأفراغ، فهم أبواب حكمة ناشر الحكم القدوسية، ووسائط البلاغ منه للعصابة الآدمية، وهو ﷺ الأمين الماعون مستودع سر ﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ وله يد الرفعة على كل فرد من أفراد بنى آدم أجمعين بشاهد ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ والأدلة العقلية ساطعة براهينها تجاه جاحده، فلا يجد خلقًا لنبى مرسل، ولا يسمع بخصلة لكريم مقرب إلا ويجد لهذا السيد العظيم فوق يا فوخ ذلك الخلق ويعسوب تلك الخصلة أشرف وأعظم من كليهما أخلاقًا كريمة لا تحصى وخصالا جليلة لا تستقصى، لا زالت سحب منته المحمدية تسح عليكم وعلينا وموائد عوارفه الأحمدية تمتد إليكم وإلينا ولجميع المسلمين.

أى سادة، سرت ركبان الناس بما ناسب أهواءهم ووقفت عقائدهم مع كل ما جانس طباعهم إياكم وهذه الطامة فإنها النار الموقدة، قال نبينا ﷺ : «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعًا لما جئت به» من لم يجعل الهوى عبدًا ذليلا مسخرًا لدى سلطان الشريعة الذى شرعه نبيه ورسوله فأين هو من الإيمان؟ كلت العزائم وحلت الهمم عند تفريق هذه الملابسة البينة.

أى أخى، يطيب لك القول فتقف معه بدعوى الاتباع، كأنك تهزأ بالأمر، يثقل عليك فتنصرف عنه بدعوى إقامة الحجة، كأنك تستخف بالنهى، الأمر والنهى سران بارزان يعود شأنهما لمن أبرزهما، ألا وهو ربك

الذى صرف لك النطق باللحم والسماع بالعظم والبصر برق الجلد والقوى المجتمع فى الهيكل الطينى المركب، وأسكن عقلك دماغك وأقرفهم عقلك فى مضغة قلبك، وأقام عليك الحجة بهذه الآثار الإلهية المجتمعة فيك القائمة معك، فأين أنت بعد هذا إذا اتبعت الهوى وخالفت فالق الحب والنوى، أعيذك بالله وإياى من ذلك.

باسم الله باسم الله يا أولياء، يا وعاظ، يا رجال الدوائر، يا أصحاب المنابر، يا شيوخ الأروقة، يا فتيان الربط، يا أهل الزيق، يا سلاك الطريق، يا حكماء، يا علماء، يا أرباب النقول المعقولة، والعقول المقبولة، أين أنتم؟ كل ما أنتم فيه تحت كلمتين: وصل أو قطع، فالوصل باطنه وظاهره وأمه وأبوه وروحه وجسمه التأدب بآداب القرآن على ما شرع حبيب الرحمن، وما فوق ذلك من الأقوال والأفعال فمن هفوة نفس، أو من استراق سمع القلب على متن الروح من طريق الشهوة، فظنه صاحبه من واردات الروح، وعجز عن كشف منازلاته، وحكه بمحك الشرع لغلبة وجد أو لشدة طيش أو لموافقة هوًى، أو لمنازعة خصم وقد يكون ذلك من حال سلب، فإن استمر السلب فالمسلوب غير مكلف، ولا يؤاخذ ولا يقتدى به، وإن نزع السلب وعاد الفهم فالأدب كشف ما كان فيه وإنكاره وتوبيخ نفسه عليه، وإعلام أهل حضرته بخسة ذلك الشأن، وأنه من زبد موج السكر الصرف عن حضرة الأمر، وقد يكون ذلك من انكشاف الآيات وقصر العزم عن ترك عالمها، والترقى إلى طلب مظهرها سبحانه وتعالى، فيطيش لها العقل وترتاح لها النفس المضمخة بدخان الرعونة، فينقلب اللسان ويتجاوز ميزان الأدب، ظنا بأن مشهوده تحت حكم وجوده وأين هذا المسكين من القيس الذى لا يجهله جهلة الناس، وعليه الظاهر، وحكمه الباطنى عين ما عليه الشأن الظاهرى،

وذلك كيف يدع كل راءٍ ملك ما رأته عيناه بمجرد شهوده له وارتياحه له، أو برؤيته مشهوده وحده، وكيف لا يمر بخاطره أن لهذه الآثار أهلا؟ كيف لا يقول: يوشك أن الناس على الغالب رأوها وانصرفوا عنها إلى أحسن منها، وأنا الآن حتى جئتها ورأيتها، ويه عليك أيها المحجوب المبعود: تظن بالناس الفتنة؟ من ظن بالناس الفتنة فهو المفتون، القريب يكون خائفًا، أصلح شأنك بالأدب المحض، فهذه الحضرة بين رفارفها وأوهام أهل الدعوى أهوال، هذا مذهب الوصل وأهله.

وأما القطع والعياذ بالله فهو إما قطع بالأصل، كحال الكافرين الذين يفترون على الله الكذب، أو قطع بالسبب، وهو كثير، ومنه الكسل، وترك العمل، وهجر الأدب، وملابسة الأخلاق الذميمة، ومقاطعة الأوصاف الكريمة، والانحراف عن السنة الغراء والمحجة البيضاء، فدواء هذا القطع ما نص في الوصل، وداء ذلك الوصل ما نص في القطع، فأعينوني على أنفسكم بمتابعة نبيكم سيدنا ومرشدنا ووسيلتنا إلى ربنا وهادينا محمد ﷺ، فإنه زكانا وعلمنا الكتاب والحكمة، وعلمنا ما كنا عنه في عماء الجهل، وإياكم وانتحال الغلاة ووقاحة أهل البطالة وموالاة أهل البدعة، ورؤيا النفس على أحد من الخلق، وخذوا جهدكم بنصيحة بني آدم كبارهم وصغارهم: البر منهم والفجر، المؤمن والكافر، أدوا ما عليكم وعليهم، والله ولي المتقين، وحسبنا الله ونعم الوكيل، وصلى الله على رسوله علة الخلق وآله وأصحابه أجمعين.

وقال رضي الله عنه: الحمد لله تمجيدًا لذاته المستحقة، الحمد لله. والصلاة والسلام على نبيه ورسوله السيد الكريم محمد، صاحب لواء الحمد، وعلى آله وأصحابه الثابتين على العهد والموفين بالوعد.

أما بعد: أى سادة، ذرات الحادثات محكومة لسلطان الخالقية ومنها العالم الإنسانى، فهو مرءوس مقدور لذلك السلطان الربانى، وهو فى قبضته، وكل فرد منه مملوك لبارئه عبد له سبحانه وتعالى، حريا لنسبته إلى غير البارى تعالت قدرته والناس فى مرتبة المملوكية ومنزلة العبدية له سبحانه سواء، فكلما صحت نسبة العبد إلى سيده ـ جلت عظمته ـ ارتفع فى مقام عبديته عن إخوانه فى نوعه، وعلا عليهم، حتى إذا صار له من السلطان الإلهى معنى رأس به لا بنفسه على غيره، وسعة أمر رياسته هى بنسبة المعنى الحاصل له من قدس بارئه جل وعلا.

هؤلاء المرسلون فى النبيين أعلى منهم رتبة وأوسع رياسة، هؤلاء أولو العزم فى المرسلين أرفع مقامًا وأعم أمرًا، هذا سيد أولى العزم نبينا البر الرحيم ﷺ، وعليهم أجمعين، فهو فى أولى العزم أعظم مكانة وأشمل دعوة وأوسع دائرة وأتم حكمًا وأبلغ حجة وأمنع سلطانًا، لما حصل له من جليل المعنى القدسى فوق غيره من إخوانه النبيين والمرسلين، صلوات الله عليه وعليهم أجمعين.

وعلى هذا فالأمر النافذ القائم المحكم فى عوالم الإنسان هو الأمر الإلهى، والقائمون به بالتقليد الربانى الأنبياء والمرسلون، وعنهم العلماء بالله حكماء الدين، الذين هم ورثة الأنبياء، وزمامه بيد نائب النبوة فى كل عهد وزمن، به يصول ويجول ويفعل ويقول وتخضع له الفحول، وله الرياسة العامة فى مقام النيابة المحضة الجامعة وبعده، فالقوم أرباب البصائر المندرجون فى ذيل العلم بحال النبوة وسر الخلق وحكم الخالقية، فلهم كلٌ بنسبة حصته رياسةٌ على من دونه من إخوانه يعلمهم، يزكيهم يرفق بهم

لتعليمهم يغلظ عليهم لتأديبهم، يسوقهم إلى بساط العلم وحضرة الفهم لينقذهم من وهدة الجهل، من أسرار الانحطاط عن هذا السر ليخرجهم من الظلمات إلى النور، من ظلمات أسفل الطبع ودناءة الهمة وقصر النظر وسقم الغاية إلى نور شرف الطبع وعلو الهمة وصحة النظر وجليل الغاية، فيقوم اعوجاجهم ويصلح احديدابهم، وتذهب طمة فشلهم وتنطمس ثورة ذلتهم.

العزة لله ولرسوله وللمؤمنين، ولا تزعم أى أخا الحجاب أن أخاك الإنسان الآخر عبدك بدريهماتك بوقتك بحظك بشأنك بما أنت فيه من أمرك، هو فوق ذلك وأنت دون ذلك، كل من ساواك بتركيب الهيكل أو ماثلك بالصورة والنسق فهو أخوك بجنسيتك شريكك بآدميتك، لا هو مملوكك ولا أنت مالكه، وكل ما خالفك بتركيبك فهو ملحق بجنسه، حقر أو عظم، وأنت ملحق بجنسك، فاعرف حدك ولا تبق وحدك، حاجتك ملزمة لك وحاكمة عليك بالانضمام إلى أبناء جنسك والاستئناس بهم، وقاضيةً على طبعك بالأدب مع صنوف أجناس الأشياء من ذوات أرواح وجمادات بارزات ومطويات علويات وسفليات، فأجمع رأيك على العلم بالله لتعلو فى مرتبة آدميتك بين جنسك، ولتزكو فى نفسك، ولا تكن قليل العبرة خامل الهمة قصير النظر.

انظر حكم ربك، سر بروحك سير همتك فى ملكه سبحانه، اعتبر بمصنوعاته، قال تعالى: ﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الأَبْصَارِ﴾ استرق أمره أقوامًا هم لولا أن استرقهم أمره أحرار، خالفوه فأوقعهم فى وهدة الرق، استعبدهم عصيانهم، أذلهم طغيانهم، فخذ بهمتك العلية طريق الاستسلام له محجة، وسر إليه أمينًا من غيره، لا تقل قدره أوقفنى عن السير إليه، هذا من

بطالتك، من كسل عزمك وفتور عزيمتك، اجعل القضاء والقدر صفا وابعث معهما قلبك ويقينك واعتقادك، واجعل العقل والتدبير صفا وابعث معهما رأيك وحزمك وأملك بربك واعتمادك، وأقم بين الصفين حرب العمل، وكن أنت فى صف العقل والتدبير المؤيد بحسن الظن بالله، وبصدق الاعتماد عليه سبحانه، فإذا انكشف غبار ذلك الحرب عن غلبة لك فى أمرك فقد أثمر غصن أملك بربك وحسن ظنك به وصدق اعتمادك ففزت بمطلوبك، وإن انكشف الغبار عن مغلوبية لك فى شأنك فقد انكشف لك غطاء القدر وأنت حينئذ معذور وسعيك مشكور، وعملك عند الله تعالى وخاصة عباده مبرور.

الله الله، بك أوصيك، بك أيها العاقل فإنك، خزانة من خزائن الرحمن عظيم عند من صورك إن عظمت ذاتك وعرفت شرفها، قد امتازك ربك بالعقل ورفع به درجتك على من هو دونك وأعطاك لسانًا يقذف درر الحكمة إلى سامعيه، فيختلب بها قلوبهم، ويشغل ألبابهم ويعقد هممهم ويوقفهم عند حدودهم ويجمعهم على صعيد القصد، فلا تستصغر شرف الكلام وتهمل مرتبته التى هى أعلى المراتب المتدلية من العلى تدليا إلى العالم الأدنى.

هذه أ ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز س ش ص ض ط ظ ع غ ف ق ك ل م ن ه و لا ى هى حروف التهجى ورابطة نظم الكلام، وكتاب الله المنزل على آدم عليه السلام، والكلام سيف الله الذى يجمع به ويفرق، ويبغض به ويحبب، ويفعل به العجائب، تصلح به القلوب ترتبط به الأسرار تلين سببه الخواطر، تحصل به الألفة والمودة، تشق به العصا، تنحدر من موجته سيول الفتن، تنطلق بسيال محدوره غوائث غشاء المحن، تنشط بهمة أساليبه الهمم ترتفع بنهضته العزائم إلى حضرات القرب تنحدر بجاذبته المواهب إلى حظيرة

القلب وراءه السيف المصلت، إذ هو مخبأ فى طيه يلقى هو أولاً ويقوم له السيف ثانيًا، فهو من آلاته من مواده يعمل له ليرجع النظم إليه كلمة يقولها القائل وهو كافر زنديق فيقف بها فى صف المؤمنين الموقنين، وكلمة يقولها القائل وهو مؤمن وثيق فيقف بها فى صف الكافرين الجاحدين، ببيعتك أيها اللبيب على اسم ربك، بعهدك على طريق نبيك تتصدر فى محاضر القدس، هى كلمة قلتها ووقفت عندها فدخلت فى القوم الذين ألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها.

الكلام الذى ينطق به لسانك ويأتى بمركبه فمك آية قلبك خزانة سرك مجموع شرائف عينيك، مواد صفاتك نظم كليات ذاتك، أفرغت كلك فيه بعد أن خرج من فيك، كتب عنك بل كتبك على الرقاع، نقل عنك بل نقلك إلى الأسماع، أطافك فى الأفواه والصحاف، أقامك فى المجالس والدواوين، أثبتك فى العيون والقلوب.

كن شريف الكلمة شريف الهمة أخا الحكمة، لا تمط نقاب الحكمة بالوهم وتعمل كالفيلسوف الذى جرد الحكمة عن شرفها إذ كساها باسم الفلسفة غير كسوتها، أجل كن حكيمًا وانطق بالحكمة، وإياك والتفلسف، فإن منه طرق وهم تدفع إلى غير سبيل الصواب لتوسع طائف الخيال فى مجالات التنفيذ، والتطرق بما لا يقف به العقل طلبًا لزبدة المطلب والقصد، على ما هو عليه حسن، ولكن جرد كلام الفيلسوف للسامع من كلمة الحق باطل، نفس المتكلم قصد بالمجرد عن الحكمة وجرد كلام من ظن به الخير من كلمة الباطل حق حسن الظن فربطه حسن الظن بهذرته، فياليت الفيلسوف طمس باطل نفسه ولزم الحكمة فقام لها وقال بها ونفع الناس،

وليت من ظن به الخير محق باطله فأخذ بحبل الحكمة وغسل صحيفة سره من زوره وبهتانه وتمسك بأذيال الحكماء فانتفع بهم ونفع بعلمهم الناس.

ومن العجائب فقد يفجر الرجل بنفسه ويصون سر الحكمة، فيؤيد الله به أمره ويعز به جنده، قال رسول الله ﷺ في غزوة خيبر: «قم يا بلال فأذن أن لا يدخل الجنة إلا مؤمن، إن الله يؤيد الدين بالرجل الفاجر» ماذا يفعل العاقل بحلس البيت من القوم الذين انتفخت أوداجهم بالدعوى ولا أثر لهم في الدين.

قال جابر رضي الله عنه: قال لنا رسول الله ﷺ يوم الحديبية: «أنتم خير أهل الأرض» وكنا ألفا وأربعمائة، ولو كنت أبصر اليوم لأريتكم مكان الشجرة - يريد بالشجرة الشجرة التي بايعهم رسول الله ﷺ تحتها المعينة بقول الله تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾.

فانظر أيها الأخ اللبيب كيف صحت الخيرية لألف وأربعمائة رجل إذ ذاك دون أهل الأرض شرقها وغربها، هل كان ذلك إلا لأنهم تجردوا بأنفسهم وأموالهم لإعلاء كلمة الله تعالى وإعزاز دينه، وعلى ذلك بايعوا رسوله ﷺ وعليهم أجمعين، وهل الدين إلا كلمة صادقة وهمة عالية، تسقط همة الرجل الماجد الكريم على كل شريفة، وتسقط همة الخب الدنيء على كل ساقطة، ورب الشبهة يتطرق الشبهة والخيِّر لا يظن إلا خيراً، ولا تشب به همته إلا إلى المعالي وعلو الهمة من الإيمان، والساقط الوضيع يريد الترفع بهمته فتغلبه نفسه فترفع بنزغها وتتداعى همته ساقطة بطبعها ويرى لخباله بمرآة خياله، إن ترفع نفسه بنزعها عين الهمة ثكلته أمه، ما فرق بين الوقاحة والرجاحة هل تستوى الظلمات والنور الهمة ترفع العبد إلى مقام السر

والنجوى همة العارف بربه الحكيم بنوره أرفع من العرش، هات أى أسير الدعوى، طور همتك وقسه على أطوار أهل الهمم، وأحكم إن كنت من المؤمنين إن كنت من الصادقين إسحاق برحى الحكمة دقيق شعبر مخيلتك لينسف عنها دقيقًا تسفوه الرياح، وأذن فاستنق لطبعك برا نقيا من زرع الحكماء أعيان السلف، وراث نبى الهدى ﷺ، قال عليه أفضل الصلاة وأشرف السلام: «يأتى على الناس زمان يغزو فئام من الناس فيقال: هل فيكم من صحب النبى ﷺ؟ فيقال: نعم، فيفتح عليه، ثم يأتى زمان فيقال فيكم من صحب أصحاب النبى ﷺ؟ فيقال: نعم، فيفتح عليه، ثم يأتى زمان فيقال: فيكم من صحب صاحب أصحاب النبى ﷺ: فيقال: نعم، فيفتح».

هذا التحكم سر الوراثة المحمدية وسنته ﷺ قائمة وحكمته دائمة، فلا تكن أيها الأخ الصالح محرومًا من غنيمة سنته ممنوعًا بهم، واهمتك عن مائدة حكمته، فأنت إن أحييت سنة من سنته أو بثثت حكمة من حكمه فالفوز لك والبشرى المستمرة، لأنك صرت من حزبه ودخلت فى عداد خير أهل الأرض خاصة، وكنت معه غدًا وهو يقول من حديث: «رباط يوم فى سبيل الله خير من الدنيا وما عليها» رابط فى سبيل الله بمالك بنفسك بعلمك بعملك بحكمتك بهمتك، الشريف من بنى فاطمة عليها السلام قيده الشرع لإعلان علو الهمة له عن أكل الصدقة، قال النبى ﷺ لأحد سبطيه الكريمين: «أما علمت أن آل محمد لا يأكلون صدقة» وأهل الحضرة الإلهية يعملون بعمل آل محمد ويحثون الناس على العمل بعملهم، تترفع هممهم عن البطالة والكسل، ترفعهم النخوة والغارة الفعالة والمروءة المحمدية إلى

شق غبار الأكوان وخوض معامع الوجودات، كل ذلك لله ولرسوله ولإعلاء كلمة الله فى ملك الله بحكم قاهرة وهمم زاهرة جمعت بين أمرى الدنيا والآخرة، وكذلك الموفقون والمقربون والمحبون وأولئك هم المفلحون، بل أولياء الله المقبولون ﴿أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

أخذ الله العهد على روح أحيمد العبد اللاش أن لا تقف عند سفاسف الأمور، ألا من علت فى الله همته علت عند الله مرتبته، ومن وقف مع غرضه ما عوفى من مرضه، ومن لم يصرع صنوف الحادثات بكف الطرف عنها ارتياحا لموجدها وانبساطا به فهو عن حلاوة الإيمان وعن مذاق شراب الهمة بمعزل، ولا يخطفنك حتى لك على علو الهمة أن تهمل العلم بحال الضعاف والفقراء وحرفهم وصنائعهم وما هم عليه من عاداتهم وأمور معاشهم، فإن العلم بذلك والعمل به والتحقق بكله والوقوف على سره والترقى إلى ما لا غاية له إلا الشرع، إنما هو من علو الهمة ومن بوارق أسرار النبوة هؤلاء الأنبياء العظام عليهم الصلاة والسلام كلهم رعوا الغنم، ومنهم نبينا سيد العرب والعجم، لتطرق طرائق الأمم والعلم بأحوال طوائفهم وللادار على سياسة عوالمهم وللتدرب بالرفق ومسالكه، حتى بشأن الحيوانات الغير الناطقة، بل وللتسلق إلى نسج خدر الهمة بالرفق العام فى حق كل بارز وطامس عينى وغبى، ليكون ذلك السيد رحمة عامة على خلق الله وبحراً فياضًا عذبًا هنيئًا مريئًا، يسح على ملك الله، وهذا طريق الوراث الذين أثابهم الله الفتح وأوصلهم بحبال الرسل وجعلهم نوابًا عنهم، وجمع عليهم أمرهم وحققهم بالتخلق بأخلاق درة قلادة المرسلين وأكرمهم على رب العالمين، سيدنا محمد النبى الأمين ﷺ الملك البر المعين، وهنالك

يقدر على إيضـاح ما يلزم للخلق فى أمر معـادهم ومعاشهم ويكون كـالغيث أين وقع نفع، والله ولى المتقين وإليه يرجع الأمر ومنه العون والنصر وحسبنا الله ونعم الوكيل.

شرف العقل بالإنصاف، وإلا فهـو مغلوب لما تبرزه له النفس من غرارة الهـوى وشرف الفـهم بالإذعـان، وإلا فهـو مـحكوم لطارق الرأى، والدامغ لباطل الحرص والأمل حـد الحق ومن أخذه باطله فتجاوز به حـد الحق فهو غدار، وأم هذه الآمـال الكاذبة سبحـة خاطر تجـر الفكر إلى استحـضار لذة تطيب لها النفس وتفرح بها الشهوة وتقف عندها العزيمة، فهنالك يقود الفكر العزم فيخوض معًـا مع الأغراض، لو طرق طارق العزم باب السماء ولم تكن له آية علم إلهى تجـمع به قومًـا على الله فتنفـعهم فى دينهم ودنيـاهم فليس بشىء، ومن لم يغر على المـحبوب فلا يـرضى أن يسلك ذمه فى أذنه فليس بمحب، ولا الصـديق إذا لم يغر على صديقه حـتى لا يرضى أن يسلك ذمه فى أذنه فليس بصديق، والنخوة سلم العبد إلى سدرة منتهى المجد وفيها من ثورة الغيـرة لله أس كريم، والاسـتقامـة وصف لا يشتمـل عليه إلا رداء كل عظيم، والعارف المحض يستقل الدنيا فلا يراها إلا دون شراك نعله ويستعظم الأشيـاء لموجدها، فلا يرى إهمـال شىء ردا بذلك الشىء إلى أصله، هات اجمع يا حكيم بين هاتين وأنت إذن الرجل العظيم شف بباصـرة عملك سيرة نبيك الأمين وآله الـطاهرين وأصحابه الهداة المرضـيين فتحـوا البلاد وصانوا العباد ومهـدوا السبيل وأفاضوا العدل ونظموا الأمور وأحكمـوا حكم سياسة الأمم، وهم أزهد الناس بالدنيا وأعـراضها، وأبعدهم عنها وعن أغـراضها، سر بـين الحائطين: حـائط العمل وحـائط التسليم ورح إلـى عالم جمـعك

بفرقك، ولا تجمع بين حدثك وقدم ربك، فإنك إن فعلت ذلك انخرطت في الضالين.

اجمع بفرقك بين علمك وأمره بين عملك ورضاه بين طلبك وكرمه وأنت حينئذ من الصالحين، لا تتم على حلس حالك غير مترفع إلى حال فوقه، فإن من تساوى يوماه فهو مغبون.

ما أطيب السير في الله إلى الله، إنا لله وإنا إليه راجعون، كن في موعظتك حكيمًا ولا تكن للخائنين خصيمًا، واعمل بعلمك إذا كفاك للعمل، ولا تقف في العلم عند غاية فإن غايته فوق عمرك، اطلبوا العلم من المهد إلى اللحد، أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين، ارفع نظرك إلى المعالي بدينك إلى المعالي بنبيك إلى المعالي، بربك لا تضع عزيز نظرك على تراب الضعة فتربض على كل قتب، تلك شيمة البطالين، وتدرع بدرك علم الصحابة وانتق بنسق حال الآل الكرام، عليهم جميعًا الرضوان والسلام وهنالك لا يطغيك حال ولا يزيغك شأن وصف نفسك وإن بعد المدى عليك بصفهم يدخلك فيهم تحققك بأحوالهم ويحققك بهم تخلقك بأخلاقهم، من غشنا ليس منا، وعلى هذا فمن لم يغشنا فهو منا، قرب المدى أو بعد، هذا في الأمرين وعلى الحالين، شارقة فجر النور المحمدي طالعة لا تغيب أبدًا إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين، فمن كلف نفسه خدمة ذلك الجناب بإحياء سنته وإعلاء أمره فقد فاز، وله أجر مائة شهيد، يؤيد ما أقول قوله ﷺ: «من تمسك بسنتي عند فساد أمتي فله أجر مائة شهيد» قيل لرسول الله ﷺ: «يا رسول الله، أي الناس أفضل؟ فقال رسول الله ﷺ: «مؤمن يجاهد في سبيل الله بنفسه وماله» قالوا ثم من؟ قال: «مؤمن في شعب من الشعاب يتقي الله ويدع الناس من شره».

أفهمت أيها الأخ الصالح وأدركت أن نبيك سر سرارة الأزل ونور باصرة الأبد ﷺ، فرق الناس فقسمهم إلى ثلاثة أقسام: رجل نافع يجاهد في الله بنفسه وبماله، ورجل يتقي الله ويعتزل الناس، لكيلا يضرهم، ورجل إن لم يكن أحد الرجلين فهو ـ حمانا الله وإياك ـ مضر، وهو هالك، هذا ما تضمنه كلام صاحب جوامع الكلم، وأفضل الثلاثة المجاهد في سبيل الله بنفسه وماله، تهادت عيس همم الموفقين إلى طلب الحق بالجهاد في سبيله، وإن ذاك لعلى طرق وأقسام، منه جهاد باللسان، ومنه جهاد باليد، ومنه جهاد بالمال، ومنه جهاد بالعزم، ومنه جهاد بالعزيمة، وكلها تئول إلى الله، يشكلها قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ وأشرفهم الجامعون، وإن نظر السلطة ليحكم على الطباع من طرق شتى: حق وباطل ووهم وغير ذلك، فلا تكن بعملك أسير قيد نظر السلطة، متى حضر عملت ومتى غاب بطلت، تلك شائبة الرياء، شائبة الأمل، شائبة الخوف، اطرحها عنك بعزمك، واخلعها متجرداً إلى ربك، ما أدنى همة من قيده النظر بعمله وأفلتته غيبته عن العمل، أي شنشنته في الهمة الرفيعة وأي نغمة لها في أذان الحادثات ومدارج ترقى السر في عوالم الغيب والحضور تترفع بنسبة ما يفاض لها من نور العقل والتوفيق بيد الله تعالى، حار أهل الأبصار والبصائر بما وراء هذه الستائر، والحيرة عجز حاكم على كل ذي عقل بالإيمان المحض، والوقوف على جادة السلامة ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ وهذا كتابه تعالى الحجة القائمة والمعجزة الدائمة، وفيه جميع الحكم خفيها وجليها كلها وجزئيها، عرفها العارف فرأى من آيات ربه الكبرى ولهذا السر الأعظم قال النبي ﷺ: «إن أفضلكم من تعلم القرآن وعلمه، آيات بينات وكلمات

جامعات وأسرار إلهيات وعلوم ربانيات طويت فى منشور هذا الكتاب القويم والكلام القديم، إن فى ذلك ﴿لآيَاتٍ لِأُولِي الأَلْبَابِ﴾ هنالك جنود الله الجوالة بحور الله السيالة سحائب الله الهطالة سيوف الله الفعالة: ﴿الٓمٓ ① ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ② الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ③ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ④ أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ خذ أنموذج القدرة وحال العلم وشأن الحكم وسلطان الأمر من هذا الكتاب الكريم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، يثقل على من قيده طبعه وغلبه هواه وقهرته نفسه فأوهمته أنه فوق جنسه.

إياك ونزغ الشيطان فإنه يسول لك ويوهمك أنك فوق غيرك، اتق الله بالآدميين، قال ربك سبحانه لأشرفهم وأعظمهم: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ وضرب له خدر الفوقية بسلطان: ﴿يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾ والوحى به ختم وبعده انقطع، والمثلية فى كلنا قائمة باقية معنا لا تختم ولا تنقطع ما دام الآدميون ها هو فى أى صورة ما شاء ربك، خذ حصة الأدب وسهم العبرة من تركيبك، ركبك من أجزاء نوعك الكثيرة المقطعة المركبة فأقامك كما أنت، فصن أجزاءك من خبث اختيارك، لا تعط أذنك طريق السير إلى سماع الكذب والزور وفحش الكلام، ولا تبعث عينك إلى النظر بما لا يحل، ولا تجعلها تستحسن الفانيات فتسوق طبعك إلى حسد هذا واستعظام هذا واستكثار هذا، ولا تسير رجلك فيما لا يرضى ربك، ولا تنطق لسانك الا بخير، ولا تمد يدك إلا إلى خالقك فيما يئول إلى مراضيه، ومن بطنك وظهرك وما سترت عن كل ما يوقعك فى وهدة السؤال والخزى، واشكر الله

على السراء والضراء واذكره فى الشدة والرخاء وكن معه فى الصحة والمرض فى بابه فى السقم والعافية، ولا يدفعنك المرض والسقم عن الربوض ببابه سبحانه، فإن النبى ﷺ يقول: «مثل المؤمن كمثل الخامة من الزرع من حيث أتتها الريح كفأتها فإذا اعتدلت تكفأ بالبلاء، والفاجر كالأرزة صماء معتدلة حتى يقصمها الله إذا شاء» فأبهج بالوصف الدال على إيمانك وافرح بربك وبما يجىء منه إيمانًا به وركونًا إليه وارض عنه فى كل أحوالك، فإن العاقل غالب رضاه على سخطه فى كل أموره، والأحمق غالب سخطه على رضاه فى كل أموره، وكذلك فالرقيق المتعتب المتسخط لا يرافق، والرفيق الراضى الحمول لا يفارق. والنفس يطيب لها كل حال يأخذ بها إلى الهدأة وجمع الحال وحضور الهمة كيف كانت، ويصعب عليها كل حال يجرها إلى الاستفزاز بطارق التسخط ويوردها حوض شتات جمعها، ويغلب حضورها، وانتصب لمعاشرة الآدميين على قدمى الصبر والتحمل، فالبدن له رأس واحد، فلا تجمع رأيك على أن تجعل كل عضو فى البدن رأسا وقل لمن لم يتحقق بنسبة خلقه فى حكم الرأسية، كن ذنبًا ولا تكن رأسًا، فإن الضربة أول ما تقع فى الرأس، وارفع همة من تنزع بخموله عن حق خلقه، كأن خلق يدا فوقف رجلا أو خلق رجلا فأندلس وركا، ولا ترى لك الخيرية على غيرك بعلمك بعملك، فإن ذلك من التجرى على الموجد جلت عظمته، قال رسول الله ﷺ : «لن يدخل أحداً عمله الجنة» قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «ولا أنا، إلا أن يتغمدنى الله بفضل ورحمة، فسددوا وقاربوا ولا يتمنين أحدكم الموت إما محسنًا فلعله أن يزداد خيراً، وإما مسيئًا فلعله أن يستعتب» والعتبى التى أشار إليها رسول الله ﷺ هى أن يطلب العبد رضاء ربه بالتوبة والرجوع إليه، وهو أكرم الأكرمين.

ولتكن أيها الأخ الصالح كثير الأدب مع خلق الله، كثير الرحمة والشفقة على والديك أمك وأبيك، وصولا لرحمك متوددًا لجيرانك، ذا حنو عليهم رءوفًا بالمؤمنين متحققًا بشأنهم بأخلاق نبيك ﷺ، فهو ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ وكذلك ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾.

وإذا أدخل عهد الله فى آلك من ليس منهم فارحمه كرحمتك لآلك عملا بحال معلمك الذى زرع الخير فى قلوب المسلمين ﷺ، قال أسامة بن زيد رضي الله عنهما: كان رسول الله ﷺ يأخذنى فيقعدنى على فخذه ويقعد الحسن على فخذه الآخر، ثم يضمهما ثم يقول: «اللهم ارحمهما فإنى أرحمهما» ولتكن بارا بجارك، فقد قال المصطفى عليه وعلى آله أكمل صلوات الله وأجل تسليماته: «ما زال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه» ولتعرف لولى الله حقه بالكف عنه فيما زاد عن حق الله ورسوله، قال رسول الله ﷺ: «إن الله تبارك وتعالى قال: من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلىّ عبدى بشىء أحب إلىّ مما افترضته عليه، وما زال عبدى يتقرب إلىّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها، ولئن سألنى لأعطينه ولئن استعاذنى لأعيذنه، وما ترددت عن شىء أنا فاعله ترددى عن نفس المؤمن، يكره الموت وأنا أكره مساءته» فخذ من هذا الحديث القدسى العلم بالولى واعرف حقه ولا تحط من قدره ولا تغل به وابتغ الخير بسببه واتبعه، وأنب إلى الله كما أناب، وأكثر من قراءة القرآن وقت انشقاق الفجر، فإن فى ذلك الوقت معنى من معانى حال النبى ﷺ، ورضى الله عن ابن رواحة الصحابى الجليل، فإنه قال يمدح سيد الممدوحين نبينا الأمين صلى عليه رب العالمين:

وفينا رسول الله يتلو كتابه
إذا انشق معروف من الفجر ساطعُ
أرانا الهدى بعد العمى فقلوبنا
به موقنات إن ما قال واقعُ
يبيت يجافى جنبه عن فراش
إذا استثقلت بالمشركين المضاجعُ

واركع ركعتى الفجر، فقد قالت عائشة ﵂: لم يكن النبى ﷺ على شىء من النوافل أشد منه تعاهدًا على ركعتى الفجر، واحرص على فرائض الله، وأدّ حق نبيك الكريم بالمحافظة على سننه، وعظم ما عظم الله تعالى، وكن شديدًا فى الله، قال تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ وانفض يديك من كل عارض دون الحق، ولا تمل إلى كل معوج، واسلك الطريق المستقيم، وكل طريق رأيت فيه العويصاء التى تنكرها فدعه وانهج الطريق الذى تعرفه، وحكِّم فى كل قول وعمل شريعة نبيك السيد العظيم القدر ﷺ، وإذا قلت فلا تقل إلا خيرًا، وإذا فعلت فلا تفعل إلا حقًا وإذا صحبت فلا تصحب إلا خيرًا، وإذا قمت وقعدت فلا تكن إلا نزيها نظيفًا، ولا تعبد الله على حرف، أعبد ربك ولا تشرك به شيئًا، واجعل محجتك قول نبيك الذى هو أولى بك من نفسك: «وإذا ابتليت فامدد يد الرجاء إلى بارئك، واصبر لحكم ربك ولا تيأس من روحه فإنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون، وانتظر فرج الله، فقد قال رسول الله ﷺ: «انتظار أمتى فرج الله عبادة» وقال عليه من ربه أفضل الصلاة والسلام: «إن لله فى كل طرفة عين مائة ألف فرج قريب» وتعرض لنفحات

ربك فى كل طرفة وعظم الأشياء بمظهرها سبحانه، ما أعظم أسرار الله المطوية فى عوالم خلقه، إلف الأمم، تعظيم عظمائهم، وإلف كل أمة التشوف إلى حال عظماء الأمة الأخرى، فإذا رأوهم وإن كانوا فوق عظمائهم أولى قوة وأولى بأس شديد حطت بهم أعينهم عن مراتبهم ورأوهم دون ما هم فتراهم، يستعظمون ما لهم ويحطون على عاداتهم، يتعجبون من كثرتهم ويسخرون منهم للباسهم، وما ذلك إلا لقصر النظر عن استجماع شئون الناس واستكناه حكم حالهم وحكمة عاداتهم وشأن بلادهم وما هم عليه، ولتمكن حال عظماء تلك الأمة وشأنها من قلوب الأمة ولانطباع النفوس على تلك العادات والمشارب، والأمر كذلك فى العقائد والمذاهب.

والعاقل الحكيم لا يرى هذا ولا يقول به، وإنما يستكنه الحق فيقف عنده، يحسن ما حسنه الشرع لاستجماعه أشرف المحاسن، ويقبح ما قبحه الشرع لنزاهته عن القبائح، ويضع كل شىء بميزان الحكمة، فإن رجح استرجحه وإن خف استخفه، وهو فى الأمرين على منصة الأدب لا يهتك ستر الله المنسدل على مخلوقاته، ويقول الحق ولا يخاف فى الله لومة لائم، فكن أنت ذلك الرجل الحكيم الكريم وإذا مسك من شيطانك نزغ فقاد طبعك إلى التجاوزو التعصالى أو إلى البغى والعناد والمكابرة، أو ملك فى خاطرك بساط الحسد فظلمت وأوقعت الأشياء فى غير مواقعها، فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم، واذكر ربك، وبذكره اذكر الموت فهو باب المصير إليه والرجوع إلى حضرة أمره، والسبيل إلى الوقوف بين يديه، وتذكر هنالك سؤاله لك عن كل شىء، ولا تنس مضمون سر قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ وطف بقلبك فى كل حضرة وخذ ما صفا ودع الكدر، وليكن عملك

صالحا ليرفع إليـه سبحانه: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ واجمع النـاس عليه لا عليك، خـذهم إليه لا إليك، وهو الهـادى إلى سواء السبيل، قف هى دار عبرة أيهـا الولد، اعتبر بها اعتبر بها وسـر بكل ما فيها إلى الله، وإياك أن يشـغلك بارز منهـا عن ربك، وإياك والبطالة، مـا أقـبح الصوفى البطال، يدعى الزهد وعـينه فى المال، ويده ممـدودة للسؤال، ليس من الهمة أن يرى الرجل نفسه آخذاً، بل الهمة أن يرى نفسه معطيا سفل اليد أصعب من قطعهـا، احترف بما تصل إليه قوتك ويبلغـه إمكانك أدنى حرفة من الأعمال والصنائع فيـها، لو فقهت أشرف صفـة درج عليها أهل الهمم، وهى الترفع عن نوال زيد وعمـرو، ركونا إلى كرم الله سبحـانه، قال رسول الله ﷺ : «إن الله يحب أن يرى عبده تعبًا فى طلب الحلال» انسجوا وشى صنعاء وبز فارس وخز أشبيلية بين سوارى أروقتكم بهذه القرية، واجمعوا بين صنائع العرب والفـرس والروم، وتصدقوا مـن كسبكم على إخـوانكم حلال طيـبًا، وآسوا وكلوا مـما زرقكم الله ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾ الطيبات لله إذا اكتسبت من حلال، وأهلكت فى حلال قال سيـد أهل الهمم ﷺ : «إن الله يحب المؤمن المحتـرف» أكره ما تراه العيـن رجل عليه سـيما الـزاهدين وهمتـه همة السـائلين، من طأطأ للنوال ورضى بالسؤال فهو أخس طبعا من عجزة النساء، لا أقول هذا لأنفر القلوب من السـائلين، أدوا بمـا عليكم من حقوق الرحمة بخـلق الله، والتصدق على الفقراء لوجـه الله هذا ما وجب عليكم، ولا ينزغنكم الشيطان فتشـمئز منهم نفوسكم فتهينوهم وتروهم بعـين الاحتقار، هذا إذن يكون من تسويل إبليس ودسائسـه ولكن أقول هذا لأرفع همم أخوانى طلاب الـحق عن البطالة، قال

ﷺ : «إن الله يكره العبد البطال» رأيت خالى وسيدى الشيخ منصور، سح على قبره هطال الرحمة، وقد رد هدايا بعض الفقراء فقلت له فى ذلك فقال فيها شىء مجتمع من السؤال، ولو كان عن خالص طريق أبلج لقبلته، يريد أن ذلك الشىء لو لم يكن مشوه الوجه بالسؤال وكان من حلال طيب كنت أقبله عملاً بالسنة المحمدية، فإنه ﷺ رد الصدقة وقبل الهدية، هذا طريق القوم، بلى إن القوم يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة.

قال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله وعطر قبره لولده عبد الله: بعد أن صحب العارف أبا حمزة البغدادى الصوفى طيب الله مضجعه: يا ولدى عليك بمجالسة هؤلاء القوم، فإنهم زادوا علينا بكثرة العمل والمراقبة والخشية والزهد وعلو الهمة، رحمه الله ما أكثره إنصافًا، قد وصف القوم بما هم أهله، وهذه الصفات التى يحبها الله تعالى من عباده، قال رسول الله ﷺ : «إن الله تعالى كريم يحب الكرم ويحب معالى الأخلاق ويكره سفسافها» وقال، وهو الصادق الأمين: «ازهد فى الدنيا يحبك الله، وازهد فيما فى أيدى الناس يحبك الناس» وليس الزهد أن تختط لك كوة فى الجبل وتلبس الخشن وتأكل الخشن، وإنما الزهد أن تنفض يديك من الدنيا فلا ترفعها إلى قلبك، ولو ملكتها بحذافيرها، وإن من علامة الزهد قول الحق، لأن كلب الدنيا يخاف على جيفته فيسكت عن قول الحق، ويوافق أهل الباطل والزاهد بها لا يخاف على شىء منها، فيقول الحق وينصر الله الحق بأهل الحق ومتى أغضى الأمة على الباطل وتركوه على حاله فقد نادوا على أنفسهم بالخزى والشتات، قال رسول الله ﷺ : «إذا رأيت أمتى تهاب الظالم أن تقول إنك ظالم فقد تودع منهم» وبرواية أمير المؤمنين على عليه

السلام قال قال رسول الله ﷺ : «لن تقدس أمة لا يؤخذ فيها للضعيف حقه من القوى غير متعتع» وهل يؤخذ إلا إذا قال قوم الحق وانتصروا له؟ هذه سنة الله فى عباده حكيم ضاء قلبه بقابسة نور النبوة يفعل ما لا يفعله العسكر الجرار ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾ وكلمة تفتق رتقًا وتحيى حقًا وترفع جدرانًا وتشيد بنيانًا، والأمر كذلك الجهل ظلمة والعلم نور وإلى الله تصير الأمور.

اجمعوا أى أخوانى قلوبكم على محبة بعضكم على أولياء أموركم، اصبروا على أمرائكم، لا تخرجوا على سلطانكم، قال رسول الله ﷺ : «من كره من أميره شيئًا فليصبر، فإنه من خرج من السلطان شبرًا مات ميتة جاهلية» وبرواية عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: دعانا النبى ﷺ فبايعناه فقال فيما أخذ علينا إن بايعنا على السمع والطاعة فى منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا وأثرة علينا، وأن لا ننازع الأمر أهله، إلا أن تروا كفرًا بواحًا عندكم من الله فيه برهان، هذه أوامر نبيكم الصادق الأمين حبيب رب العالمين، فيها لكم هدى وبركة وأمن وأمان، تمسكوا بها ولن تضلوا أبدًا، عاملوا أهلكم ونساءكم وأولادكم ومواليكم بالرفق واللين، ولا تغلظوا عليهم إلا فيما يئول إلى دين الله، احفظوا لهم نظام مروءتهم فإن المروءة من الإيمان، سيروا بأهلكم فى حكم معيشتكم السيرة الوسطى لا ضيق مضجر ولا وسع مبطر قفوا بين الحالين، نحن من الأمة الوسط، اجمعوا أمركم فى معاشكم عن أن تبسطوا الأيادى فتنكف بالضيق، اجعلوا على مقياسكم وطاءكم وغطاءكم، اخشوشنوا فإن النعم لا تدوم، خذوا عن الشره وحب الثوب والمائدة جانبًا، استغنوا على الكل بالجزء، علموا أولادكم وعيالكم الأدب الدينى، اطبعوا

فيهم لوازم المروءة، قيدوا ألسنتهم إلا عن كلام شريف، قيدوا ذهابهم وأيابهم إلا إلى محضر شريف، يروى عن على الكرار أمير المؤمنين، عليه السلام، شعر منه:

يقاس المرء بالمرء
إذا ما هو ماشاه
وللشيء على الشيء
مقاييس وأشباه

والمَرء بقرينه يعرف شأن تمكينه، فقارنوا المهذبين أهل القلوب الطاهرة والأخلاق الشريفة، لا تنظروا لفقرهم وذلهم ومسكنتهم بنظر الاحتقار، فكم لله من سيف مغمد فى قراب رث خلق، إنى أسر بأربعة أشياء: إذا نزلت بأصحابى، وافرح لهم بها، وأسأل الله تعالى لهم الصبر عليها: الجوع والعرى والذل والمسكنة، وهذه شعار الفقراء، ولكن كيف هى لو عرفتم جوع فى شبع وعرى فى اكتساء وذلة فى عزة ومسكنة فى مكنة، جائع وضيفانه شباع، عار وقصاده كساء، ذليل وأتباعه أعزاء، مسكين ومواليه مكينون، كذلك عمر ابن الخطاب الفاروق الجليل وأمثاله ﷺ، على المرتضى عليه السلام جاع بعد أن كنس بيت المال فى الله، مسكين الله فى محرابه، وهو أسد الله يوم الحراب، ذليل لأمر الله، وهو الليث الغالب، شرف الأ كاسرة فى إخلاص الزاهدين، مكنة القياصرة فى مسكنة الخاشعين، وإذا كانت ذلة قلب للرب المعز وتجرد وجود للموجد الحق وإجاعة كبد للمشبع الكريم، ومسكنة حال للقدير النصير الذى يحكم ما يشاء ويفعل ما يريد، فما هى إلا طرز حال فيه أنموذج عن شأن النبيين والمرسلين عليهم

صلوات رب العالمين، والصبر عليها منحة من منح الله تعالت أسماؤه وجل ثناؤه، قال بعضهم: عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى أزهد من أويس القرنى عليه رضوان الله ورحمته، لأن عمر جاءته فهرب منها وتركها، وأويس لم تأته، ولكنه زهد فما طلبها.

اللهم نسألك علمًا بك وإيمانًا بما جاء من عندك وتوكلا عليك وانتصارًا لك.

أى سادة، الطرق إلى الله تعالى عد أنفاس الخلائق، وإنى لم أر أقرب وأوضح وأيسر وأصلح وأرجى من طريقى الذل والأنكسار والخضوع والافتقار، إذا أراد العبد لأمر هيأه له وهيأه للأمر الذى أراده له، وما وصل المقربون إلى محل الكشف والمشاهدة إلا بترك الأختيار وكثرة التواضع والانكسار وطاعة الملك الجبار، ولقمة الحرام تحجب الدعوة أن تستجاب، والفتوة كل الفتوة الصفح عن عثرات الإخوان، وأن لا يرى الرجل له فضلا على غيره، والتصوف تهذيب أخلاق طباع وعلو همة، فمن حسنت أخلاقه وشرفت طباعه وعلت همته فهو الصوفى، وإلا فلا، والإخوان أغصان تضمهم شجرة وهى المرشد ومن شذ عنهم فقد انقطع، إذا اجتمعتم على الطعام تناصفوا وتواسوا فيما بينكم، ولا يقصد أحدكم أن يغلب الآخر، فإن الغالب فى تلك مغلوب، وإن المؤثر ممدوح مثاب محبوب، وإن قلة الأكل دليل على شرف الهمة، وعكسه، وأخو الشره لا يكون شريف الهمة وإنما يكون حريصًا منهما، فعليه أن لا يظهر عيبه فى كل ما يظهر منه للناس، وأن يطهر ساحة قلبه من كل عيب له لا يطلع عليه إلا الله، ومن لم يكن له داعية من نفسه لم تنفعه داعية غيره، اعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك.

للتصوف خصال محمودة: أولها تجريد التوحيد، ثم الإيثار، ثم إيثار الإيثار، ثم حسن العشرة، ثم فهم السماع، ثم ترك الاختيار، ثم سرعة الوجد، ثم الكشف عن الخواطر، ثم كثرة الصمت إلا فيما يئول إلى الله ثم ترك رؤيا الاكتساب، ثم تحريم إدخار ما يكتسبه.

وعلامة الفقير الصادق فى جميع الحركات، التقلل من المباحات والصم عن كثير من المسموعات وأن لا يطلب المعدوم حتى يبذل المجهود والموجود وانقطاع الحيلة، حتى لا يرى فى أحواله وشدته ورخائه وتقلبه غير خالقه ومكونه، وإن الفقير متى نظر إلى ما يلبس التبس عليه أمره، ومتى ما رأى الخلق من دونه ظهرت عيوبه.

الفقير ابن وقته، يرى كل نفس من أنفاسه أعز من الكبريت الأحمر، يودع لكل ساعة ما يصلح لها ولا يضيع شيئًا، وعليه أن يخزن لسانه عن نطقه ولا يطلقه فى غير حقه، فإذا نطق ينطق بعلم وإذا صمت يصمت بحلم، ولا يعجل بالجواب، ولا يهجم على الخطاب، وإذا رأى من هو أعلم منه أنصت لاستماع الفائدة، يحذر من الخطأ ويحترز من الغلط والزلل، ولا يتكلم فيما لا يعلم ولا يناظر فيما لا يفهم، وأول ما ينبغى للإنسان أن يأمر نفسه بالمعروف، فإن ائتمرت يأمر الناس، وينهى نفسه عن المنكر فإن انتهت ينهى الناس، وإلا فيصير هدفًا لسهام قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ (٢) كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ﴾ ولقوله: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾.

إذا طابت أنفسكم للحكمة فارفعوا بها خواطركم إلى حكمة نبيكم ﷺ، وإلى كلام ربكم جل وعلا، فإن طابت خواطركم بحكمة النبى

ﷺ وتنورت بكلام الله فهى على هدى، وإن لم تطب بالحكمة النبوية وتشرف بنور القرآن فهى ضجيعة الشيطان، فتوبوا واستغفروا وأقلوا بالإنابة إلى ربكم، فرب علم ثمرته جهل، ورب جهل ثمرته علم، كل علم أنتج دعوى التفوق به فثمرته جهل بحت، الله تعالى يقول: ﴿وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ يمكن ان تكون أعلم من أخيك بنحوك، وهو أعلم منك بصبره، أعلم منه بفقهك وهو أعلم منك بعلمه، أعلم منه بفلسفتك، وهو أعلم منك بطريق حكمته، أعلم منه بخلافك وهو أعلم منك بحقيقته، أعلم منه بلغتك وهو أعنم منك بخلقه، أعلم منه بتفسيرك وهو أعلم منك بذوقه، أعلم منه بحديثك وهو أعلم منك بصدقه، أعلم منه ببيانك وهو أعلم منك بحاله، أعلم منه بشعرك وهو أعلم منك بإخلاصه.

الفنون النوعية فى العصابة الإنسانية لا تتناهى والفنون العلمية متناهية بالنسبة للمدون، فمتى قابلت المدون بالنوعى رأيت أنك لو بلغت الغاية فى كل مدون أنت قاصر فيما لا يحصى من النوعى، هذا نوع الإنسان قال فيه ربك سبحانه: ﴿عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ جاء فى الخبر عن سيد البشر ﷺ : «رُبَّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه» توسع إذا حققت وحقق إذا دققت، ولا تكن فى سيرك إلى ربك كحمار الرحا، غايته مبتداه، اقطع عقبات الوجود بعلمك، بفهمك بعقلك بنظرك باستدلالك.

سفه قوم طريق الاعتبار لغلبة الطبع فانحجبوا بظلمات الهوى وكثافة الضلال وسفهوا أهل النظر الصحيح جهلا منهم، أولئك هم السفاء ولكن لا يشعرون.

بادر أى أخى إلى ما لا بدله، وترفع إلى فضل تذكر به فى محافل ويثنى

عليك به فى الملأ الأعلى عند ربك، لتصير حميد السيرة فى الملأين، ممدوح الخصال فى العالمين.

الرجل من تظهر آثاره بعده، اجهد أن تبقى الأثر بعد العين، واجعله طيبًا مرضيا الحق، مكور تحت الضلوع توقن به أنفس الحاسدين وتعترف به قلوب الجاحدين، وحسبك أن تقر لحقك أنفس حسادك، ولو انعقدت عن النطق به ألسنتهم وأن تعترف به لك قلوب جاحديك، ولو صرفهم عن التفوه به جحودهم، هذا شرف الحق، فليفتخر المحق وليبهج أهل الحق.

رأيت رسول الله ﷺ ليلة عيد الفطر وقد ملأ نوره عوالم الله تعالى كلها فقلت: الصلاة والسلام عليك يا روح العوالم يا رسول الله، فقال ﷺ: وعليك السلام، فقلت: يا حبيبى علمنى أشرف العلوم، فقال: هو الوقوف عند الحق ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ وحسبك، اللهم صل وسلم وبارك على عبدك ونبيك ورسوله سيد أهل الحق التناصر الحق بالحق محمد أكرم عبيدك وأشرف عبادك وعلى آله وأصحابه أجمعين، اللهم أرشدنا به للحق واجعلنا ببركته من خاصة أهل الحق ﴿رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾.

يا أهل دوائر الحق فى حضرات الحق، قولوا الحق أين كنتم وحيث وجدتم، امحقوا الباطل بحقكم، افتحوا مقل الآدميين بميل الحق ليتنبهوا من سنة غفلاتكم بكم ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ﴾ والنبى ﷺ: «يقول لأن يهدى الله بك رجلاً واحدًا خير لك من حمر النعم» يا فقيه لا تصر مغلوبًا لفقهك فيغلب علمك عقلك، فتعلو وتطيش وتحرف، اجعلك وفقهك وكل ما بلغه علمك مغلوبًا للحق، صر منصفًا لتنفع الناس وتنفع

نفسك، طهر قلبك بذكر ربك، املأه بالخوف منه تعالى ليصلح، إن القلب إذا صلح صار مهبط الأسرار والأنوار والملائكة، وإذا فسد صار مهبط الظلم والشياطين، وإذا صلح أخبرك عما فى أمامك ووراثك ونبهك عن أمور لم تكن لتعلمها بشىء دونه، وإذا فسد حدثك بأباطيل يغيب معها الرشد وينتفى السعد، فيا طوبى لمن أصلح الله قلبه، أشرك الخلق كلهم فى منفعتك، فإن أحب الخلق إلى الله أنفعهم للخلق، وصر مادة نفع، فكل من لم ينفع فى الدنيا لم ينفع فى الآخرة، صحح اليقين بإشارات الصالحين، وزك نفسك بفقهك، فإن النفس على ثلاثة أضرب: نفس أمارة بالسوء، وهى نفس الجاهلين والعاصين، ونفس لوامة، وهى نفس المؤمن، تسره حسنته وتسوءه سيته، ونفس مطمئنة، وهى نفس الموقنين العارفين المنقطعين إليه، فإن من عرف الله حق معرفته قطعه إليه بكليته، قل لأرباب الغفلة مجالسنا مجالس الأحزان والمآتم، لأن الفقير لا يزال متأسفًا على ما فاته من الفضائل، يرجو الحق ويخافه، فإن سمع شيئًا يشير إلى المفاصلة خاف، وإن سمع شيئًا يشير إلى المواصلة رجا، وإن دعى أجاب، وإن سمع ردا بكى وهاب، تسير به الفطنة فى هذه المجالس لاقتناص شوارد الحكمة حتى يصير من أهلها، قال الله تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ أفيضوا نفعكم على الخلق كلهم، فإن المؤمن كله بركة ورحمة ونفع أينما كان، تعاونوا على مصالح دينكم ودنياكم، يد الله مع الجماعة، قال الله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ﴾ وإياكم والتعاون على ظلم الخلق وشهوات النفوس قال تعالى: ﴿وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ شرف الأمة بالتعاون على مصلحة الدنيا والدين، التجربة السارية بحكم الوضع الأصلى فى النوع الآدمى تقول: هلك المتفرقون.

اعـرفوا حق العـصائب الزكـية فـى الأمة ـ حطهم الزمـان أو رفعـهم ـ أضعفهم أو أقواهم، لذوى البيوتات فى قـلوب العامة سلاسل تهزها بحال ما يصل إليها، لا تهدموا شرافات بيوت مجدكم بخسة الطباع وسوء الحال، فإن أول بأن للمجـد رتب عليكم حقوقًا أعـزها حفظ مجده من بعـده، لا تقصر هممكم عن أن يتصدر كل واحد منكم فيـبنى مجدًا ثانيًا فوق المجد الأول، هذا سيد أهل المـجد وأمجدهم وأعظمهم عند الله والـناس، مولانا ووسيلتنا إلى ربنا، وسيدنا محمد رسول الهدى ﷺ، بنى للمسلمين بيت مجد إلهى دينى ودنيـوى، جمع بيـن شرفى المـادة والمـعنى، ووفق بين عزى الآخـرة والأولى، فانظروا كـيف تخلفونه فى حفظ مـجد هذا الدين المتـين والكتاب المكين، ابذلوا لإعلاء كلمة مجده الربانى المـحمدى الأموال والأنفس، قفوا عند حده لا تنحطوا عن هذه الرتـبة السعيـدة، فإن الانحطاط عنها مخـالفة، والله تعالى يقول: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ إذا رأيتم المنتصر لنبيه فانصروه وأعزوا كلمته، فإن فى ذلك من النفع فى دينكم ودنيـاكم، مـا يقصـر عنه وصف الواصف ويكل عنه لسـان المعبـر، ما أحط همة من عارض رجـلاً يسعى لإصلاح شأن الدين مـنتصرا للنبى الأمين، أف له، لا عـقل له قامت هذه الحـجة على كل آدمى ووجب عليه الانتـصار لكلمة سيدنـا محمد ﷺ، إذ لوفقـه علم أنه هو الذى شاد منار العدل وأوضح المحجة وأقام الحجة وأوقع الطمأنينة فى القلوب، وكف بشرعه الكريم أيدى الناس عن الناس، ومهد بنيان الأمن والإيمان، وقاتل لله على كلمة الله ليـذيع سر عدل الله فى ملك الله، وليفـرغ حكم أمان الله فى خلق الله، وهو الذى يساوى بشرعـه بين الأمير والمأمور والقـوى والضعيف

والغنى والفقيـر والصغير والكبير والشـريف والمشروف، وكلهم عنده فى الله سواء، وهو الذى هدم قـواعد البغى ومحق أساس الجـور وبدد أركان الظلم وبسط بساط الراحـة والبركة، وصـان الحق وحمى أهله، وأقـعد الناس على صعيد واحـد، وأرتعهم فى بحبوحة الأمان من طوارق وعناء النفـوس الباغية والطباع الـمتسلطة الـعادية، ودل على الله وأرشد إلـى الله وهذب الأخلاق، وذكَّر بالله وربط الـقلوب بحبل الله وعقـدها على محـبة الله وفـتك وأحسن وقطع ووصل، وكل فـعله لله إعـزازاً لديـن الله وإنفـاذاً لخلق الله من وهدة العـيوب القـاطعة عن الله، فـهو أمـين الله على خلق الله فى بلد الله إلى أن يحشر الخلق إلى الله، والأمر يومئذ لله، فمن أراد الله به خيراً فقهه فى الدين ودله على هذا الطريق الأمين، فـهجر المكابرة والعناد وتمسك بـحبل الهدى والـسداد، وأخذ كلمـة الحق بابًا، فدخل بها منها إلى حضـرة أمان الله مؤمنًا بالله وبكتـاب الله وبكل ما جـاء من عند الله إلى سيـدنا محـمد رسـول الله ﷺ.

أى شريعـة للأنبياء عليهم الـصلاة والسلام، وهم إخوانه، جـاءت بمثل شريعته، وأى طريقـة، للمرسلين وهم عياله وفت بمثل طريقـته امتازهم الله على الناس فأعزهم بالنبوة والرسالة، وامتـازه الله على جميعهم فأيده الله مع النبوة والرسالة بالحكمة والبيان وعلو الهمة وشدة العزم، قيل له ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ﴾ علمًا أزليـا بأن حكم قابليـة ذاته يقوم بصـبرهم كلهم، فالعارف من كان عاقلا، والعاقل من كـان حكيمًا، والحكيم من كان مسلمًا، وإلا فالعـارف إذا لم يكن عاقلا فهـو موسوس، والعاقل إذا لم يكن حكـيمًا فهو مخلط، والحكيم إذا لم يكن مسلمًا فهو واهم.

الإسلام روح الحكمة ﴿إنَّ الدِّينَ عِندَ اللهِ الإسْلامُ﴾ أتى الإسلام بالبرهان القاطع والحكم الصادع، فعقد العقول على الحق بالحق، وأوقفها أن تجمع شأنها على ما لا حقيقة له من قول وعمل يحيط العقل، ولكن هات العقل الكامل، وأحط به الإسلام وخذه على مفكرتك وتدبره بعد بعين فقهك وبصيرتك تجده نوراً فى قلبك، وحالا فى عزمك، وبركة فى سرك، وطمأنينة فى خاطرك، وقوة فى عزيمتك ورياضة فى طبعك، وعصمة فى أمرك، وبيانًا فى لسانك، وشرفًا فى صفاتك، وعزا فى طورك، ومجداً فى سلوكك، وزيادة فى نخوتك، وحصنًا فى معيشتك، وركنًا فى همتك وأمانًا فى آخرتك وربحا فى دنياك، وإذا لم يفقه عقلك من الإسلام بعد أن يعمل الإحاطة به هذه الأسرار الباهرة فاتهم عقلك فإنه ما أحاط به ولا فهم فتهه ولا وصل إلى سيره قامت لربى به الحجة ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ أخذت به قابليات الطباع حظوظها فى دائرة لا تَعُدُ والحكمة لا تنحرف عن الصواب ﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إلاَّ وُسْعَهَا﴾ صفت مناهله وطابت مشاربه.

عجبًا للجاهل يكتسى بكسوة العياق فيرى الآخر مكتسيًا بكسوة التجار فيسقط من عينه، وذاك يرى الآخر مكتسيًا بكسوة الجند فيسقط من عينه، وذاك يرى الآخر مكتسيًا بكسوة الفقراء فيسقط من عينه، وهلم جراء.

يا من عقل عقله بعقال الكساوى المجردة خذ الحكمة أين وجدتها، ولا تنظر إلى مصدرها، انطمس عن المصدر وخذها، ومن أى محل صدرت فلتصدر، هى القصد وفيها المطلوب، ولا تتبع الحبل الدلو، وقف الأمور عند حدودها، نق نظرك حتى يرى الحكم وينصرف عن مصادرها ومواردها،

كن عالمًا بما لك وما عليك، وارجع نظرك إليك، تفكر بعوالم الله تعالى: عالم الماء فى كل جرعة منه، من العوالم العجائب عالم الهواء فى كل شمة منه من العوالم الغرائب نشر البارى المقيم أسرار ربوبيته الباهرة وعظمته القاهرة وعجائب سلطنته القادرة فى كل شىء وقال لك: اعتبر أيها الإنسان بنص: ﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الأَبْصَارِ﴾ فإن أدركت حكم العبرة فى الفكرة ووصلت إلى سرها المطوى وعالمها المخفى ووقفت عن الغفلة وسرت مع الحذاقة وجمعت عليك حالك فقد فزت فوزًا عظيمًا ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ﴾ ﴿اللَّهُ الَّذِى نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾ هذا نظام خاص لأهل الاختصاص ﴿يَهْدِى اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ﴾ ﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾.

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه اجمعين، والحمد لله فى الأول والآخر والباطن والظاهر، له الحكم وإليه ترجعون.

وقال ﷺ: اللهم صل على سيد خلقك محمد ﷺ ولا حول ولا قوة إلا بك، يا على يا عظيم يا حى يا قيوم.

معاشر الإخون الكرام، الأشياء تنتهى إلى أصول تخمرها وتطبع بها، وتلك الأصول إلى أصول أخر، وتلك إلى معادنه، فإذا انتهى كل شىء إلى خميرته، وكل خميرة إلى معدنها، وكل معدن إلى لباب عينية وجوده وقف بطبعه فخفته من كل جهاته سلطنة الخالق الصانع القديم، فرجع يتسلسل متناهيًا، وتناهى يتنزل راجعًا من غايته إلى بدايته قائلا لسان حاله فى كل نهضة وسقطة: هو الذى.صوركم فأحسن صوركم، وهذا النسق الجليل تشهد به طبائع الأشياء ويدرك هذا السر المغلق الآدميون أهل العقل الكريم والقلب السليم، وإلا فالذين لا عقول لهم ولا قلوب من عصابة البشر فهم فى عمى

الجهل، الإنسان يشتمل على عالمين: عالم الهيكل وعالم الجسم المحسوس المشهود، وعالم السر، وهو مجتمع من العقل والروح، فعالم الهيكل سفلى يتعلق به ما سفل من الفروع اللازمة به القائمة معه، وعالم السر علوى يتعلق به ما علا من الفروع الصالحة المشاكلة لحاله فالجسم يتعلق به الطعام والشراء وعلائقهم وما ينظم حاله من لباس وظلال ومنام وشهوة وراحة، وفى كل حال من هذه الأحوال أحوال تدل على سفله، والعقل والروح يتعلق بهم المعرفة والعلم والترقى إلى الحضرات المقدسة والوصول إلى حقائق الأشياء، وفى كلها أسرار تدل على علو العقل والروح إلا أن فروع نور العقل لا تجتمع إلى أصلها الذى هو العقل إلا بمشهودات يغترف معناها البصر إلى ساحة العقل فيدفعها إلى بحبوحة الفكرة، ويأخذ منها ما يطابق عاقلة العقل من النتيجة أو بمسموعات يغترفها السمع فيلقيها فى حضرة الخيال ويقابلها بمرآة الفكرة ويتسلق إلى ما تخيل لها من الخيال، فيسقط عليه عين الفهم فيراه بها ويأخذ منها النتيجة وأما فروع نور الروح فهى غنية عن الاستعانة بالشهود لترفعها عن ذلك، ولكنها تطمس بحجاب الوجود، فإذا رفع عنها السالك الحجاب بالرياضة تلقى نورها الإلهى المنكشف القلب، فأبصر به وتفرس بانصباب القلب من مركز حضرته المستقلة إلى نور الروح المطلقة من قيد حجاب الوجود فنظر حقائق الأشياء «اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله» وهذا الشأن يترقى إلى منابر الصديقين ويكشف شراع الملك والملكوت ويرفع بردة قعر البهموت ويفلت عقد ادوار الأرضين، لكن إذا غلب الهيكل الجسمانى بالرياضة الصالحة الشرعية ومزق حجابه وفتح من المغلاق الصادق للروح عن مقامها العلوى أرصاده وأبوابه، وهنالك يحسب

فى أعداد المقربيـن بنسبة اضمحلال الحجـاب المذكور وإطلاق ذلك النور، وأما إذا طمس ذلك النور بحـجاب الوجود وسلبت فكـرة العقل بظاهر ذلك الهيكل المـشهود فنهالك يحـسب صاحب هذا الشأن من المبـعودين وينحط عن منزلة القـرب بنسبة غلظة حـجابه حـتى ينتهى إلى أسفل سـافلين، أنكر أقوام من أهل البـغى والبطلان طيران الروح إلى العوالم الـمقدسة والمـعالم العليـة وذلك لغلظة حجـابهم لو أدركـوا انعكاس تلك العوالم للروح حـين ينصرف عنها حجاب الوجود بالنوم، وتدبروا نظام الرؤيا لقنعوا بأنموذجها.

نعم للخاطر هدس ينقلب شكله إلى طارقة الدماغ من طريق الفكرة فيقيم لها مـثالاً، فتلك الرؤيا الكاذبة تحـدث من غلبة خيـال أو تعب جسم أو من إغلاق أبخرة طعام أو من احتلال طارق سـرور أو خوف ساحة القلب، فهذه الأمور يتولد منهـا الهدس الخاطرى وقد يكون من جازم نية وهذه النـكتة فيه فارقة، فإن كانت نية غير مـعينة الكيفية لا رسم لها فى لوح الخاطر توطدت بالذكر والعمل المبرور بالوقـوف فى باب الله والاستفاضة من رسوله ﷺ، أو نية معينة توجهت لكشف حقيقتها الغير المعلومة وجهة الهمة بالاستخارة، فالرؤيا هنا رؤيا استدلال، وإن كانت قائمة عن جازم ولم توطد بذكر أو عمل مبـرور واستـفاضة صـالحة، فالرؤيـا هنا رؤيا خبط نتج من الجـزم وقام مع الهدس فانقلب لطارقـة الدماغ، وأقام لها مثـاله وهى كاذبة وإن خلت الرؤيا عن كل هذا مع السلامـة من منازعات الشـرع ونشأت عن وارد غيـبى فتلك الرؤيا الصادقة التى تصلح للتعبير، وهى من استكشاف الروح، نعم أنكر قوم من الضالـين والمردودين والمـغضوب عليـهم مادة الروح، وخـبطوا بالكلام على إنكارها خبط عشواء، وهى من أمر الله ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾ والأمر

معنوى ولازمه مادي، فالمادة الثقيلة القائمة بذلك الأمر المعنوى الذى هو الروح إنما هى الجسد، ولا سبيل إلى إنكار قيام الجسد بها ولا حجة على قيام وجودها بالجسد، وحيث كان الجسد قائمًا بها وهى غنية عنه تعين كونها سرًا أمريًا موجدًا فى الوجود وهو غيره ويقوم بنفسه وبه يقوم الوجود، ولا يدرك للطافته، وفيه مادة منبجسة من معناه وتلك النفس وفيه قوام جولة الدم فى الهيكل، ففقدان المادة المنبجسة منه دليل على مفارقته الوجود وكل الأسباب التى تدفع المادة التى هى معنى الروح ـ أعنى النفس عن الهيكل، فهى من طوارق الأقدار التى قضت بانفكاك هذا الأمر المبعض عن الجسد القائم بها وله شواهد عليه منه دالة على عظم الخالق العليم الخبير، ألا له الخلق والأمر، وهو على كل شىء قدير.

وقال ﷺ: إن رسول الله ﷺ فتح باب الإرشاد بيده القدسية وسلمه فى هذا القرن إلى فهذا اليوم ظهور النوبة المحمدية الرفاعية وطريقتها المرتضوية العلوية، على مشرعها ابن عبد الله أفضل الصلاة والسلام، طريقى دين بلا بلاغة وعمل بلا كسل، طريقنا ضبط الحواس بمراعاة الأنفاس وتطهير الباطن من الأدناس، ومداومة الذكر بجمع جميع الحواس طريقى دين بلا بدعة، وعمل بلا رياء، وقلب بلا شغل، ونفس بلا شهوة، طريقنا الكتاب والسنة، إلا أن الفقير على الطريق ما دام على السنة فمتى انحرف عنها ضل عن طريق طريقنا أن لا تسأل ولا ترد ولا تدخر، وأن تتحقق أن الكلّ بيد الله وكل ميسر لما خلق له، وإن تقف عند حد الشرع ولا تتعداه، والعون من الله هذا الطريق واضح أغلق مناهجه جماعة اصطلم عليهم الحال وما بلغوا مقام التمكين، فتجاوزوا بالشطح والدعوى الحدود فتبعهم فريقان:

فريق انقاد بحسن الظن وفريق قاده الجـهل، وكلاهما على شفا جرف إلا أن الطريق محجة بيـضاء كل ما فيه من قول وفعـل بطن أو ظهر لا يتجاوز دائرة الشرع، إلا أن كل طريقـة خالفت الشريعة زندقـة الطريق أن تقول آمنت بالله ووقفت عند حدود الله وعظمت ما عظم الله وانتهيت عما نهى الله ولا طريق بعد هذا أبداً إذ ليس بعد الحق إلا الضلال.

جاء جماعة من أهل هذا الطريق بعـادات زائدة، بعضهم ـ وهم العارفون ـ جعلهـا سلمًا للعـبادة ونبـهوا على كونهـا بدعة مـعتادة، تدخـل فى البدع الحسان ليتقـادوا بها النفوس المطبوعة على الاستبشـار بغرائب العادات حتى إذا ظهرت نفـوس اتباعهم أخرجـوهم من قيود العـادات إلى إطلاق الشرع، وهذه الحكمة مأخوذة من سير سيد الخلق ﷺ، ولها المقاييس الكثيرة فى السنة، إلا أن أهل النقص عظموا تلك العادات حـتى أدخلوها فى العبادات، بل اشتغلوا بها عن العبادات فانقطعوا عن القافلة وبقوا بلا زاد ولا راحلة.

فإياك أيهـا السـالك أن تدخل العادة فى العـبادة، فإن العـبادات المبـاحة والمستحـسنة صيغت بعقل المخلوق، والعبادات قامت بأمر الخالق وبين عقل المخلوق وأمر الخالق الفرق بين تعالى الله علو كبيرًا، وليس لك فى العادات إلا أن تقـول: أقرب النفـس إلى الحق بما لا يـكرهه الحق، والحق أحق أن يتبع، والله ولى المتقين.

من سلك الطريق بنفـسه أعـيد قـسرًا، هذه الطريقـة لا تورث عن الأب والجد، إنما هى طريق العمل والجـد والوقوف عند وذر الدموع على الخد، والأدب مع الله تعالى.

ظن بعض الجهلة أن هذه الطريقة تنال بالقـيل والقال، والدرهم والمال،

وظواهر الأعمال، لا والله إنـما تنال بالصدق والانكسار، والذل والافـتقار، واتباع سنة النبى المختار، وهجر الأغيار.

سطر الاسم المحـمدى ممدود على صحـائف الأكوان من أم زيق الأزل إلى حاشـية ذيل الأبد، ولـسلطانه الحجـة الدائمة على كل سلطان كـونى، والحجة هى ما صرفت الشبـهة فأسكتت قلب الخصم إلزامًا، وإن نطق لسانه عنادًا، وإن حـجته التى عـرفهـا أهل الجحـود واستـيقنتـها أنفسـهم لم تزل معروفـة، وإن أنكرت حـدًا ومـيم المدة المنعقدة بمـداد سطر اسمه معـقود على رمح الملكوت مـنسدل ثوبه علـى شجـرة الملك، مـحيـط بحر مـدده بأطراف العوالم من جـميع أركانها، شـاكل لكلٍّ أعيانها فى برزوها وثبـوتها ورفعه مشير إلى منازلاته المترفـعة فى منازل النبوة العظمى والرسالة الجامعة الكبـرى، والمترقـية فى منبـر القدس على درج الشـرف الأتم الذى لا تدرك غايته بطوف همم الصديقين والمقـربين، ودونها غايات أولى العزم من النبيين والمرسلين، وحاؤه حـد النهايات فى مراتب الغايات الحـائل بحبل حاله من حيث رفـعة قدره وجـلال سلطان أمره بين كل مـرتبة طيـارة فى درج التسلق العلا وبين حضرة المحبة الغائية المـزينة بنور مشهد الرأفة المتدلى من رفرف السدة البحتـة إلى هام محراب العبدية، وفتحه مـشير لحملة الأزل والأبد من طور سينا النكات المطلـسـمة عن قوافل ركبان حضـرة القرب، إلا عن طريقه قـبله وبعده من هـناك، إلى هناك والعجـز عن درك الإدراك إدراك، ومـيمـه الوسط مشير إلى ما وراء مدارك الموجودات من معانى المنح المختص به فى مصطفويته من حيث مظهرية مبطن الحكم المنقلب إلى مشهر الأمر المجتمع فى مشهـد المنار العلمى من طريق الأمية وشدته تعنون حالى الأمـية فالأولى

أمية الخط والقراءة والثانية أمية النسبة التى تصرح بنسبة الأمة إليه صلوات ربه بعلمه وحكمه وتسليماته بعزه وفضله عليه، وداله النهائى مشير إلى دولته الأبدية فى دور الكون، مع كل دائرة غائية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين، وسكونه وقبوله التحريك إشارة إلى استقراره فى مقام سلطانه وتقلبه فى أبراج مطالع السعد السرمدى ترفعًا من دولة إلى دولة ومن دار برهان إلى دار برهان، وله بكلها الحكم والحكمة وعلى جميع جملها له المحمدية الدائمة، فهو ﷺ محمد دوائر الجبروت، ومحمد دوائر الملكوت، ومحمد الأمر والنهى، إلى يوم الدين، والحمد لله رب العالمين.

وقال ﷺ: الحمد لله الذى وفقنا لما كلفنا ففاهت ألسنتنا بحمده، وكان ذلك من محض كرمه والصلاة والسلام على شفيعنا السيد الأعظم أشرف المرسلين محمد الذى مَنَّ الله علينا برسالته، وكتبنا بقلم فضله من أمته وخدمه، ورضى الله عن العترة والقرابة والوزراء الأقربين، وجميع الصحابة والأولياء العارفين والعلماء العاملين، والسلام علينا وعلى عباد الله الصالحين.

أما بعد، أى سادة، سلطنة الألوهية قائمة فرد آنيتها فى كل ذرة بارزة ومطموسة والذرات مقيدة فى وهدة حجبها ومعذورة، غير الثقلين، ما أجهل الإنسان ما أظلمه: هذا إذا جهل من أوجده وأهمل سلطانه، ما أفضل الإنسان ما أكرمه: هذا إذا عرف ربه وشهد إحسانه.

أيها الإنسان، بأى شىء تروم إقامة الدليل؟ بعقلك على واحدية مولاك وأحديته؟ هذا وجودك القائم بك معك آية فيك تكفيك، يدق عرقك من

كليـاتك ويسرى دمك فى جـزئياتـك، ويدور بريد التدبيـر فى ذراتك، وكل نقطة من دمك فى محلها مع اتحاد نوعها مختلفة الصفة، وكل نثرة من بللك مع وحدة عـينيتها مـضادة أختـها فى نسقهـا، نثرة بلل ريقك غيـر نثرة بلل عينيك، نثـرة رشح ريقك غيـر نثرة رشح أذنك، صمـاخ أنفك غير صـماخ إبطك، منبت شعـرك ـ كل مغرس منه مع وفاق الشكل مـختلف فى النسج، والمثل هبطات فكرك فى صحف قـلبك غير ما سقتـه إلى حافظتك، غذاؤك جدل لـك فى منافس وجودك أنواعًـا حالة كـونه نوعًا واحـدًا، لا تقل منوع العينيات ولذلك اختلفت مجدولاته.

لو كان كذلك لاختـل النظام بنسبة اختلال الأغـذية، عظمك فى مواطن منك تخـتلف عروضـه ونتائجـه، وجلدك حـالة كونه ظرفك ناصـعة مـادته بمظروفه على دقـائق نسجه، وفـيه من غرائب النظم الخلقى مـا لو جرد عن المظروف ونشر على آلة كشافـة لأعيا فهمك عن الوصول لحقـيقة ظاهره لما فيه من أفتـاق النسج القائمة بسلامتك المناسب لنظـام وجودك، هذه الأفتاق منها تدركه لو ذكرته لك، ما شاء الله كان.

أى آدمى، فتق أنفك أعطاك الشم، وفتق أذنيك أعطاك السمع وفتق فمك أعطاك فى لفيفـة مجموعة الطعم، وفتق عـينيك أعطاك البصر، وهذا جلدك فيه أفتاق كثيرة، ألوف مؤلفة، تأخذ الهواء وتدفع الأبخرة وتجمع الخضلات المجـتمعـة من الهواء والأبخـرة فتوقـفها على منـصة الاعتـدال ضمن دائرة تركـيبك، زبدة دمـاغك فيـها عـاقلتك، ومفكرتك زبدة سـاقك فـيهـا قوة اعتـدالك، زبدة صلبك فيـها نقطة قـوى هيكلك، زبدة معـدتك فيـها طرق معابرك، لوزة قلبك فيها قوى فهمك، وقبلة تلقيك وساحة نظرك واستدلالك

المتصلة الحبل ببرزخ دماغك ذوائب عروقك كنباتات الأكوان، بقعة رأسك الناهضة بقية وجهك كالسماء فيها درج شعرك كالأطلس البحت، فيها سطح جبينك كخط الفلك، فيها مقلتاك كالكواكب، فيها جلدة خديك كأملس الرواق المقوم فيها تركيب أضراسك فى فمك، كنظام الأبراج فى مخارج خطوطها، فيها نبت وجهك كمنثور لواقح الأبخرة المخضلة المتدلية إلى مركز السكون تقف، تتحرك بنسبة مواردها كشأن نبات شعر وجهك، وصلة رأسك بواسطة عنقك بهيئة وجودك كاتصال العالم العلوى بالأرض بواسطة حبال الاصطدام وذوائب الشعاع وخيوط الكواكب دورة رأسك مع بسط ساحة صدرك، كلف العالمين بطورى كونيتهما لفا لا يمس حكم البسط لِينَكَ حتى تصل يدك رجلك وبعضك، بعضك كانطباق هذه المشاهد العلية والوضيعة ببعضها انطباقا مساسيا لا يدخل مادة بأختها.

أيها الإنسان أنت مجمع هذه الغرائب، أنت كنز هذه العجائب، أنت نسخة هذه المضامين، أنت نقطة هذا التعيين، أنت حضرة المشهد الأقدس، أنت محل نظر السر الأخفى، ومعنى القصد الأنفس، عرفت نفسك؟ أين أنت من معرفتها؟ أنت شيء حارت به الأشياء، أنت مادة انبجست من جزئها كليات الأجزاء، أبعد أن قمت كما أنت وعجزت عن أن تعرف ما أنت وقيدت عن تدبيرك وحرت فى تصويرك تروم أى مسكين على من صوَّرك دليلا وتطلب لمعرفته قيلا، أيقظ عينيك من سِنة غفلتك، يا عليل العقل، يا كليل الفهم، يا سقيم الرأى، تكفره للدنيا وبك أقام عليك الدليل، تجهله للأمل وأعجزك من كثيرك، يا أقل القليل، تزعم أنك أنت عالم وأنت بوهدة الجهل فيه دون الإنعام، تظن أنك حققت إذا أقمت لك منابر وهم فأشركت

ـ وأنت أضل من الهوام ـ مزق حجبك الكاذبة وأرشد همتك الخائبة، وتحقق بمعرفة ربك، سبحانه ما أعظمه! سبحانه ما أكرمه! رفع شراع العظمة بالمصنوعات، وأبرزك لتعتبر فعميت عن الاعتبار، فتداركك الكرم فأرسل لك من نوعك رسلا تبين لك حقيقة الأسرار الكونية ودقائق الحكم ورقائق الأحكام، وشرف مراتب المرسلين بختامهم الجامع للبراهين النظرية والركوزات الاستدلالية والنصوص القاطعة والحكم الساطعة والحجج البديهة والمناهج الفردانية، صاحب اللسان المؤيد، والفخر المخلد، والسلطان المؤبد، والأمر الذى لا يخذل، والحق الذى لا يجهل، والشرع الذى لا يرد، والخير الذى لا يجحد، رسول الحكمة، رسول الأدب، رسول العرفان، رسول الملاحم، رسول القدرة، رسول التواضع، رسول السلطان، رسول الإنصاف، رسول السيف، رسول العدل، رسول الله الذى لا إله إلا هو الحى القيوم، والحكم العدل ﴿أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾ أعنى سيدنا ومولانا الذى علمنا الحكمة وزكانا، تاج هام الإنسان، وحبيب الرحمن محمد ﷺ، فقد جاء ﷺ بالحكمة والموعظة الحسنة، وأُمر أن يقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فإذا قالوها عصموا منه دماءهم وأموالهم، على أن هذه الكلمة منبر التوحيد ومدار الحق ومنار الشرع أسقطت الغيرة، وأمرت بالرجوع إلى الإله الحق، ففرقت بين الخالقية والمخلوقية، وألزمت باتباع أمر الله، وامتثال رسوله ﷺ كونه المأمور بإعلاء ما انطوى فيها من الأحكام القدوسية والحكم اللاهوتية، وأيد ما أقول قول الله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ وقام على أثره الصحابة والتابعون والأولياء العارفون والعلماء العاملون فمهدوا الطريق وأحكموا حكمة هذا

العهـد الوثيق، وأتقنهم وأجمعـهم حكمًا العارفـون بالله الذين أخذوا أحكام الشريعة فعرفوا حكمها بأسانيـدها المنقولة ورواياتها الطيبة المقبولة، وتخلقوا بأخلاق الله واتبـعوا رسوله عـملا بقـوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ فآمرهم غـير فظ ولا عادٍ، ومأمورهم غـير موشح بوشـاح الترفع والعناد يدورون مع الحق حـيث دار، ولا يرون لأنفسـهم فى البـين اثرا وإن كـانوا أشـرف الآثار ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

ظن أناس من أهل الحـجـاب أن الولى هو الذى يقـول ويصـول ويدعى الفعل والقطع والوصل، وظن طائفة منهم أن الولى هو المسلوب المجذوب، وظن آخـرون أنه الأبلد المـهـان، ألا إن الولى هو العـاقل الكـامل الحكيم الكريم العامل بكتاب الله وسنة رسـوله ﷺ، إلا إن البدعة فى طريق الحق كالذرة فى العين ثقيلة، وإن كـانت خفيفة كبيرة، وإن كـانت صغيرة، كل ما خالف الشرع ليس من طريق الحق، ما الطريق إلا الشرع.

لا أقول هذا لأسلخ من العامة حسن الظن بأهل المحو والمجاذيب والبله المتـروكين، لأن من طوائف الأولياء قـوم أهل محو وجذب وبله وخـمول، ولكن أقـول: كمال مـرتبة الولاية كـمال التـخلق بخلق النبى العظيم، علـيه أفضل الصلاة والسـلام، والفضل والفضيلة والفـخر والمجد بالعـمل بأعماله والقول بأقوالـه والتحلى بأحواله ﷺ، وكلما نقص الولى فى هذا الـمرتبة نقصت مرتبـته بنسبة نقـصانه، كيف وهو المقتـدى سيد الخلق محـمد عليه أشرف الصلوات، ألا وهو الذى شيد أركان العدل وأسس بنيان الحكمة ووفى حقوق الآدمية وقاتل على حفظ نظامها ليـوقفها عند حدها، فلا تصعد لطلب

المشاركة فى شأن أو طور أو صفة أو كلمة ينتهى سرها للربوبية حتى كان القريب والبعيد عنده فى الله سواء، سيف الله القاطع، لسان الحق الصادع، حبيب الله الشارع، أين أنت أخا الوهم؟ أتظن أنك تصل إلى حقيقة وتنتهى لكشف سر طريقة؟! هيهات، العرش والفرش مثلك فى الحيرة، به تعظم المحامد إذا أضيفت إليه وتفخر ألسن المفاخر إذا نوهت عليه، هذا سيد عرف الله قدره فحمله عبء الرسالة للحر والعبد والأبيض والأسود والعربى والعجمى، بل والجن والإنس، حالة كونه وحيداً لا ناصر له فريداً لا أعوان له بين قوم غلاظ شداد، لعلم الله السابق بشأنه، فرفع شراع الغى عن هياكل القلوب، ونشر لواء الأمن والإيمان، ومهد طريق الحقيقة فأوضح السبل ما شاء الله كان أعرق فطاب وتحكم فى الألباب وفتك وملك وفصل ووصل، وكل أعماله لله، جاء بالقرآن الذى كل كلمة منه معجزة، كل حرف منه فى نظمه معجزة، كل نقطة منه فى محلها معجزة، قرأه المحجوب فقال: ذكر الله قصة يوسف، قرأه العارف فرأى من آيات ربه الكبرى، فهم من نظم الحروف أسراراً جهلها أهل الرأى من المفسرين، وسكت عنها أهل الفهم من العارفين، وكلهم معذور، أهل الرأى كشفوا قناع مضمون الكلمة، ونقلوا ما قيل فيها من الأخبار، وأهل الفهم ستروا نوع سر الكلمة وتلقوا أحكام ما انطوى فيها من الأسرار، فهؤلاء للسر يكتمون، وأولئك للخبر يذكرون، أشرقت من زوايا معانى هذا الكتاب القديم الفنون الصناعية لطلابها، والمعانى النظرية لأربابها، والمبانى الاستدلالية لأصحابها، والمضامين المطلسمة بالفراسة والأساليب المسهمة بالحكم والسياسة أين يتسنم السائس، ذروة تنظيم أفواج الأمم بعد تلاوة ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ أين يتوكأ المتفرس على عصا الحكمة بعد أسلوب وأمر بالمعروف ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ أين

يتسلط لسان القدرة بمحور الأدب على العصائب المختلفة بعد منشور ﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾ أين يندلع لسان صبح البيان بعد فرقان ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ ﴾ أين يرصد صاحب المرآة الجاذبة مرصدًا بعد جلجلة ﴿ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ ﴾ ﴿ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ أين يستخرج مادة الآثار صاحب فلسفة التعين بعد سلطن ﴿ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَابَّةٍ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ أين يستبشر رب الزعم المردود بحوادث الأكوان فيتخيل الفعل بعد صدمة ﴿ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ ﴾ أين يقطع المبعود بصحة ما قام في سقيم فهمه ممن تكذيب الوعد والوعيد بعد صفعة ﴿ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ ﴾ أين ينتهز الفلكي الشروقي فرصة تنصيص الميزان البروجي بعد شنشنة ﴿ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ۝ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴾ أين يحكم القياسي خط النسق في تعديل كرته الملفوفة ويظن أنه كشف مغلقًا بعد برهان ﴿ أَفَلا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ﴾ أين يستقيم نمط الوزان القطبي فيربط سلسلة إثبات سكون الأرض بعد إشارة ويوم ﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الأَرْضَ بَارِزَةً ﴾ أين يتحكم بحكم الشرع الطبيعي فيأخذ بالرشقة المائية من أفواه جهلة الوعاظ فيدفعها لعباراتهم ويتشدق بطارقة خياله فينقص الشرع بعد رنة ﴿ وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ ﴾ .

حسبنا الله وكفى، رضينا بالله ربا، وبسيدنا محمد ﷺ نبيا ورسولا، وبالقرآن إمامًا ﴿ هَٰذَا بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ .

إياك إياك أيها المؤمن الذى فطره الله على الإيمان وشرح صدره بنور الهدى والإسلام أن تلفت عنان جهلك لزخارف سفسطة المارقين فتزعم أنها من الحكمه وتصغر حكمة، دينك الذى رفع الله لك شرافة فضله حتى بلغت غايات النهايات، ودونها كل الحكم، أعيذك بالله والمسلمين وإياى من ذلك، ألا إن ذلك السم القاتل، يخطبك الصابئ بشقشقة ولقلقة لفقها من كلمات القدماء ونقح فيها بعض عبارات أشارت إلى الجوهر الفرد والمادة المركبة والعرض المنحل فتهفت له نفسك وكأنه أبدع، ويه على النفوس التى مثل نفسك ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾.

تعالى يا محمدى، يا طالب الحكمة النبوية وتربع فى مجلسى هذا، وهات معك عقد مشكلاتك وخذها محلولة، تعال انتصر بنا على شيطانك الإنسى وشيطانك الجنى، تعال استنشق رائحة نبيك رسول الرحمة ﷺ، أحيمد لا شىء ولا على شىء، واسطة إفاضة فى منزلة إضافة، يغترف من البحر النبوى فيفيض على عبيد الساحة الشريفة وخدامها وأتباعها، تعال وهات معك من يسول ثلك ويدخل عليك الزيغ والباطل.

هذا مجلس يفر منه الشيطان، هذا مجلس فيه روح من روح الله، ونفس من أنفاس رسول الله، على دركات أبوابه الأقطاب والأنجاب والأبدال والعرفاء ورجال الغيب ورجال الحضور ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾.

يا عالم اقعد بلا غرة، وتجرد من دعوى الإحاطة، وخذ من علمك خشية تصلح شأنك ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾.

يا جاهل انقذ نفسك من ورطة الجهل وادخل بجدك واجتهادك فى أعداد العلماء ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾.

يا صوفى تفقه فى دينك «من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين».

يا محب حكم بينتك فى الأمر، كن منصفًا، لا تعلو ولا تغلو، لا تقدم إلا بحق ولا تؤخر بغير الحق، أحذركم الله فى أمر دينكم ودنياكم، لا تكونوا من الغافلين، أصلحوا قلوبكم ليتولاها مولاها ﴿اللَّهُ الَّذِى نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾.

هذا ما أمطره الله على فلاة قلب فقيره عبده المسكين، أحيمد اللاش، قل كل من عند الله ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ (١٨٠) وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ (١٨١) وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

وقال رضي الله عنه: فاتحة الكتاب، عروس القرآن العظيم، برهان الكلام القديم، بها تقوم أركان الطريقة وتشيد مراسيم الحقيقة، وهى محل الأسرار، ومدار اندلاعات الأنوار، طفنا فى حضرات الغيوب حضرة حضرة، وكشفنا عجاج ساحات المشاهدات ساحة ساحة، ووصلنا إلى غايات الغايات ومنتهى آمال السادات، فما رأينا أعلى نهضة وأقرب جذبًا إلى سرادقات العنايات من تلاوة فاتحة الكتاب، نعم إنها السر الفياض والمدد الهطال والسيف القاطع والبركة الجارية، فيها حال من أحوال القدرة وشأن من شئون العظمة، ونور من أنوار السلطان، ودهشة من هشات الجبروتية، وهيبة من هيبات الربوبية، وإنها لحضرة وسيعة من حضرات الأمر المطلق، تخضع لها أعناق أهل المراقبة، وتثق بها قلوب المحققين، وتنشط بها همم العارفين، ويتصل بها حبال المنقطعين، ألا وهى سلم الوصل إلى القصد، باب نجاح طريق الفلاح، نار الله الموقدة على الأعداء، ترياق السلامة للأولياء، وقد قرر أهل هذه الحضرة

أن تلاوتها بركة لا تنقطع، ولها أسرار يعرفها أهل التوفيق من أحباب الله وخاصة أهل حضرته، ولو أراد العارف أن يتصرف بها من قاف إلى قاف لفعل بإذن الله وقدرته وحوله وقوته، وتلاوتها إن كانت بعدد مفرد، فلتكن لأمر الآخرة وحوائجها والإقبال على الله تعالى، وإن كانت بعدد مثنى فلتكن لأمر الدنيا وما يئول إليها، تقرأ إحدى عشر مرة كل يوم صباحًا وكذلك مساء لصحة الإلهام، وتقرأ إحدى وعشرين مرة كل يوم صباحا ومساء لركون القلب إلى الله تعالى، وتقرأ إحدى وثلاثين مرة صباحا ومساء لاستعطاف قلب النبى ﷺ، وتقرأ إحدى وأربعين مرة كذلك لحصول مدد رجال الغيب، وتقرأ إحدى وخمسين مرة لنور السر وبركته، وتقرأ إحدى وستين مرة لثبات العزم والعزيمة فى الله تعالى، وتقرأ إحدى وسبعين مرة لدوام التيقظ ولدفع دسائس الشيطان، وتقرأ إحدى وثمانين مرة لمحق عوارض النفس، وتقرأ إحدى وتسعين مرة لاستحكام نور الذكر فى حظيرة القلب ومشهد الروح، وتقرأ مائة وإحدى عشر مرة لدوام الحضور فى السلوك إلى الله تعالى، وتقرأ مائتين وإحدى وعشرين مرة لغلبة الهوى وقهر الشيطان والتخلص من غوائل القطيعة، وتقرأ ثلاثمائة وإحدى وثلاثين مرة للاستفاضة من أرواح الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام، وتقرأ أربعمائة وإحدى وأربعين مرة لحصول نفحات الله فى الأسحار وتقرأ خمسمائة وإحدى وخمسين مرة للاستفاضة الخاصة من الخضر عليه السلام، وتقرأ ستمائة وإحدى وستين مرة لفهم أسرار كتاب الله تعالى، وتقرأ سبعمائة وإحدى وسبعين مرة لنشاط العزم ولقيام الليل وصدق الحال بذكر الله تعالى، وتقرأ ثمانمائة وإحدى وثمانين مرة لسبح حضرة القلب فى عوالم الله تعالى

السفلية، وتقرأ تسعمائة وإحدى وتسعين مرة لسبح حضرة القلب فى عوالم الله تعالى العلوية، وتقرأ ألفًا ومائة وإحدى عشرة مرة لاستحصال المدد من رجال حضرات الله من الأحياء، وتقرء ألفًا وثلاثمائة وإحدى وثلاثين مرة لصحة الفناء فى الله والبقاء به.

وهنا الغاية ولم يسبقنى والحمد لله لنشر طى هذا لسر المحمدى سابق، وقد أخذت كل ذلك حرفًا حرفًا من سر الوجودات ﷺ والحمد لله رب العالمين.

وتقرأ إحدى وتسعين مرة خاصة لروح النبى ﷺ لحصول كل قصد ولدفع كل مهم وعلى نية كل حاجة كانت من حوائج الدنيا والآخرة.

وتقرأ مائة مرة كل يوم لقضاء الدين وتقرأ مائتى مرة لتسهيل المقاصد، وتقرأ ثلاثمائة مرة لقهر العدو وللغلبة عليه بإذن الله تعالى، وتقرأ أربعمائة مرة للنصرة فى كل حال، وتقرأ ثمانية وأربعين مرة للحفظ من الصائل والسارق ومن كل طارق، وتقرأ أربعمائة وثمانية وأربعين مرة لحصول قوة فى البدن والنفس، وتقرأ خمسمائة مرة لحفظ المال والعيال من سوء النظر ومن عوارض الخطر، وتقرأ ستمائة مرة لاستنزل الغيث بإذن الله، وتقرأ سبعمائة مرة لشتات أمر العدو وفك رابطة حاله، وتقرأ ثمانمائة مرة للحماية من السحر وخدعة الكهنة ومن دسائس أهل البدعة والضلالة، وتقرأ تسعمائة مرة للأمان من الأمراض الباطنة والخارجة، وتقرأ ألف مرة لنمو الرزق وعلو القدر والمكانة، وتقرأ ألفًا ومائة لحصول الهيبة فى أعين الناس، وتقرأ ألفًا ومائتى مرة لصلاح العدو ولهلاكه، وتقرأ ألفًا وثلاثمائة مرة للتدرع من شر كل ذى شر، وتقرأ مرة كل يوم أو كل وقت لصيانة الوجه من ذل الحاجة،

وتقرأ مرتين لحسن الجواب، وتقرأ ثلاثًا لقبول الوجه، وتقرأ أربعًا لدفع الوسواس، وتقرأ خمسًا للنجاة من الظالمين، وتقرأ ستا لصيانة الأرض من شر الطارقين بسوء، وتقرأ سبعًا لإهلاك الباغى، وتقرأ ثمانية للنجاة من هول البحر، وتقرأ تسعًا للنجاة من وعثاء السفر، وتقرأ عشرًا لدوام العزة وتأبيد البركة والإقبال فى الحال والمآل، وتقرأ للنبى ﷺ ولخاصة عباد الله الصالحين على كل نية.

وقد حدثنى الشيخ الإمام خالى أبو الفضائل باز الله الأشهب منصور البطائحى الربانى رضي الله عنه بسنده إلى النبى ﷺ أنه قال: «الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى...» الحديث، وقد أجازنى بقراءة الفاتحة وقال: الإجازة سيف المجاز وسلم وصلته إلى الحقيقة من المجاز، وأنا أقول: هى منى إجازة عامة لكل مسلم، وخاصة لمن تمسك بى وبذريتى وبخلفائى إلى يوم القيامة من المسلمين، والحمد لله رب العالمين.

وقال رضي الله عنه: الحمد لك يا من لا يحمد غيرك ولا يرجى إلا خيرك، يا أول يا آخر يا باطن يا ظاهر يا حى يا قيوم يا ذا الجلال والإكرام، والصلاة والسلام على عبدك ونبيك سيدنا محمد الذى بعثته بالهدى ودين الحق وأرسلته هاديًا لكافة الخلق، فالمسعود من اقتدى به والمبعود من حاد عن أعتابه، والرضوان والتحيات على آله وأصحابه وتابعيه وأحبابه والمتمسكين بسنته إلى يوم الدين.

أما بعد، معاشر الإخوان، أول ما يلزم لرياضة عقولكم أن تفكروا بآلائه تعالت قدرته، كيف لف لكم هذه الأرض وبسطها فأحسنها تصويرًا، وأدار عليها شراع السماء فقدرها تقديرًا وكوّر ضمنها كوكب الشمس فأشبعها

تكويراً، ونشر فى مطوى العالم الأعلى هذه الكواكب طبقة بعد طبقة محلقة وغير محلقة، بعض تلك الكواكب من دنياكم أكبر، وبعضها من بعض أزيد عظمًا وأنور، ذوائبها ملتفة الآشعة منعقدة على حبال الاصطدام الثابت، وأدوارها ملفوفة على مقاعد أبراجها فبعضها معلق وبعضها ثابت، وراء كل حجاب منها حجب قائمة برفارف الغيوب، قصرت عن الوصول لغايتها الأبصار فأنكرتها العقول، ودون كل جسم منها أجسام استصغرها الطرف، وهى أعظم من الدنيا بالعرض والطول، قامت بلا عمد على فلك الريح الساكن، ووقفت مع انجذاباتها الطبيعية فكانت لنفسها كالأماكن خيام مبنية على كواكب ضوئية، تسبح فى أفلاكها بسير لا يقطع الطريق سقوطا، وتقوم فى مدارجها فلا ترفع شراع الطى هبوطا، ولها عوالم لها ملازمة وبها قائمة، لو اطلعتم عليهم لوليتم منهم فرارا ولملئتم منهم رعبًا، منها: كوكب التربية، وهى الشمس النيرة، ومنها: كوكب التعديل، وهو: كوكب القمر الوهاج، فالشمس أم المنافع تعتدل بها القوة المهضومة، وتفتق بشفاف آشعتها الأزهار وتشذو الأتربة وتفجر المياه وتقوم المواد بما يناسب طبعها بأحكام انتقالها من حال إلى حال آخر، حتى إذا أعطت كل مادة حكمها وأنزلت كل بارزة ومطوية نزلها، واحتاجت المواد والبوارز لسجف تقر المادة بلا زيادة لتأخذ منها ما يرسم فيها طور الطبع والعادة امتدت سجف الليل فأحكمت واردات الشمس فى الذرات وأعانت تلك الكوامن لواحق بعض النجوم الرقيقة، فسرت بما يناسب سجف الليل فى الأجزاء المذكورات فيتسلسل ذلك السريان ليلة بعد ليلة حتى يبادره الهلال إلى أن يصير بدراً، وعلى ترقيه يظهر بحكمة باريه فى كل طور من ترقيه على ما يناسبه فى الأشياء سرا، ويستقبل

سجف الليل تمهيداً لإظهار القوة الفعالة الشمسية الفجر بنسائمه، ويقابل الفجر الصباح بعلائمه، وعلى ذلك يقوم دور النهار إلى الليل ويميل كلاهما بما خلق له فى ميزانه كل الميل، وأدوار الأرض تكر مقابلة لها فيأخذ كل قطر ما عادله من المعادلة وربما تمر به منه شمائم أقطار أخر تحفظها دورة المبادلة، وما تلك إلا أبعد من قرنى الفلكين وأقرب بعد لصوقها من خط الحاجبين، وثقلها وخفتها بنسبة ما ينبجس من طورها وزمانها ومعدن أرضه ومكانه، وإتمام لإبرام القدرة، سخر البحر من معدنه الساكن فأوقفه ومد شعابه المختلفة، وبجس من لباب الصخور أمواهًا من عينها تجمعها المواد الرطبة القارة وتفلقها المقابلة الفلكية الحارة، فتسيل مخضلة تحت تلك العلة، وتقف معتلة إذا لحقت مادتها القلة، كلها من عجيب صنعه وعظيم قدرته وبالغ حكمته، إغاثة للأنبياء والمرسلين لإقامة الحجة على الضالين، ورفقًا بالآدميين لتكرمتهم بالعقل على بقية المخلوقين، فيغضو كل واحد منهم تحت ريف نعمه التى لا تتناهى، وينتبه كل منهم فيخضع لسلطان عزه الذى لا يضاهى، وقد أوضح لنا المحجة فى كل ذلك، وفوق ما هنالك حبيبه ورسوله محمد الصادق المؤيد، فهل من فكرة؟ هل من عبرة؟ هل من عين باكية؟ هل من أذن واعية؟ هل من سلوك مستقيم؟ هل من قلب سليم؟.

هذا الكون آية تدل على وحدانيته وهذا الوسول برهان لا يدفع دال على باب صمدانيته، هذه الغفلة إلى متى؟ والنذير العريان أبلغ وبلغ وما كتم، وهذه الوقاحة علام وسيوف القدر منصلة، تظهر العجائب وتسوق الجبابرة إلى الحفر سوق الغنم كل نهضة، يشب بها العزم مغروراً مطمأنًا فيه داعية عجز مندرجة بنفسها تردها إلى حدها، والعزم عن ردها عاجز وعنها غافل،

وكل سكنة من سكنات العقل فيها سابحة منمزجة بسرها، تطوف بها فى بحر الاعتبار فتجمعها على القول بواحديته سبحانه، وذوق العقل عنها ذاهل، كيف هذه الأنفاس تكر؟ كيف هذه الأيام تمر؟ كيف هذه العقول تطيش بما لا يسمن ولا يغنى من جوع؟ كيف هذه الأوهام تنصرف عن المرئى وتسبح مع المطموس المقطوع كأنها ما فهمت حكمة الكاف والنون؟ إنا لله وإنا إليه راجعون، النصيحة البالغة تأخذ من القلب السليم مأخذًا حافلا، وتمر على القلب المغشوش مرورًا ترفع القلب السليم إلى الاشتغال بالله وتدفعه عن الاغيار وتسقط فى القلب المغشوش القلق، فإن دام قلقه لحق صاحبه بأهل السلامة، وإن مر القلق كما مرت النصيحة فقد بقى فى غشه وما طار من عشه، كل هذه المائدة يذوقها العقل، وأين هو العقل الكامل؟ قليل، لو كان أكثر الناس من العقلاء لانبلجت الحجة، ولو كثر الاختلاف تفخمًا ولظهر السر ولو كتمته النفوس خدعة ودهاء العقل، أمير بارز فى كرسى الدماغ، سلطانه متحكم فى دوحة القلب، لسانه تنسخ الخطرة من الخاطر، وأمها طليعة فكرية اقتنصها ضابط الحفظ من غير تفكر وتعقل فتدفعها الفكرة المتعلقة إلى ميزان العقل السليم فيأخذ بنواصيها ويطلع على خوافيها وحواشيها، فإن كانت لله أمضاها وإن كانت لغير الله طرحها وألقاها، والعقل المغشوش يدور بها وهلة ويطرحها إلى ساحة الهوى، فإن ثقلت عليه صد عنها وإن طابت له أخذ منها، وأين يطيب للهوى الذى انسل من زوجى الشهوة والاستراحة عمل فيه عزيمة أو خروج عن شهوة، هنالك يذكر شرف العقل.

لعمرك يا أخا العبادة الصادقة والبصيرة الحاذقة إن العقل أشرف من

عملك، وأكمل من بصيرتك إذا خلت ساحتهما منه، وإن مسها العقل فعلى قدر مساسه تزكو الأعمال وتحسن الخصال والخلال، أما والذى صرفك إلى ما شاء إن العقل أنفس الذخائر وأحسن البضائع وأقرب الوسائل إلى الله، وأوضح السبل إلى رسوله ﷺ.

قال قوم: هو الرسول المنبعث إلى عالم الشخص، ينذره برهانه ويدله على الله ورسوله بيانه، ويقيم له من البارزات أكمل الدلالات، وكذلك هو والمبعوث الذى يعذب مخالفه، فهو السيد العظيم محمد ﷺ لقيامه بالحجج المؤيدة بالدلالات القاطعة العقلية إلا أن العقل كنز من كنوز الله أحاط بجواهر الأدب ومد حبال تحكمه إلى القلوب مادته نورية لا تضعف بتعطيل بعض الحواس ولا تدخل فى المماثلة إلا مع المادة الروحية بالقياس يذهلها ذهول حجاب ألم الأعضاء، ويزعجها إزعاج دهشة حب الأشياء ويصرفها عن مدارها قلق متمكن وخوف مقنط، وقد يكون فى الناس من لا تنصرف مادة عقله بكل هذا العظم هيئتها النورية ولتحكمها فى برزخها القائم بها والقائمة به فتقف عند كل حادث مع القدر استسلامًا له وإيمانًا بالله وخضوعًا لحكمه وغيبة عن الآثار وتمكنًا فى مقام الرضا وتلذذًا باستفقاده تعالى فى الحياة وفرحًا بلقائه بعد الممات، وهذا مقام الرجال المحمديين الذين عرفوا الله وآمنوا به وتوكلوا عليه، وهم الذين قال الله تعالى فى شأنهم ﴿أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ لا خوف عليهم لبقائهم مع اختيار الله تعالى لهم، وهو سبحانه لا يختار كرمًا منه ولطفًا لمن أسقط اختياره عنده إلا الأمن والوقاية وهو يتولى الصالحين، ولا هم يحزنون بتقلب الواردات وترادف الحادثات، ولا ينوطهم حزن الحجاب عنه سبحانه

إذا قدموا عليه ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ وهم القوم القائمون به المطموسون عن غيره، العقلاء الخلص يعرفون كل حكم وحكمة دنيوية، ولا يشتغلون لزهدهم بها فيها ويعلمون سر كل درجة آخروية ولا ينفكون طرب بها عنها وفى الحالين علمهم لله وقصدهم الله ولذلك قيل لهم: أهل الله رجال الله فاستمسكوا بمنهاجهم واتبعوا بركة، آثارهم وكونوا من حزبهم وأنصارهم أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم الغالبون هم المفلحون.

وقال ﵁: لا يثقل على أحدكم أن يكثر من قراءة بسم الله الرحمن الرحيم فإنها سر الله الأعظم، سيفه القاطع، نور قدسه اللامع، فتح على فى مقام الشهود الجامع الأتم بكلمات انتظمت باسم الله فهتف بى هاتف الغيب أن سمها حزب الحراسة فسميتها كذلك، ورأيت ليلة ثامن عشر شوال سنة إحدى وخمسين وخمسمائة حبيبى رسول الله ﷺ فأذن لى بالمداومة على هذا الحزب المبارك صباحًا ومساءً وبشرنى أن من داوم عليه يكون محروسا بعين عناية الله ملحوظًا بنظر الرأفة من رسوله ﷺ.

فمن أراد فليداوم عليه، ولا يقطعنكم ما دونه القوم بالإلهام الصحيح من الأحزاب والدعوات عن قراءة القرآن والأدعية المأثورة عن النبى ﷺ، فإنها روح النفع الأتم وسر البركة الجامعة، وكل ما ألهم به الصالحون فهو من بركات القرآن العظيم، ومن عوارف مدد الرسول الكريم ﷺ، وهذا ما ألهمنا به والأمر لله.

بسم الله الرحمن الرحيم باسم الله توكلت على الله، باسم الله اعتصمت بالله، باسم الله انتصرت بالله، باسم الله ما شاء الله، لا يأتى بالخير إلا الله، باسم الله، ما شاء الله، لا يصرف السوء إلا الله، باسم الله ما شاء الله، ما

كان من نعمة فمن الله، باسم الله ما شاء الله لا حول ولا قوة إلا بالله، باسم الله، ظهر سر الله باسم الله جاء نصر الله، باسم لله أتى أمر الله، باسم الله، برزت غارة الله، باسم الله تمت كلمة الله، باسم الله ركبت خيول الله، باسم الله انتشرت جنود الله، باسم الله جاءت رجال الله، باسم الله لمع آيات الله، باسم الله نحن فى أمان الله، باسم الله علينا ستر الله، باسم الله حولنا حصن الله، باسم الله فوقنا حفظ الله، باسم الله يحرسنا حزب الله، باسم الله دخلنا فى ساحة لا إله إلا الله، باسم الله خرجنا إلى صحراء أمان محمد رسول الله، باسم الله قل كل من عند الله، باسم الله نحن الغالبون بإذن الله، باسم الله معنا يد الله، باسم لله وكفى بالله، باسم الله والحمد لله، باسم الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

أقول: لا بأس أن يقرأ هذا الحزب مرتين صباحًا ومساءً، أو بقدر ما يسره الله من العدد، وأن يبتدأ بالفاتحة لحضرة المصطفى وله وأصحابه، ويختم بالفاتحة لحضرة الإمام الرفاعى ﷺ وذرياته وآبائه وأجداده وإخوانه أولياء الله أجمعين.

وقال ﷺ: إذا أنت أخذت حق الله من نفسك، وأخذت نفسك منك، وذهبت مع الحق فقد عرفت نفسك، ومن عرف نفسه فقد عرف ربه، وإذا أنت وفيت الناس حقوقهم فعظمت كبيرهم ورحمت صغيرهم وأحسنت لمسيئهم وأجملت لمحسنهم واتعظت من حكيمهم وانجمعت عن لئيمهم، ونصرت ضعيفهم وما خذلت قويهم، وأمن كلهم بوائقك فقد أحسنت سياسة نفسك ومعاشرة إخوانك وأرضيت ربك وكفيت شرك، وأنت حينئذ العاقل الحكيم.

وإن جهلت نفسك ويخست الناس أشياءهم فقد أغضبت ربك وظلمت نفسك، وأنت إذن الأحمق اللئيم، فإياك أخى أن تقدح زناد همتك لإحراقك، وأن تسبح فى لجة هواك لإغراقك، الله الله بك انتصر لله على نفسك وانصف الناس من هزيمتها وطيشها الكاذب تسلم من ذل المآب وفزع الحساب ومقاطعة الأحباب وتدخل الباب وتحسب من غير الأحزاب:

النفس معنى الفتى يعلو إذا اتضعت

وإن تعالت فقدر الشخص موضوع

على أى شىء أم عويمر تضرب بعصا الغرور نفسك؟ وتبنى على الخيال الكاذب أساسك؟ نخوتها مربوطة بحبل شهوتها، الضدان لا يجتمعان، ترمح فوق جدران الأفلاك بوساوس بهتانها، وتدلى إلى قعر بحر الذل لآرابها الموافقة لميزانها، ما أقبحها من صاعد بلا استحقاق، وما أذلها من سافل بلا نطاق حكمة على مجرد سوء الأخلاق، خلها وسفاسف مقاصدها وطر بأجنحة العرفان إلى معالى الأمور، وسر مع أدب دينك إلى غاية علمك ويقينك لترتفع إلى مقام العزة والحبور، واخشوشن بمخالفة الهوى ومضادة الميل، وسق جيوش عزيمتك بعصى عزمك جنح الليل:

تعود سهر الليل

فإن النوم خسران

ولا تركن إلى الذنب

فعقبى الذنب نيران

وقم للواحد البارى

فللقرآن خلان

إذا جنـهـم الـلـيـل
فـهـم فى الـليل رهبـان
ينام الغـافل السـاهى
ومـا فى الـقـوم وسنان
ويلهـو الجـاهل اللاهى
وأهـل الله يـقـظـان
فـمـا يلهـيـهـمـو أهل
ولا حـزب وإخـوان
هـم والله فـتـيـان
إذا مـا قـيل فـتـيـان

أولئك القوم، وأين مثلهم اليوم؟ هجروا اللذت وتركوا المألوفات وعبدوا الله بخالص الطويات، ووقفوا عند سر: «إنما الأعمال بالنيات» وطرحوا الجزيل ورضوا بالقليل، طعامهم ما سد الرمق، ولباسهم ما ستر العورة، وما دونه من شبق ولا عبق.

قـوم إذا غـسلوا الثـيـاب رأيتـهم
لبـسـوا البـيـوت وزرروا الأبوابا

طابوا بالله واكتفوا به فأوصلهم إليه ودلهم عليه، وصرفهم فى الذرات، وأطلعهم على المخفيات فاندرج بسلكهم لتحسب منهم، فإنهم رضوا عن الله ورضى عنهم، وهو ولى المتقين.

الفتى من لا خصم له، الفتى خصم لربه على نفسه، الفتوة أن لا يفاخر الفتى من آمن الرحمن وهدى بالإيمان، والصديق الذى تسكن النفس إليه ويستريح القلب معه.

وأنشد:

اصـــحب من الإخـــوان من قلبـــه
اصـــفى مـــن اليـــاقـــون والـــجـــواهر
ومن إذا ســـــرك أودعـــــتـــــه
لم يظـهـــر الـســـر إلى المـــحـــشـــر
ومـــن إذا أذنـبـــت ذنـبًـــــــا أتـى
مـــعـتـــذرًا عنك كـمـــســـتـغـفـــر
ومن إذا غـــــيـــــبت عـــن عـــينه
أزعـــجـــه الشـــوق ولم يصـــبـــر

من كان له أخ فـى الله فقد وجب عليـه حقـه والمواساة له وحـفظه فى مشـهده وغيبتـه وأنتم إخوانى وأصحابى ولزمـه، فعليكم بمراقبـة الله تعالى وطاعته حتى لا تخجلونى غدا بين يدى العزيز سبحانه.

صديقك من حذرك الذنوب وبصرك بعـيوبك وأخوك من أرشدك إلى الله تعالى ومن صحت له مع الله صحبة لازم قراءة كتاب الله بالتدبر واتبع أوامره وتأدب بآدابه، ومن صحت له صـحبة مع رسول الله ﷺ تمـسك بأخلاقه وآدابه واتبع شريعـته وسنته، ومن صـحت صحبـته مع الأولياء اتبع سـيرتهم وطريقتهم وتـأدب بآدابهم ومن سقط من هذه الوجوه وأخذ مـا طاب له فقد سلك سبيل الهالكين والعاقبة للمتقين.

الولى يبلغ إلى حال من ربـه فيعطى بالله ويمنع بالله، ويغنى بالله ويفـقر بالله ويقعد بالله ويـقوم بالله ويقيد بالله ويطلق بالله، شكر نعـمة الله ذكرها، والضابط الشرع، وما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد.

أُعطيت خصلتين لم يعطهما الشيخ منصور، هو كان عاشقًا وأنا معشوق، والعاشق متعوب والمعشوق مدلل، وأعطيت الحكمة ولم يعطها، ووصلت إلى مقام إن عصيت قلبى عصيت الله لموافقة مطالعة أوامر الله من مرتبة عبديته القائمة بشأن قوله تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ وأين يكون لعدو الله السلطان على حزب الله الذين هم فى كنف الله، ويه عليه، هو سبقت له الشقوة وهم سبقت لهم الحسنى، هم أهل الغلبة القاهرة والسرائر الطاهرة، يحاسبون أنفسهم على كل نفس، من لم يحاسب نفسه على كل نفس ويتهمها لم يكتب عندنا فى ديوان الرجال، هذه البركات الطافحة والأنوار اللائحة مغترفة من بحر كرم ابن عبد الله أبى الطاهر، الرسول المؤيد الأعظم الرءوف الرحيم، نحن اتبعناه بالصدق وأطعناه وفق أمر الحق، والمبعود على شفا جرف:

على أى ظن رد قاضى الهوى الدعوى
وفى القلب سر نشره قط لا يطوى
غرام بحبل الروح منعقد على
وثيقة عهد كلها البر والتقوى
أقمت عليها فى حمى الصدق حجة
لها من معاريج الهدى الغاية القصوى
وزمزمت كأسًا حل فيه مدامة
حرام على أهل التجاوز والدعوى
وصنت له سرا قديمًا حديثه
عن الحجج الأثبات خير الورى يروى

خـزانـة وصل كل من رام فـتـحـهـا
فـقـد أغلق اللذات واسـتـفـتح البلوى
وأول مـا يقـضى على من يرومـهـا
قبـول البلا والبعـد عن موضع الشكوى
دنى الـسـدرة القـعـسـاء منهـا جـهـابذ
قد اتبـعوا المخـتار فى الـسـر والنجوى
وصـامـوا علـى الآثام صـوم مـودع
فصـانوا حماهم مـن هذيم ومن حذوى
سرت عـيـسـهم والضوء كـفكفه الـدجا
وتاهت أدلاء القـفـول عن الفـحـوى
أخـذت وحـيـدًا راية الـسـيـر بعـدهم
اجـوب طريقًا فى الدروب هو الأسـوى
ونصـيت فى أثنـاء المـسـيـر مـذاهبـا
على نصهـا بين الأولى صحت الفـتوى
كـذا من أراد الحب فليـحـتـفل به
وإلا فـمـا نـيل المنى لقـمـة الحلوى

فصل شريف

فيه شيء من مفردات كلمات سيدنا ومفزعنا الإمام الرفاعي طيب الله مرقده وقدس الله روحه

قال ﷺ: شجرة المعرفة تسقى بماء الفكر، وشجرة الغفلة تسقى بماء الجهل، وشجرة التوبة تسقى بماء الندامة، وشجرة المحبة تسقى بماء الإنفاق والموافقة والإيثار.

قال قدس الله روحه: من يكون سروره بغير الحق فسروره يورث الهموم، ومن لم يكن في خدمة ربه فهو من آنسه في وحشة.

وقال: علامة الأنس بالله أن يستوحش العبد من جميع الخلائق إلا من أهل ولاية الله تعالى، فإن الأنس بأهل ولاية الله هو الأنس بالله تعالى.

وقال: من استولت عليه النفس صار أسيراً في حكم الشهوات مسجوناً محصوراً في حكم الهوى، وحرم الله على قلبه الفوائد، ولا يستلذ بكلامه تعالى وإن كثر استرداده على لسانه، لأن الله تعالى قال: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾.

وقال: التصوف كل خُلُقٍ حسن، والخُلُقُ الحسن أن لا ترى لنفسك قيمة، وما ساد مَنْ ساد إلا ببذل النفس في الخدمة والخروج من كل خلق دني.

وقال: التصوف مراقبة الأحوال ولزوم الآداب.

وقال: من تأدب بآداب الصالحين فإنه يصلح لبساط القرب، ومن تأدب بآداب الصديقين فإنه يصلح لبساط الأنس والانبساط.

وقال: أعظم الغفلة غفلة العبد عن ربه وغفلته عن أوامره وغفلته عن آداب معاملته.

وقال: اصح العقول عقل وافق التوفيق، وشر الطاعة طاعة أورثت عجبًا، وخير الذنوب ذنب أعقب توبة وندامة.

وقال: السكون إلى مألوفات الطبائع يقطع بصاحبه عن بلوغ درجات الحقائق.

وقال: العبودية فى أربع خصال: الوفاء بالعهود، والحفظ للحدود، والرضا بالموجود، والصبر عن المفقود.

وقال: للتقوى ظاهر وباطن، فظاهره: محافظة الحدود، وباطنه: الإخلاص والنية.

وقال: العبودية الانكسار والخضوع.

وقال: التواضع قبول الحق على دوام الأوقات.

وقال: المعرفة ثلاثة أشياء: الهيبة والحياء والأنس.

وقال: من علامات الأنس رفع الحجب بين القلوب وبين علام الغيوب.

وقال: المحبة إقامة العتاب على الدوام.

وقال: إذا كانت نفسك غير ناظرة لقلبها فأدبها بمجالسة الحكماء من أهل خاصته.

وسئل عن الشكر فقال: التنعم بالنعم فى ذكر المنعم شكر المنعم.

وقال: أربع خصال عزيزة: عالم مستعمل بعلمه، وعارف ينطق عن حقيقة فعله، ورجل قائم لله بلا سبب، ومريد زل عنه الطمع.

وقال: الحكمة تنزل من السماء فلا تسكن فى قلب فيه أربعة أشياء:

الركون إلى الدنيا، وهَمّ غد، وحب الأمراء والتقرب منهم، ومن شاكلهم من أرباب الدنيان، وحسد الإخوان.

وقال: له بعض أصحابه: ما العافية؟ فقال: العافية أربعة أشياء: دين بلا بدعة، وعمل بلاث آفة، وقلب بلا شغل، ونفس بلا شهوة.

وقال: من علامة سعى المريد لنفسه سعيه فيما فيه هلاكها، ومن لم يحسن رعاية نفسه أسرع به هواه إلى الهلكة، والخاسر ثم الخاسر ثم الشقى ثم المطرود ثم المغبون ثم المحروم: من أبدى للناس أحسن أعماله وبادر بالقبيح من هو إليه أقرب من حبل الوريد.

وقال: بئس العبد عبد عصى الله بجوارحه وقلبه واعتذر إليه بلسانه من غير رجوع عما سلف.

وقال له بعض أصحابه: لم لا تلبس المرقع؟ فقال: من النفاق أن نلبس لباس الفتيان ولا ندخل فى حمل أثقال، وإنما يلبس لباس الفتوة من يصبر على حمل أذى الناس، فقيل له: وما الفتوة؟ فقال: رؤية أعذار الخلق وتقصيرك، وتمامهم ونقصانك، والشفقة على الخلق كلهم برهم وفاجرهم، طائعهم وعاصيهم، وإذا أسأت على كلب أو نهرته لم تكتب من الفتيان، وكمال الفتوة أن لا يشغلك شيء عن الله تعالى.

وقال: لا تزن الخلق بميزانك وزن نفسك بميزان المؤمنين لتعلم فضلهم وإفلاسك.

وقال: من ظن بأحد فتنة فهو المفتون.

وقال: أكثر الناس خيراً أكثرهم مدداً للمسامين.

وقال: ٠ن أبصر عيوب نفسه سلم من رؤية مساوى الناس.

وقال: التصوف رؤية الكون بعين المكوّن.

وقــال: من غض الطرف عن كل نـاقص يشاهـد من هو منزه عن كل نقص.

وقال: إذا تمكنت الأنوار في السر نطقت الجوارح بالبر.

وقــال: أف من أشغال الدنيا إذا اقـبلت، وأف من حسرتها إذا أدبرت، والعاقل من لا يركن إلى شيء إذا أقبل كان شغلا وإذا أدبر كان حسرة.

وقـال: أربعة أشياء لا بد للعاقل من حفظهن: الأمانة، والصدق، والأخ الصالح، والسريرة.

وقال: العلم حياة القلب من الجهل، ونور الفتى من الظلمة.

وقال: من ألزم نفسه شيئًا لا يحتاج إليه ضيع من أحواله ما يحتاج إليه.

وقال: لم يضيع أحد فريضة من الفرائض إلا ابتلاه الله بتضييع النفس.

وقال: لم يصف قلبك إلا بتصحيح النية لله تعالى، ولم يصف بدنك إلا بخدمة أولياء الله تعالى.

وقال: الشهوة زمام الشيطان فمن أخذ زمانه كان عبده.

وقـال: حكم المريد أن يكون فيه ثلاثة أشيـاء: نومه غلبة، وأكله فاقة، وكلامه ضرورة.

وقال: لا يصل العارف إلى ربه إلا بثلاثة أشياء: العلم والعمل والخلوة.

وقـال: المتوكل على الحقيقـة من قد رفع مثونته عن الخلق، فلا يشكر من أعطاه ولا يـذم من منعـه، قـبـل الله، لأنه يرى العطاء والـمنع من الله تعالى.

وسئل عن الطريق إلى الله تعالى فقال: اجتنب الجهلاء واصحب العلماء واستعمل العلم وداوم الذكر.

وقـال: متى ظهرت الآخرة فنيت فيهـا الدنيا، ومتى ظهر ذكر الله تعالى فنيت الدنيا والآخـرة، وإذا تحققت الأذكـار فنى العبد وذكره وبقى المـذكور بصفاته.

وسئل عن المعـرفة فقال: أن تعرف الله بكمال الربوبيـة، وتعرف نفسك بالعبودية، وتعلم أن الله أول كل شىء وعليه رزق كل شىء.

وقـال: من استغنى بالله أحوج الله الخلق إليه، ومن افتقر إلى الله وصح فقره بملازمة آدابه أغناه الله تعالى عن كل ما سواه.

وقال: ملاك القلب فى التبرى من الحول والقوة.

وقـــال: من مال إلى سـماع الملاهى فـقد خلا قلبـه من الخوف، لأن الخوف يدفع عن القلب الشهوات ويقطع عن الغفلات.

وقال: التواضع فى الطاعة والشرف فى التواضع والعز فى التقوى والحرية فى القناعة.

وقال: من استغفر وهو ملازم للذنب حرم الله عليه التوبة والإنابة إليه.

وقـال: عجبت لمن له طريق إلى ربه كيف يعـيش مع غيره؟ والله تعالى يقول: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ﴾.

وقـال: جبلـت الأرواح فى الأفراح، فـهى تعلو أبدًا إلى مـحل الفـرح والمشاهدة.

والأجساد خلقت من الأكمـاد، فهى لا تزال ترجع إلى كمدها من طلب هذه الفانية والاستمتاع بها.

وسأله بعض أصحابه يومًا: بماذا تعرف الأولياء فى الخلق؟ فقال: بلطف كلامـهم، وحسن أخـلاقهم، وبشاشـة وجوههم، وسـخاوة أنفسـهم، وقلة

اعتراضهم، وقبول عذر من اعتذر إليهم، وتمام الشفقة على الخلق ـ برهم وفاجرهم.

وقال: من توكل على الله أسكن قلبه الحكمة وأزال عنه كل مهم وأوصله وقلة إلى كل محبوب.

وقال: آيات الأولياء وكراماتهم: رضاهم بما يسخط العوام من مجارى المقدور.

وقال: الخوف له أثر فى القلب، يؤثر على ظاهر صاحبه، وهو الدعاء والتضرع والانكسار.

وقال: من خدم الله تعالى بطلب ثواب أو خوف عقاب فقد أظهر خسته وأبدى طمعه فقبيح بالعبد أن يخدم الله لغرض.

وقال: من سكن إلى غير الله أهمله وتركه ومن سكن إليه قطع طرف السكون إلى شىء سواه.

وسئل ما علامة رضاء الله تعالى عن العبد؟ فقال: نشاطه فى الطاعات وتثاقله عن المعاصى.

وقال: من أظهر كرامة فهو مُدَّعٍ، ومن ظهرت عليه الكرامات فهو ولى.

وقال: الفقر لباس الأحرار، والغنى بالله لباس الأبرار.

وقال: من صحب الفقراء فليصحبهم على سلامة الصدر وسخاء النفس وسعة الصدر وقبول الحق بالنعم والشدة.

وقال: الانقطاع عن الأحوال سبب الوصول إلى الله تعالى.

وقال: الصابر على رجائه لا يقنط من فضله.

وقال: الشكر أن تشكر على البلاء كشكرك على النعماء.

وقـــال: إن الله تعـالى خلق ابن آدم من الغـفلة، وركب فيـه الشهـوة والنسيان، فـهو كله غفلة، إلا أن يرحم الله عبدًا فينبـهه، وأقرب الناس إلى الله تعالى من عرف نفسه بالعجز والـذل والضعف وكثرة الحياء والتواضع لله تعالى.

وقال: أخسر الخاسرين من أبدى للناس صالح أعماله وبادر بالقبيح من هو أقرب إليه من حبل الوريد.

وقال: مدارج العلوم بالوسائط ومدارج الحقائق بالمكاشفة.

وسئل عن أخلاق الفـقراء فقال أخلاقهم الـسكون عند الفقر والاضطراب عند الوجود والأنس بالهموم والوحشة عند الأفراح.

وقيل له: ما بالك تتـغير عند التكبيرة الأولى فى الفرائض؟ فـقال: أفتتح فريضتى بالـصدق، فمن يقول: الله أكبـر وفى قلبه شىء أكبر منه فـقد كذب نفسه على لسانه.

وقـال: من تكلم على حال لا يصل إليـه كان كلامه فتنة لمن يـسمعه، وربما حرم الوصول إلى ذلك الحال وبلوغه.

وقيـل له: كيف الطريق إلى الله؟ فـقال للسـائل: أبشر، فـشوقك إلـيه أزعجك لطلب دليل يدلك عليه.

وأوصى يومًا لبـعض أصحابه فـقال: كن شريـف الهمة فـإن الهمم تبلغ الرجل مقام القرب.

وقــال: المعدة موضع جـميع الطعام، فإذا طرحت فيهـا الطعام الحلال صدرت الأعضاء بالأعمال الصالحة، وإذا طرحت فـيها الشبهات اشتبه عليك الطريق إلى الله تعـالى، وإذا طرحت فيهـا التبـعات كان بينـك وبين أمر الله حجاب.

وقال: كم مسرور سروره بلاؤه، وكم مغموم غمه نجاته.

وقال: العارف لا يعبد الله على موافقة الخلق، بل يعامل الخلق على موافقة الخلاق.

وقال له بعض أصحابه علمنى دعاء أدعو به، فقال له: قل اللهم امنن علينا بصفاء المعرفة، وهب لنا تصحيح المعاملة بينك وبيننا، على السنة والصدق وحسن الظن بك، وامنن علينا بكل ما يقربنا منك مقرونًا بالعوافى فى الدارين.

وقال: من أراد أن يعرف قدره عند الله تعالى فلينظر قدر هيبته سبحانه عنده وكيف هو فى خدمته.

وقيل له: ما الذى لا بد منه للعبد فقال ملازمة العبودية ودوام المراقبة.

وقال: من قدر على إسقاط جاهه عند الخلق سهل عليه الإعراض عن الدنيا وأهلها.

وقال: من أظهر محاسة لمن لا يملك ضره ولا نفعه فقد أظهر جهله.

وقال: آفة العبد رضاه عن نفسه بما هو فيه.

وقال: من ذل فى نفسه رفع الله تعالى قدره، ومن عز فى نفسه أذله الله تعالى فى أعين عباده.

وسئل عن التوبة فقال: إذا ذكرت الذنب ثم لا تجد حلاوته عند ذكره فهو التوبة.

وقال: ليس شيء أضر بالمريد من مسامحته للنفس فى ركوب الرخص وقبول التأويلات.

وسئل مرة عن القرب فقال: قربك منه بلزوم الموافقات وقربه منك بدوام التوفيق.

وسئل عن الذكر فقال: اعلموا أن المذكور واحد والذكر مختلف، ومحل قلوب الذاكرين متفاوتة، وأصل الذكر إجابة الحق من حيث اللوازم، لقوله ﷺ: «من أطاع الله فقد ذكره ـ وإن قلت صلاته وصيامه وتلاوته» ثم ينقسم الذكر لنوعين: ظاهر وباطن، فأما الظاهر فالتهليل والتحميد وتلاوة القرآن، وأما الباطن فتنبه القلوب على شرائط التيقظ إلى معرفة الله تعالى وأسمائه وصفاته وأفعاله ونشر إحسانه وإمضاء تدبيره ونفاذ تقديره على جميع خلقه، ثم يقع ترتيب الأذكار على مقدار الذاكرين فيكون ذكر الخائفين على مقدار مواقع الوعيد، وذكر الراجين على قدر ما استبان لهم من وعده، وذكر المحبين على قدر النعماء، وذكر المراقبين على قدر العلم باطلاع الله تعالى عليهم، وذكر المتوكلين على قدر ما انكشف لهم من كفاية الكافى، وذلك مما يطول ذكره، ويكثر شرحه.

وذكر الله متفرد، وهو ذكر المذكور بإفراد وحدانيته عن كل مذكور سواه، لقوله ﷺ عن ربه عز وجل: «من ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى» والأصل فى هذا إفراد النطق باللاهوتية لقوله ﷺ: «أفضل الذكر لا إله إلا الله».

وروى أنه قدس الله روحه دعى إلى دعوة فمد واحد من أصحابه بيده إلى الطعام قبله لما كان به من الفاقة فأراد بعض أصحاب الإمام رضي الله عنه أن ينكر عليه لسوء أدبه حيث مد يده إلى الطعام قبل الإمام رضي الله عنه، فوضع له شيئًا، فعلم الفقير الإنكار عليه لما جرى من سوء أدبه، فعاهد نفسه أن لا يأكل طعامًا خمسة عشر يومًا، عقوبة لنفسه وتأديبًا لها وإظهارًا للتوبة من سوء أدبه، وكان قد أصابه فاقة شديدة فكوشف السيد أحمد رضي الله عنه بما أصاب

الفقير، فأضمر أيضًا فى نفسه أن لا يأكل طعامًا أيضًا خمسة عشر يومًا، فلما انقضى الأجل ما بينهما صنع الإمام الرفاعى ﷺ طعامًا ودعا بالفقير ولاطفه حتى نفى ما فى باطنه من الوحشة.

وقال: ما وجبت علىَّ زكاة الفطر إحدى وأربعين سنة.

وقال: من لم يجمع قلبه على الحقيقة من ربه فسدت صلاته.

وقال: القلب مضغة وهو محل الأنوار وموارد الزوائد من الجبار، وبه يصح الاعتبار وجعل الله القلب أميرًا فقال: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾ ثم جعله أسيرًا فقال: ﴿أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾.

وقال: من أقبل إلى الدنيا وسكن إليها أحرقته بنيرانها فصار رمادًا لا قيمة له ولا قدر، ومن أقبل على الآخرة وسكن إليها أحرقته بنورها فصار سبيكة ذهب ينتفع به، ومن أقبل على الله أحرقه التوحيد فصار جوهرًا لا قيمة له.

وقال: ما حياة القلب إلا فى إماتة النفس.

وقال: إذا سكن الحق فى القلب نطقت الجوارح بالبر والصدق.

وقال: الاستهانة بأولياء الله من قلة المعرفة بالله تعالى.

وقال: ما استصغرت أحدًا إلا وجدت من ذلك نقصانًا فى إيمانى ومعرفتى.

وقال: رأس مالك قلبك ووقتك، وقد أشتغلت قلبك بهواجس الظنون وضيعت أوقاتك بارتكاب ما لا يعنيك، فمتى يربح من خسر رأس ماله.

وقال: أجل شىء يفتح الله به على عبده التقوى فإنه منه تتشعب جميع الخيرات وأسباب التقرب، وأصل التقوى: الإخلاص والصدق، وحقيقته التخلى عن كل شىء إلا عمن إليه تقواك.

وقال: الصدق استقامة الطريق فى الدين واتباع السنة فى الشرع.

وقال: الشهوة أغلب سلطان على النفس فلا يزيلها إلا الخوف المزعج.

وقال: في رؤية النفس نسيان منن الله عليك.

وقال: من غض بصره عن شهوة أورثه الله بذلك حكمة على لسانه يهتدى بها، ومن فطم نفسه عن شهوة نَوَّرَ الله قلبه بنور يهتدى به إلى طريق مرضاته.

وقال: من أسكن نفسه شيئًا من محبة الدنيا فقد قتلها بسيف الطمع.

وقال: صحبة أهل الصلاح تورث فى القلب الصلاح، وصحبة أهل الفساد تورث فى القلب الفساد.

وقال: الصبر من أخلاق الرجال، والرضا من أخلاق الكرام.

وقال: الخوف سوط الله تعالى يُقَوِّمُ به أنفسًا تعودت سوء الأدب، ومتى أساءت الجوارح بتركها الواجب فاعلم أن ذلك من غفلة القلب وظلمة السر.

وقال: من استوحش بنفسه أنس بقلبه.

وقال: أتم الخوف ما كان على صفة الوجد لا على فقد ما يرجو ويتمنى.

وقال: الورع أن يتورع اللعبد عما سوى الله تعالى.

وقال: يومًا لأحد أصحابه، وقد سأله عن طريق: الزم بيتك وكن وحيدًا وامح اسمك من القوم واستقبل القبلة واجعله أمامك حتى تموت.

وقال: حقيقة الفقر أن لا تستغنى بشىء دون الله عز وجل.

وقال: التصوف ضبط حواسك ومراعاة أنفاسك.

وقال: إنكار ولايات الأولياء فى قلوب الجهال من ضيق صدورهم عن المصادر، وبعد علومهم عن موارد القدرة.

فصل فى شىء من حكمه الشريفة
كتبها رضي الله عنه فى كتابه للشيخ عبد السميع الهاشمى العباسى
طيب الله مرقده

وهذا هو الكتاب الشريف بنصه:

قال رضي الله عنه:

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين، والسلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، من العبد اللا شى أحيمد إلى الشيخ المحتشم أخينا عبد السميع الهاشمى، كان الله لنا وله وللمسلمين، آمين.

أى أخى، أوصيك بتقوى الله واتباع سنة رسوله ﷺ، وأحب أن تحرص على نصيحتى هذه، فهى نافعة لك وأمثالك، إن شاء الله، وإياك أن تودعها صغير أهلها فتظلمها.

أى عبد السميع، الفقير إذا انتصر لنفسه تعب، وإذا سلم الأمر إلى الله تعالى نصره من غير عشيرة ولا أهل، العقل كنز الفوائد وكيمياء السعادة، العلم شرف فى الدنيا، عز فى الآخرة، ما أقام مع المستعار إلا المحجوب، ليست النائحة الثكلى كالنائحة المستأجرة، كم طيرت طقطقة النعال حول الرجال من رأس وكم أذهبت من دين، لفظتان ثلمتان فى الدين: القول بالوحدة، والشطح المجاوز حد التحدث بالنعمة، دفتر حال الرجل أصحابه، تعب الناس وحسابهم على الرياسة والشهوة وفيهما الغايات، كل حقيقة خالفت الشريعة فهى زندقة، غاية المعرفة بالله الإيمان بوجوده تعالى، بلا

كيف ولا مكان، ثقل مرض الموت أول قناطر المعرفة بالله عند المحجوبين، ولهذا قيل لنا: موتوا قبل أن تموتوا، حضرة الموت تكشف الحجاب، كما ورد: «الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا».

كل توحيدك قبل تنزيهه تعالى شرك، التوحيد وجدان فى القلب يمنع عن التعطيل والتشبيه، رح وتعال كلك خيال، انزل يا مسكين عن فرس عجبك، رُبَّ عثرة أوصلت الحفرة، رُبَّ علم ثمرته جهل ورب جهل، ثمرته علم، كيف يصح لك عز العلم وأنت كسوت علمك ثوب الذل؟ لا تظن أن صبغك يستر شيبك غيره وما ستره، لو خطى لرجل من قاف إلى قاف كان جلوسه أفضل، ولو تكلم عن الذات والصفات كان سكوته أفضل، من تطاول على الخلق قصر عند الخالق، من تعالى على العباد سقط من عين المعبود، كل حال تحوله فيه وكل ظاهر به ما يخفيه، من ادرع بدرع الصبر سلم من سهام العجلة، الرجل المتمكن إذا نصب له سنان على أعلى جبل شاهق فى الأرض وهبت عليه رياح الليالى الثمان، ما غيرت منه شعرة واحدة.

الكاذب يقف مع المبتدعات والعاقل غايته وراءها، من كمل أنفت نفسه من كل شىء غير ربه، الخلق كلهم لا يضرون ولا ينفعون، حجب نصبها لعباده فمن رفع تلك الحجب وصل إليه، الاطمئنان بغيره تعالى خوف والخوف منه اطمئنان من غيره، تحت كل حالة حال ربانى لو عرفته لعلمت أنك تسكن به وتسعى به وانت مسخر، اعملوا ولا تتكلوا فكلٌ ميسر لما خلق له، الصوفى من صفا فلم ير لنفسه على غيره مزية، كل الأغيار حجب قاطعة فمن تخلص منها وصل، الوقت سيف يقطع من قطعه.

علامة العامل الصبر عند المحنة والتواضع عند السعة والأخذ بالأحوط

وطلب الباقى سبحانه وتعالى: علامة العارف كتمان الحال وصحة المقال والتخلص من الآمال، الدنيا والآخرة بين كلمتين: عقل ودين، العلم ما رفعك عن رتبة الجهل وأبعدك عن منزلة العزة وسلك بك سبيل أولى العزم.

الشيخ من إذا نصحك أفهمك، وإذا قال ذلك وإذا أخذك نهض بك، الشيخ من يلزمك الكتاب والسنة ويبعدك عن المحدثة والبدعة، الشيخ ظاهره الشرع وباطنه الشرع، الطريقة الشريعة، لوث هذه الخرقة كذاب، قال الباطن غير الظاهر، العارف يقول الباطن باطن الظاهر وجوهره الخالص، القرآن بحر الحكم كلها، ولكن أين الأذن الواعية؟ رنة النجاح تسمع عند قرع باب الرضا من الله، ارض عن الله ونم مرضيا ولك الأمن، ما شم رائحة المعرفة من افتخر بأبيه وأمه وخاله وعمه وماله ورجاله، ليس عند الله على شىء من رأى نفسه، لو عبد الله العابد بعبادة الثقلين وفيه ذرة من الكبر فهو من أعداء الله وأعداء رسوله ﷺ:

ثلاث خصال من كن فيه لا يكون وليا إلا إذا طهره الله منهن: الحمق والعجب والبخل، أكذب الناس على الله والخلق من رأى نفسه خيراً من الخلق، كل الظلم التعالى على الناس، الظلم حرص الرجل على المراتب الكاذبة الدنيوية ومنها أن يحب الارتفاع على أخيه بكلمة أو جلسة لا حق له بها، وعلى ذلك تقاس المراتب، من أخذ الناس بقوته القاهرة ترك فى قلوبهم الضغائن عليه كيفما كان، ومن أخذ الناس بانكساره ترك فى قلوبهم الاعتراف له عز أو هان.

نعم الرفيق فى بلاد الله تقوى الله، ونعم المراح الإخلاص، لن يصل العبد إلى مرتبة أهل الكمال وفيه بقية من حروف أنا، الشطاح يقف مع

شطحه حالة الشطح إذا لم يسقط، والكامل لا يشتغل عن خدمته، الدعوى بقية رعونة فى النفس لا يحتملها القلب فينطق بها لسان الأحمق، التحدث بنعمة الله ذكر القربية والتخلص من تجاوز مرتبة العبدية، العارف لا ينظر إلى الدنيا ولا إلى الآخرة، كل الكمال ترك الأغيار وطرح الاستبشار بحوادث الأكوان، والذل بكسوة الفنا بين يدى الحى الذى لا يموت، لا تجعل رواق شيخك حرمًا وقبره صنمًا وحاله دفة الكدية، الرجل من يفتخر به شيخه لا من يفتخر بشيخه، من صم أسماعه عن أصوات الأغيار سمع نداء: لمن الملك اليوم فنزل عن فرس كذبه وعجبه وأنانيته وحوله وقوته ووحدته، وانقهر فى مقام عبوديته، إياك والقول بالوحدة التى خاض بها بعض المتصوفة، إياك والشطح فإن الحجاب بالذنوب أولى من الحجاب بالكفر ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ إذا رأيت الرجل يطير فى الهواء فلا تعتبره حتى تزن أقواله وأفعاله بميزان الشرع، إياك والإنكار على الطائفة فى كل قول وفعل، سلم لهم أحوالهم إلا إذا ردها الشرع فكن معه.

التكلم بالحقائق قبل هجر الخلائق من شهوات النفوس، من عدل عن الحق إلى الباطل تبعًا لهوى نفسه فهو من الضلال بمكان، أول أبواب المعرفة الاستئناس بالله سبحانه وتعالى، والزهد أول قدم القاصدين إلى الله عز وجل، من مات محبًا مات شهيدًا ومن عاش مخلصًا عاش سعيدًا، وكلا الأمرين بتوفيق الله تعالى، من سلك الطريق بنفسه أعيد قسرًا، هذه الطريقة لا تورث عن الأب والجد إنما هى طريقة العمل والجد والوقوف عند الحد وذر الدموع على الخد والأدب مع الله تعالى.

ظن بعض الجهلة أن هذه الطريقة تنال بالقيل والقال والدرهم والمال وظواهر الأعمال، لا والله إنما نيلها بالصدق والانكسار والذل والافتقار واتباع سنة النبى المختار، وهجر الأغيار، من اعتز بذى العزة عز ومن اعتز بغيره وقف معه بلا عز، كتاب الله آية جامعة اندرجت فيها الآيات الربانيات، من أنعم الله عليه بفهم بواطن كتابه والتزام ظاهر الشرع فقد جمع بين الغنيمتين، ومن أخذ برأيه ضل وانقطع عن الباطن والظاهر، ذكر الله جنة من كل نازلة سماوية وحادثة أرضية، أجل إن الذاكر جليس الحق فعليه أن يتأدب مع المذكور لكيلا يقطع عن المجالسة التى هى بركة القبول والطهارة من الغفلة.

كل لسان يتكلم مترجمًا عن حضرة القلب يظهر بضاعتها ويفتح خزانتها، فمن طهرت حضرة قلبه طاب لسانه وعذب بيانه، فإن اعتبر بالفتح السيال على لسانه واعتنى بتطهير حضرة القلب ازداد عرفانه وبرهانه، ومن اكتفى بخط اللسان بقى مع الأقوال قصير الباع عن تناول ثمرات الأفعال، روح جسم المعرفة الانتباه الدائم والسر السليم والقلب الرحيم والقدم الثابت، من الحكمة أن تودع المعروف أهله ومن الصدق أن تمنعه غير أهله، وثمرة الصنيعين من الله تعالى، إذا أودعت معروفًا فلا تنكره فإنه ثقيل عند الله، ما أفلح من دس ولا عز من ظلم ولا يتم حال لباغٍ ولا يخذل عبد رضى بالله وكيلا ونصيرًا مشكك لا يفلح ودساس لا يصل، وبخيل لا يسود وحسود لا ينصر، وكلب الدنيا لا يستولى على لحم جيفتها، والله محول الأحوال، غارة الله تقصم وتقهر وتدمر وتفعل وتقلب حال مملكة كسروية، لكسر قلب عبد مؤمن انتصر بالله، كل الناس يرون أنفسهم فيغان على قلوبهم، فالمحمدى يستغفر ويدفع الحجاب، والمحجوب يزداد طمسا على طمس،

والمعصوم من عصمه الله، لا دواء للحمق ولا دافع للحق، لا صحبة للمغرور ولا عهد للغادر ولا نور للغافل ولا إيمان لمن لا عهد له، كتب الله على كل نفس زكية أن تعذب فى الدنيا بأيدى الأشرار وألسنة الفجار، وكتب على كل نفس خبيثة أن تسيء للمحسن وأن تمكر بالمجمل، والعون الإلهى محيط بالعبد المخلص المنكسر، وما للظالمين من انصار.

علامة العدو أن يرغب بما فى يدك وأن يرغب عنك إذا قل مالك، وأن يستل سيف لسانه بمغيبتك وإن يكره أن تمدح فدعه لله فهو عثور على رأسه كالنار تأكل حطبها، وكفى بالله نصيرا وعلامة الصديق أن يحبك لله فالصق به فإن أهل المحبة قليل، أول كلام بعض الفقراء وكأنك تدرأ الحدود بالشبهات، لو كنت فى زمن الحلاج لأفتيت مع من أفتى بقتله إذا صح الخبر ولأخذت بالتأويل الذى يدرأ عنه الحد ولقنعت منه بالتوبة والرجوع إلى الله، إن باب الرحمة لا يغلق، وهب الله عباداً من عباده رتبًا رفيعة اطلع عليها أهل الوهب، فمن أدرك سر الله فى طى هذه المواهب تواضع للخلق جميعًا، فإن الخواتيم مجهولة وساحة الكرم وسيعة، ولا قيد فى حضرة الوهب، يفعل الله ما يشاء يختص برحمته من يشاء.

قال بعض الأعاجم من صوفية خراسان: إن روحانية ابن شهريار الصوفى الكبير ـ قُدس سره ـ تتصرف فى ترتيب جموع الصوفية فى العرب والعجم إلى ما شاء الله، ذلك لم يكن إلا لله الوهاب الفعال، النيابة المحمدية عند أهل القلوب ثابتة تدور بنوبة أهل الوقت على مراتبهم، وتصرف الروح لا يصح لمخلوق، إنما الكرم الإلهى يشمل أرواح بعض أوليائه، بل كلهم، فيصلح شأن من يتوسل بهم إلى الله، قال تعالى: ﴿نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ

الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ﴾ هذا الحد، إياك وإفراط الأعاجم فإن فى أعمال بعضهم الإطراء الذى نص عليه الحبيب ﷺ، وإياك ورؤية الفعل فى العبد - حيًّا كان أو ميتًا - فإن الخلق كلهم لا يملكون لأنفسهم ضرًّا ولا نفعًا، نعم خذ محبة أحباب الله وسيلة إلى الله، فإن محبة الله تعالى لعباده سر من أسرار الألوهية، يعود صفة للحق، ونعم الوسيلة إلى الله سر ألوهيته وصفة ربويته، الولى من تمسك كل التمسك بأذيال النبى ﷺ ورضى بالله وليًّا ممن اعتصم بالله جل، ومن اعتمد على غير الله ذل، ومن استغنى بالأغيار قل، ومن اتبع غير طريق الرسول ضل.

العلم نور والتواضع سرور، الهمة حالة الرجل مع الله، يتفاوت علو مرتبة الإيمان بعلو الهمة، من أيقن أن الله الفعال المطلق صرف همته عن غيره، من علت فى الله همته صحت إلى الله عزيمته وانفصلت عن غير الله هجرته، مائدة الكرم يجلس عليها البر والفاجر، لله عند الخواتيم حنان ولطف على عباده فوق حنان الوالدة على ولدها، إن الله إذا وهب عبده نعمة ما استردها، فيوضات المواهب الإلهية فوق مدارك العقول وتصورات الأوهام.

من علم أن الله يفعل ما يريد فوض الأمر إلى الفعال المقتدر وفرش جبينه على تراب التسليم، كل الحقائق إذا انجلت يُقرأ فى صحائفها سطر ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ﴾ إذا ما أمعنت النظر فى دوائر الأكوان رأيت العجز محيطا بها والافتقار قائمًا معها، ولربك الحول والقوة، والغنى والقدرة، وحده لا شريك له، مزالق الأقدام الدعوى ورؤيا النفس ومعارضة الأقدار، لو كان لك ما ادعيت من الحول والقوة لما مت، أين أنت يا عبد

الرياسة؟ أين أنت يا عبد الدعوى؟ أنت على غرة، تنح عن رياستك وغرتك والبس ثياب عبديتك وذلتك، كل دعواك كاذبة وكل رياستك وغرتك هزل، القول الفصل ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ﴾ سر بين الحائطين: الشرع والعمل، اسلك طريق الاتباع، فإن طريق الاتباع خير وطريق الابتداع شر، وبين الخير والشر بون بين، مرغ خدك على الباب وافرش جبينك على التراب ولا تعتمد على عملك والجأ إلى رحمته وقدرته، وتجرد منك ومن غيرك علك تلحق بأهل السلامة ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾.

بركة العبد الوقت الذى يتقرب به إلى الله عز وجل، الأولياء لهم الحرمة فى الباب الإلهى ولولا أن جعل لهم هذه القسمة لما اختصهم دون غيرهم بولايته سبحانه وتعالى، هؤلاء حزب الله، جيشه العرمرم الذى أيد الله به الشريعة ونصر به الحقيقة وصان به شرف نبيه ﷺ والحقه به، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ المعرفة بالله على أقسام، وأعظم أقسامها تعظيم أوامر الله تعالى، بين العبد وبين الرب حجاب الغفلة لا غير، قال الله تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ العبد العارف يفزع إلى الله ويتوقع سر الله، وسر الله العون الناشئ من محض الكرم والفضل من دون سابقة صنع ولا عمل، القلب يتقلب بين أصبعى قدرة الرحمن فاسألوا الله أن يثبت القلوب على محبته ودينه، وكفى به وليًا، المظاهر البارزة منها ما فيض للخير ومنها ما فيض للشر، والمتصوف فيها باريها، فالمظهر المفيض للخير يشكر والمظهر المفيض للشر ينكر، والله فى الحالين يذكر.

لا يتم نظام رجل أقامه الله مظهرًا للشر، لأن الله لو أراد أن يتم نظامه لما أقامه مظهرًا فيما يكرهه، دع عنك الاهتمام بتقويم المعوج قبل بروز

السانحة المقومة، فإن سحاب الخير يمطر بأبانه ولا يطلب قبل أوانه، لا تسقط همتك بيد همك فتنقلب عن المطالب العلية، فإن الهم كافور الهمة والإقدام عنبرها، والمقضى كائن وغيره لا يكون، قف عند أفعالك التى وهبت لك ولا تكلف نفسك تبديل ما اضطررت بفعله ولا ترك مجبوراً أو مختاراً، فإن الأمر بين الأمرين، كل ولى يقول ويصول فهو فى حجاب القول والصولة حتى ينقهر تحت سطوة الربوبية ويفىء إلى أمر الله، فإذا فاء دنى فتدلى بصدقه إلى قاب قوسى المتابعة المحمدية، وحينئذ تصح له رتبة العبودية التى هى أكمل الرتب وأعلاها وأقربها من الله وأدناها وأعظمها وسيلة إليه وأقواها، وليس للمخلق سواها.

كل من اكتحل بإثمد التوفيق علم علم اليقين وحق اليقين أن المباطن والمظاهر تحت قهر الباطن الظاهر صفاء القلب والبصيرة ونفاذ نور البصر يكون من قلة الطعام والشراب، لأن الجوع يزيل الكبر والتعاظم والتجبر، وبه تعذيب النفس حتى تصير مشغوله بالحق، وما رأيت شيئا يكسر النفس مثل الجوع قط، وأما الشبع فإنه يورث قسوة القلب وظلمته وعدم نفاذ نور البصيرة، وتكثر بسببه الغفلة.

رعاية خواطر الجيران أولى من رعاية خواطر الأقارب، لأن الأقارب خواطرهم مجبورة بالقرابة والجيران والقلب المنور يميل إلى صحبة الصلحاء والعارفين وينفر من صحبة المتكبرين والجاهلين، معاملة عباد الله بالإحسان توصل العبد إلى الديان، والصلاة على رسول الله ﷺ تسهل المرور على الصراط، وتجعل الدعاء مستجابًا، والصدقة تزيل غضب الله، والإحسان للوالدين يهون سكرات الموت.

صحبة الأشرار والحمقى والظلمة وأهل الحسد ظلمة سوداء، العارف من كان على جانب كبير من سلوك طريق الحق، مع المواظبة والاستقامة عليه فلا يتركه دقيقة واحدة، الصوفى يتباعد عن الأوهام والشكوك ويقول بوحدانية الله تعالى فى ذاته وصفاته وأفعاله لأنه ليس كمثله شيء، يعلم ذلك علما يقينًا ليخرج من باب العلم الظنى وليخلع من عنقه ربقة التقليد، الصوفى لا يسلك غير طريق الرسول المكرم ﷺ فلا يجعل حركاته وسكناته إلامبنية عليه، الصوفى لا يصرف الأوقات فى تدبير أمور نفسه لعلمه أن المدبر الحق عز وجل، ولا يلجأ فى أموره ويعول على غير الله تعالى، الصوفى يتجنب مخالطة الخلق مهما أمكن، لأن الصوفى كلما زاد اختلاطه بالخلق ظهرت عيوبه والتبس عليه الأمر وإذا خالط البعض فليختر لنفسه صحبة الصالحين، فإن المرء على دين خليله، نفس الفقير مثل الكبريت الأحمر لا يصرف إلا بحق لحق، من لم يزن أقواله وأفعاله وأحواله فى كل وقت بالكتاب والسنة ولم يتهم خواطره لم يثبت عندنا فى ديوان الرجال، من علم ما يحصل له هان عليه ما يبذل، من استقام بنفسه استقام به غيره، كيف يستقيم الظل والعود أعوج؟ الفقير إذا كسر نفسه وذل وانداس واحترق بنار الشوق والصدق وثبت فى ميدان الاستقامة بين يدى الله تعالى صار معدن الخيرات ومقصد المخلوقات، وصار كالغيث، أين وقع نفع، ويكون حينئذ رحمة وسكينة على خلق الله تعالى، ربما اتبع الكاذب وهجر الصادق، وكثرة طقطقة النعال حول المغرورين وتباعد الناس عن المتروكين، فلا تعجب من ذلك فإن حال النفس تحب القبة المزينة والقبر المنقوش والرواق الوسيع وتألف الشيخ الكبير العمامة الوسيع الكم الكثير الحشمة، فسير همة النفس

لكشف هذه الحجب وقل لنفسك: لو رأيت رسول الله ﷺ على حصيرة وقد أثرت بجنبه الشريف، ورأيت أهل بيته رضوان الله وسلامه عليهم، لا طعام لهم ولا حشم، ثم رأيت كسرى العجم على سريره المرصع بالجواهر واليواقيت، وأهل بيته مستغرقين بالترف والنعيم محاطين بالخدم والحشم، أين تكونين؟ ومع أى صف تنصرفين؟ فلا بد أن وفقها الله إن تحب معية رسول الله ﷺ وأهل بيته، فقد بهذا الشأن همة القلب إلى أهل الحال المحمدى تحسب فى حزب الله ﴿أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ وإياك أن تنظر حال تقشفك شيئًا، فإن الجوع بلا معرفة وأدب محمدى وصف من أوصاف الكلاب، فارفع قدرك بالأدب المحمدى إلى مراتب أهل الوصلة من صدور القوم، واقطع عنك رؤية العمل واطمس حروف أنانيتك، فإنها بقية إبليس وكن عبدًا محضًا تفز بقرب سيدك، وكفى بالله وليا.

تعلق الناس اليوم بأهل الحرف والكيمياء والوحدة والشطح والدعوى العريضة، إياك ومقاربة مثل هؤلاء الناس، فإنهم يقودون من اتبعهم إلى النار وغضب الجبار، ويدخلون فى دين الله ما ليس منه، وهم من جلدتنا، إذا رأيتهم حسبتهم سادات الدعاة إلى الله تعالى، حسبك الله إذا رأيت أحدًا منهم قل يا ليت بينى وبينك بعد المشرقين، جاهل من أهل هذه الخرقة يلحق يدك بيد القوم ويأمرك بذكر الله وملازمة الكتاب والسنة خير من تلك الطائفة كلها، فر منهم كفرارك من الأسد، كفرارك من المجذوم.

قال حذيفة ﷺ: كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركنى، فقلت: «يا رسول الله، إنا كنا فى جاهلية وشر فجاء الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: نعم، قلت:

فهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: نعم، وفيه دخن، قلت: وما دخنه؟ قال: قوم يهدون بغير هدى، تعرف منهم وتنكر، قلت: فهل بعد ذلك من شر؟ قال: دعاة على أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها، قلت: يا رسول الله صفهم لنا، قال: هم من جلدتنا، يتكلمون بألسنتنا، قلت: فما تأمرنى إن أدركنى ذلك؟ قال: تلزم جماعة المسلمين وإمامهم، قلت: فإن لم تكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعض على أصل شجرة حتى يأتيك الموت وأنت على ذلك.

هذه وصية نبيك الأمين سيدنا وسيد العالمين عليه صلوات الله وسلامه، فاحفظها واعمل بها، وإياك والتعزز بالطريق، فإن ذلك من سوء الأدب مع الله والخلق، وإنما بنى هذا الطريق على التذلل، فإن القوم ذلوا حتى آتاهم الله بعز علىّ من عنده وافتقروا حتى آتاهم بغنى من فضله، واحذر الفرقة التى دأبها تأويل كلمات الأكابر والتفكه بحكاياتهم وما نسب إليهم، فإن أكثر ذلك مكذوب عليهم، وما كان ذلك إلا من عقاب الله للخلق لما جهلوا الحق وحرصوا على الخير، فابتلاهم الله بأناس من ذوى الجرأة السفهاء فأدخلوا على رسول الله ﷺ أحاديث تنزه مقام رسالته عليه الصلاة والسلام عنها من المرغبة والمرهبة والغامضة والظاهرة، وسلط الله أيضًا أناسًا من أهل البدعة والضلالة فكذبوا على القوم، وأكابر الرجال الأكابر، وأدخلوا فى كلامهم ما ليس منه، فتبعهم البعض فألحقوا بالأخسرين أعمالا.

فعليك بالله، وتمسك للوصول إليه بذيل نبيه ﷺ، والشرع الشريف نصب عينيك وجادة الإجماع ظاهرة لك، لا تفارق الجماعة أهل السنة، تلك الفرقة الناجية، واعتصم بالله واترك ما دونه، وقل فى سرك: أى سيدى قولى:

فليتك تحلو والحياة مريرةٌ
وليتك ترضى والأنام غضابُ
وليت الذى بينى وبينك عامرٌ
وبينى وبين العالمين خرابُ
إذا صح منك الود فالكل هينٌ
وكل الذى فوق التراب ترابُ

ولا تعمل عمل أهل الغلو فتعتقد العصمة فى المشايخ أو تعتمد عليهم فيما بينك وبين الله، فإن الله غيور لا يحب أن يدخل فيما آل إلى ذاته بينه وبين عبده أحدًا، نعم هم أدلاء على الله، وسائل إلى طريقه، يؤخذ عنهم حال رسول الله ﷺ، رضى الله عنهم ورضوا عنه، نتوسل بهم إلى الله برضا الله عنهم، لا يخزى الله عباده الذين أحبهم، وهو أكرم الأكرمين، اترك الفضول وانقطع عن العمل بالرأى، وإذا أدركك زمان رأيت الناس، فيه على ما قلناه فاعتزل الناس فقد قال ﷺ: «إذا رأيت شحا مطاعًا وهوًى متبعًا وإعجاب كل ذى رأى برأيه فعليك بخويصة نفسك» تخلق بخُلُق نبيك، كن لين العريكة حسن الخلق عظيم الحلم وفير العفو صادق الحديث سخى الكف رقيق القلب دائم البِشر كثير الاحتمال والإغضاء، صحيح التواضع، مراعيا للخلق، راعيا حق الصحبة متواصل الأحزان دائم الفكرة كثير الذل طويل السكون صبورًا على المكاره متكلا على الله، منتصرًا بالله، محبا للفقراء والضعفاء، غضوبًا إذا انتُهكت محارم الله، كل ما وجدت ولا تتكلف ما فقدت، ولا تأكل متكئًا، والبس خشن الثياب كى يقتدى بك الأغنياء، ولا تُحزن لجديد ثيابك قلوب الفقراء، وتختمه بالعقيق ونم على فراش حشى

بالليف أو على الحصير أو على الأرض، قائمًا بسنة نبيك ﷺ في الحركات والسكنات والأفعال والأقوال والأحوال، حَسِّن الحسن وقَبِّح القبيح، ولا تجلس ولا تقم إلا على ذكر، وليكن مجلسك مجلس حلم وعلم وتقوى وحياء وأمانة، وجليسك الفقير ومواكلك المسكين، ولا تكن سخابًا ولا فحاشًا، ولا تذم أحدًا ولا تتكلم إلا فيما ترجو ثوابه، وأعط كل جليس لك نصيبه ولا تدخر عن الناس برك، واحذر الناس واحترز منهم ولا تطو عن أحد منهم بِشرك، ولا تشافه أحدًا بما يكره، وصن لسانك وسماعك عن الكلام القبيح، ولا تنهر الخادم، ولا ترد من سألك حاجة إلا بها، أو بما يسر من القول، وإذا خيرت بين أمرين فاختر أيسرهما ـ ما لم يكن مأثمًا ـ وأجب دعوة الداع وتفقد أصحابك وإخوانك، واعف عمن ظلمك ولا تقابل على السيئة بالسيئة، وقم بالليل باكيا في الباب، وطب بالله وحده وكفى بالله وليًا.

قال إمامنا الشافعي رضي الله عنه: من شهد في نفسه الضعف نال الاستقامة.

وقال: أركان المروءة أربعة: حسن الخلق، والتواضع، والسخاء، ومخالفة النفس.

وقال: التواضع يورث المحبة والقناعة تورث الراحة.

وقال: الكيس العاقل الفطن المتغافل.

وقال: إنما العلم ما نفع، فاشهد نفسك بالضعف والفقر تستقم، وشيد أركان المروءة تحسب من أهلها، وتواضع واقنع تصر محبوبًا مستريحًا، وتغافل تكن كيّسًا، وخذ من العلم ما ينفعك، إذا أقبلت على ربك فإن دنياك خيال وكلها زوال، والله محول الأحوال:

يا أيهـا المـعـدود أنفـاسـه
لا بـد يومًـا أن يـتم الـعـدد
لا بـد مـن يـوم بـلا لـيـلـة
ولـيـلة تـأتـى بـلا يـوم غـد

إن الله طوى أولياءه في بـرد ستره تحت قـبابه وحجـبهم عن غـيره، لا يعرفـهم إلا هو، وهذا إلزام بحسن الظن في الخلق فإيا' وسـوء الظن بأحد إلا إذا قامت لـك عليه حجـة شرعـية، فـراع شرع الله من دون انـتصار إلى نفسك آخـذا بالإخلاص متجـردًا من غرض نفسك ومرض قلبك، وقـبِّح ما قبَّحـه الشرع، وحسِّن ما حسنه الشـرع، ولا يكن قولك وفعلك إلا لله، وإذا لم تقم لك حجة شرعية على الرجل لا تأخذ الخلق أو تؤاخذهم بالشبهات، عليك بحسن الظن، فإن لله مع الخلق مضمرات أسرار يغار عليها، لا يعلمها إلا هو سبحـانه وتعالى ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا﴾ فلتكن وجهتك المـحجة البيضاء شريعة سيد الأنبياء ﷺ، وكفى بربك هاديا ونصيرا.

أبى العقل إلا إعـقال ما بلغه بواسطة الفـهم، وأبى القلب إلا الترقى إلى ما فوق الفهم، فـأجعل همتك قلبية وحكمتك عـقلية تفلح: فى الكف عرق متصل بالقلـب إذا أخذ به شيء من الدنيا تسرى آفاتهـا إلى القلب، وهذه آفة عظيمة مخـفية لا يطلع عليها الخلائق، قـال رسول الله ﷺ: «حب الدنيا رأس كل خطيـئة» ازهد فى الدنيـا وتبـاعـد عن لذائذهـا وإياك ونوم الليل كالدابـة، فإن لله فى اللـيل تجليـات ونفـحات يغـتنمهـا أهل القيـام ويحرم ثمرتها أهل التلذذ بالمـقام، قل للمغرور بأمنه المتلذذ بنومه الـمشغول القلب عن ربه:

يا نـئـوم الـلـيل فـى لـذتـه
إن هـذا الـنوم رهن بـسـهـر
ليس ينسـاك وإن نسـيـتـه
طالـع الدهر وتصـريف الـغـيـر
إن ذا الـدهـر سـريـع مـكـره
إن عـلا حط وإن أوفى غـدر
أوثـق الـنـاس بـه فـى أمـنـه
خـائف يقـرع أبواب الحـذر

المشاهدة حضور بمعنى قرب مقرون بعلم اليقين وحق اليقين، فمن حماه الله من البعد والغفلة وتقرب إلى الله بعلم اليقين وحق اليقين، بمعنى: اعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك، فقد دخل حضرة الشهود، وهى هذه لا غير، وإلا فالمشاهدة لغة لا تصح لمخلوق فى هذه الدار، وحسبك قصة موسى عليه الصلاة والسلام.

حضرة المشاهدة لغة ومعنًى حضرة اختص بها صاحب قوسين بالقلب والعين، والاختلاف فيها معلوم، واختصاصه بها عند أهل الله مجزوم، فأدِّب نفسك بالتقرب إليه تعالى بما يرضيه تُحسب من أهل تلك الحضرة، بنص: «لا يزال عبدى يتقرب إلىَّ بالنوافل...» الحديث، هدى الله هو الهدى وكفى بالله وليا، من تمشيخ عليك تتلمذ له، ومن مد لك يده لتقبلها فقبل رجله وكن آخر شعرة فى الذنب، فإن الضربة أول ما تقع فى الرأس، إذا بغى عليك ظالم وانقطعت حيلتك عن دفاعه فاعلم أنك حينئذ وصلت بطبعك إلى صحة الالتجاء إلى الله تعالى فاصرف وجهة قلبك عن غيره وأسقط مرادك فى

بابه واترك الأمر إليه تنصرف لك مادة المدد، فتفعل لك ما لا يخطر ببالك، وهذا سر التسليم وصدق الالتجاء إلى الله، وإن ارتفعت همتك إلى الرضا بالقدر ـ كما وقع للإمام موسى الكاظم سلام الله عليه ورضوانه ـ حين اعتقله الرشيد غفر الله له، وحمله من المدينة إلى بغداد مقيداً وحبسه فى حبسه فلم يفرج عنه حتى مات ﷺ، وأُخرج ميتًا مسمومًا وقيده فيه، وما انحرف عن قبلة الرضا حتى مات راضيا عن الله، فتلك مرتبة الفوز العظيم التى درّجَتْ ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.

وقد اندرج أئمة أهل البيت عليهم سلام الله ورضوانه على الرضا الخالص مع قوة الكرامة ورفعة القدر عند الله، فقد صح أن عبد الملك بن مروان الأموى حمل الإمام عليا زين العابدين ـ سلام الله عليه ورضوانه ـ من المدينة مقيدًا مغلولا فى أثقل قيود وأغلظ أغلال، فدخل عليه الزهرى ـ رحمه الله ـ يوادعه فبكى، وقال: وددت أنى مكانك يا بن رسول الله ﷺ، فقال: تظن أن ذلك يكربنى؟ لو شئت لما كان، وإنه ليذكرنى عذاب الله تعالى، ثم أخرج يديه ورجليه من القيد ثم أعادها، فعلم الزهرى ـ رحمه الله ـ أن الإمام حل منزلة الرضا ووصل مقام التسليم المحض، ودخل حضرة الفوز العظيم فطاب صدره وسلا حزنه، فزن نفسك، فإن قدرت على المرتبة العليا ـ وهى مرتبة الرضا ـ فافعل وإلا فانزل إلى المرتبة الثانية التى هى مرتبة صدق الالتجاء إلى الله مع قطع النظر عن تدبيرك وحولك وقوتك وكلك وجزئك، وهو تعالى يفعل لك بنصره وقدرته فوق إرادتك وتدبيرك، وكفى بالله نصيرًا، إذا هرعت إلى الله والتجأت إليه فاجعل وسيلتك حبيبه ﷺ،

صل عليه وسلم تسليمًا، وأكثر من الصلاة والسلام عليه مهما أمكنك، وقف فى باب الله بالعمل بسنته عليه الصلاة والسلام، وأسأل الله سبحانه معتمدًا عليه تعالى مستعينًا به متوكلا عليه، وإذا أغلقت عليك الأبواب فترقب من الفتاح فتح الباب، فما سد الخلق طريقًا إلا وفتحه الخالق، انفرادًا بربوبيته وتعززًا بألوهيته فلا تقنط من رحمته ولا تيأس من روحه وعليك به وكفى بالله وليا.

التوفيق فى جميع الأحوال إنما هو من الله سبحانه وتعالى، دع هم الحسود فهمه بك فوق همك به، خل جانب الأحمق فكدرك به فوق كدره بنفسه، لازم مجالس العقلاء وخذ الحكمة أين رأيتها، فإن العاقل يأخذ الحكمة لا يبالى على أى حائط كتبت، وعن أى رجل نقلت، ومن أى كافر سمعت هذه الدنيا، خلقت للعبرة والعبرة بكل ما فيها عقل، فخذ بقوة عقلك العبرة من كل مأخذ، واصرف نظرك عن محلها، إياك والتقرب من أهل الدنيا فإن التقرب منهم يقسى القلب، والتواضع لهم موجب لغضب الرب وتعظيمهم يزيد فى الذنوب، اتخذ الفقراء أصحابًا وأحبابًا وعظمهم، وكن مشغولا بخدمتهم، وإذا جاء لك واحد منهم فانتصب له على أقدامك وتذلل، وإذا وقعت خدمتك لدى الفقراء موقع القبول فاسألهم الدعاء الصالح واجتهد أن تعمر لك مقامًا فى قلوبهم فإن قلوب الفقراء مواطن الرحمة ومواقع النظر القدسى، وصف خاطرك من الرعونات البشرية، ومن كان لك عليه حق أو له عليك حق فداره حتى يعطيك حقك، أو إلى أن تعطيه حقه، وإن قدرت فسامح من لك عليه حق يعوض، الله عليك، وكن مع الخلق بالأدب فإنه أدب مع الخالق.

تب بكليتك من رؤية نفسك ونسبك وأهلك فإن من أبطأ به عمله لن يسرع به نسبه، قم بصلة رحم رسول الله ﷺ، عظم ذوى قرابته، فإن طوق منته فى أعناقنا، قال تعالى: ﴿قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ صحح الحب لجميع أصحابه، رضوان الله وسلامه عليهم فإنهم مصابيح الهدى ونجوم الاقتدا، قال ﷺ: «أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم» خف الله، خف الله، رأس الحكمة مخافة الله، عليك بتقوى الله فإنها جماع كل خير.

هذه نصيحتى لك أى أخى، أخذتنى سكرة التعليم، إلا أنى جربت الزمان وأهله وعاركت النفس وخدمت الشرع، وانتفعت بصحبة أهل الصفا، فاقبل نصيحتى، فإنها إن شاء الله نشأت إخلاص عن حب لك رب حامل فقه إلى من هو أفقه منه.

أى عبد السميع، اعمل بنصيحتى ولا ترنى رجلا إن قال لك قائل: إن فى مملكة الرحمن مخلوقًا هو أضعف من هذا اللا شى أحيمد فلا تصدقه، بلى، أقول: يسر الله علىَّ وعليك الطريق، وجعلنا وإياك والمسلمين من المُصطفَيْن الأخيار، والمخلصين الأبرار، أحباب الله ورسوله ﷺ وكفى بالله وليا والحمد لله رب العالمين.

وقال رضي الله عنه: سنة ثمان وسبعين وخمسمائة قبل وفاته بأيام قلائل، ويقال: إنه آخر مجالسه المباركة:

الحمد لله حمد المعتصمين بحبله المتوكلين عليه، والصلاة والسلام على حبيبه نور مكنوناته الهادى إليه وعلى الآل والأصحاب والأتباع والأحباب أجمعين ﴿فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا

﴿وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ أي رجال الحضـرة طالما خفقت في مـجالسنا أعلام الإرشاد تحت ظلال قـوله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ والآن جرت أمور اشتريناها بالأرواح، وإني لأقول كمـا قال خليل الله سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسـلام: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ (٩٩) رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ أستـودعكم الله، أسـأل الله أن يفتق رتق قلوبكم بمـفتـاح الفضل والحكـمة فتظهر بكم صولة النيابة عن النبي في الأمة ويجدد الله بكم شريعة حبيبه وأمر دين أمته فتـحسن بكم سياسة القلوب وتضيء بالاقتبـاس من أنوار فتوحاتكم الصدور والأفئدة، ويصلح الله بكم الشئون ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾.

خذوا أي خاصة أسرار الحكم الخـالصة هذا لسان الحال باسم الله باسم الله معراج القلوب، ينصـب فتصعد عليـه أجسام الهمم فتنحـدر صاعدة إلى بحبوحة التعين الأول، فترقى إلى مقـام الصديقية، وتتسلق ذروة مقعد صدق عند مليك مقتدر، فتحدق بصر البـصيرة فتفك مغالق النشء الأول، وتكشف بردة الذَّرِّ فـتطلع على لـباب الأعـيـان، ثم تتـبع حكـم النوع أحكام أنواع الحقائق بما فـيها فيرسم في ألواح الهمم، فإذا شـبت نار موسى الحيرة ناداه الباري المقيم ﴿فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ﴾ فتنطمس الحيرة وتنجلي الحرية وتـسقط القيود وتبدو المكنونات ويقول رهط سحرة الأهواء ﴿آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ويقول داعي الكرم للحزب المرسل من حضرة الأمن ﴿لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ﴾ ويبتـهج وراث أولئك الأملاك فيتـرنم قائلهم متصرفا عن الأكوان تاليًا في حضرة السـودد الأبدي ﴿وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ وعلى نمط سرير الإضافـة من معنى الإسراء في

راقية نغمة ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ﴾ تظهر المظاهر كلٌّ بنسبة ما استجمعه من نقود الوراثة ﴿ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الصَّابِرُونَ﴾ أصحاب القلوب الطائرة بأجنحة الصفا إلى حضرة المراقبة المؤمنون بآياته سبحانه ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ ﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ رضى الله عنهم ورضوا عنه.

مهلا أى سارح فيفاء الاستيشار بما يبرز من كن الطمس، لو كنت من أهل مرتبة الكمال الذين وصفناهم لكان لقلبك معراج بوصلك إلى الاطلاع على الحقائق المغيبة عن غيرك فتشهد أساليب مضامين ما خط فى صحف الأزل فتمتلئ عينك وترجع القهقرى منزويا عن صفوف الحادثات اكتفاء بما أفاض إليك فى كشفك الأول فتنقطع عن ملاصقات كونيتك وكونيات الذرات تحت لواء ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ تشرفًا بالتخلق بأخلاق صاحب تلك الحظيرة، رب ذلك المشهد، سيد سادات الوجود، باب فيوض الرحموت، جاذبة سلاسل العزائم فى الملكوت.

ومن هذا المقام تترقى بنهضته إلى فضاء إطلاق: «تخلقوا بأخلاق الله» أى خاصة مشهد نسيج الأكوان، فى كل حلقة منسوجة منه نكتة نوعية ترجع دورة العقل إلى الصانع وفيها من معانى الغيب مطويات شئن فردانيته، كل لسان من ألسن أجزائها يتلو ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ﴾ يتشامخ علم الإشارة فتتراءى على رأسه نار تجلى الرمز لإقامة الدليل على الجمع المنزه عن الإلحاق المقدس بالفرق، فيتسم ذروة طورها عزم كليم الخطاب ليشرح متن العينية الحاكمة بالفرقية الشاملة، فينادى إذ يجيئها مكتحلا بإثمد الجمع ﴿أَن

بُورِكَ مَن فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ فيرشده ناطق التسبيح فيحجم عن نوع التصريح والتلميح ويرد موارد الحدث قائلا ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا (٤١) وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾ أما قام لكم منار الأزل فى مشهد الأبد متسلقًا ذروة التكوين متمنطقًا بمنطق الأمر مصلتًا سيف البعثة ناشرًا لواء ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ مجهزًا جيوش ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ تاليًا منشور ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (٤٥) وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾ بلى، كل ذلك كان، أدى الإمانة وبلغ الرسالة ونصح الأمة وأخرجها من الظلمات إلى النور، فأثبت فى لوح العرفان أرقام الكيفيات الحادثة، ومحا من صحف القلوب وأسفار العقول سطور كيف القدم فأجلس سلطان العقل على كرسى الأدب فانتهضت الروح إلى معرفة الله من طريق الأمر، ولم تسلم طرق الاختيار تحت قبضة حاكم الحق، والله لا يستحى من الحق، وانكشفت حجب العينيات فبرز طبع كل مادة وسر كل معنى بلمعة صياح تبيانه، وتوجهت عزائم همه القاهرة للإنذار فقيل له: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ فانصرفت جلجلة رنة قلبه من قوس عزم سره ففتقت حجب قلوب أقرب أهله إليه فتمنع سلطان حضيرته فى منصة الجلال فقيل له: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ فحدق كريم حاذق بصره الخارق فى مرآة استعدادهم فشهد من سقف القابلية القائمة معهم غلظة علامة الحرمان، فقيل له توطيدًا لحضرة همته السعيدة ﴿فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ فضاقت ساحة فرحه بإعلاء كلمة الحق ونمنم على نبات حديقة ذوقه الأشراف، رش اليأس فحزن فقيل له تفضلا بكشف حزنه وتحقيق أمله وعزة

قدره: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ (٢١٧) الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ (٢١٨) وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾ فعلمت بشريته ما علمته روحه من حكم التقلب فى الساجدين فى البطون فيما مضى، والتقلب فى الساجدين فيما سيكون إلى يوم الدين فانتصب لها على قدمى الشكر آخذًا بسلسلة النهى والأمر منصرفًا عن آدميته مشتغلا بربه فقيل له: ﴿طه (١) مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى (٢) إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَى﴾ ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ (٤) بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ ما شاء الله كان، فأوضح السبل وحقق الوعد وأكمل الله به الدين، وتمت به النعمة، وقام عنه النواب المحمديون يأمرون بأمره وينهون بنهيه، وانتهض لأحكام أحكامه الوراث الجامعون فانقسمت الوظيفة لنوعين: نوع ظاهر، ونوع باطن، والأمر واحد، فمن ظن أن الوظيفة تشتمل على أمر باطنى غير الظاهر فقد أخطأ كل حكم ديوانى يرفع فى حضيرة التدلى، لو برز للعامة لكان كحكم القاضى العادل، إنما الفرق فى الوظيفة نوعها، فالوظيفة التى أعطيها القاضى معروفة، هى وهو عند الناس والوظيفة التى أعطيها الوارث مخفية عن الأعين، هى وهو أيضًا أحيانًا، ولم يجمع بين الوظيفتين على نمط واحد غير الخلفاء الأربعة الراشدين ﷺ، ذلك لانحجاب وظيفتهم الباطنية ببردة النبوة، وأين لهم الظهور بها مع تلاطم أمواج بحر النور المحمدى الذى شهدته الأعين وامتلأت من مهابته القلوب، وأكمل النوبة النورية فى مقام البضعية من حيث التحلى بحلية الطينة الذاتية الأحمدية، إنما هى نوبة السيدة البتول العذراء سيدتنا وقرة أعيننا فاطمة، أم السبطين: الزهراء سلام الله ورضوانه عليها، وقام عنها بنوبة الجزء الأزهر بعلها المأمون المنوه على جلالة قدره وعظيم مكانته بطالعة: «على منى

بمنزلة هارون من موسى» الحديث، فادرع بدرع الخلافة البضعية متحكمًا فى مشهد الخلافة الأمرية أصالة، وفى مشهد الخلافة البضعية وكالة، حتى لقى الله فادرع بمرطها النورانى السبطان السعيدان الشهيدان الإمامان الحسن والحسين، سلام الله وتحياته عليهما، ودارت هذه النوبة الجامعة المحمدية فى الأسباط الطاهرين سبطا بعد سبط إلى أن صينت فى مقام الكنزية المضمرة إلى وليا لله المهدى، الخلف الصالح، سلام الله عليه، فتلقاها عنه من مقام الإلباس النواب الجامعون المحمديون، فهم إلى عهدنا هذا من بنى الإمام الحسين، السبط شهيد كربلاء، عليه وعليهم نوافح السلام والرضوان، نعم قام بينهم من أصحاب نيابة الخلعة رجال صدقوا، منهم أناس من الفاطميين للأمهات، ومنهم أناس من غير الفواطم، وذلك فضل الله ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ وقام من أهل الخلعة لعدم استكمال الصفات الجامعة أناس من الفاطميين للأمهات لمناسبة حال الزمان وصفهم الذى تمكن منهم وتمكنوا منه، فمن أقطاب الخلعة من غير الفاطميين سيدى شيخ الخرقة معروف الكرخى، كان نائب النظر، ومنهم سيدى سرى السقطى، كان نائب العزم، ومنهم سيدى الجنيد البغدادى، كان نائب اللسان القائم، ومنهم سيدى الشبلى، كان نائب الهمة، ومنهم سيدى سهل بن عبد الله التسترى، كان نائب القلب، ومن أقطاب الخلعة الكاملة من الذين لهم النسبة الفاطمية من الأمهات سيدى طلحة أبو محمد الشنبكى، كان نائب القدرة، ومنهم سيدى وتاجى منصور البطائحى الربانى، كان نائب البرهان، وقامت النوبة الجامعة من طريق الختمية بهذا العبد الأضعف الأذل الذى لا شىء بشأنه ولا على شىء بميدانه هبة أقامها المقيم القديم بمحض

الكرم، كذا بشرنى بها رسول الرحمة فى حضرات القرب لدى صفوف عساكر الحضور بما رضى الله لنا هذه زلازل الجلال تفعل فى أرض قلوب المحجوبين فوق ما يفعله اضطراب العروق الأرضية المنفلتة باخضلال الأبخرة يوم يسوقها بمصادمة طبائعها سائق القدر ليخيف أقوامًا ويعتبر بقدرته تعالى آخرون، إلا أن من أعراق الجلال رجال النوبة الجامعة، بينما هم على وتيرة السكون إذ تسوقهم يد القدرة فيهتزون فترى قلوب أهل الحجاب واجفة لما يداخلها من صدمة جلالهم القائم بتحويل الأحوال ﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ﴾ يسلب الله فى بعض الأزمنة قدرة المناسبات البشرية من هيكل الحس المعنوى فى الخلق، فيشكو المظلوم ظالمة الفرد للجنس فتشهده الأعين والقلوب مفقودة الحضور بشأنه، فلا تنعطف صله وكأنها حجارة صماء، وكذلك الجائع والمصاب والغريب، وفى مثل هذه الأزمنة تقضى القدرة ببروز أسرار غيبية لله فيها حكم، يحكم الله ما يشاء ويفعل ما يريد، وفى بعض الأزمنة يهب الله قدرة المناسبات البشرية فتنعطف قلوب النوع للنوع بالرأفة والتناصر والتوادد، ونتيجة هذا الوهب صلاح حال الزمان وأهله ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾ بعنا الروح وقبل الأمر وأجل القدر وسنعبر بعد يسير على الله، تقول همتى لنفسى فى مشهد روحى:

فإن عبرت وأنت سليم قلب
من الدنيا فتهنيك السلامة

فيقول لها مناجى الفضل من شاهق برج العون السرمدى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ فتأخذ بأزمة الرجاء فى ساحة الأمن

خاشعة خائفة تتلو بلسان التضرع مطرقة لدى سلطان القدرة ﴿فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ فتبرز زفرة القطيعة فيخشع لها جمهور الإنسانية فتسطو عليه فيقول أهل القيود من أسارى الزفرة المذكورة معنا: أولئك الذين طالما خافوه، طالما ذكروه، طالما دلوا عليه، طالما قربوا إليه، فينادى سلطان الغيرة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ أى خاصة، أى عامة، فاض بحر الكرم ﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ أنا مأوى المنقطعين، أنا مأوى كل شاة عرجاء انقطعت فى الطريق، أنا شيخ العواجز، أنا شيخ من لا شيخ له، فلا يتشيخ الشيطان على رجل من أمة محمد ﷺ.

عهد منى بالنيابة عن النبى ﷺ، عهدًا عاما إلى يوم القيامة، العرش قبلة الهمم، والكعبة قبلة الجباه، وأحمد قبلة القلوب، قال لى حبيبى: أنت وجه لا يخزيه الله فى أتباعه أبدا ﴿سَلامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾.

هات يا منشد الفتح فى حضرة المنح، قل: كيف شئت مجلس مأتم ومجلس فرح ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ﴾ ﴿أَلا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الأُمُورُ﴾ ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَلِيًّا﴾ عليكم بتقوى الله، لا تخرجوا من ساحة التوحيد ربنا الله لا شريك له، نعم المولى ونعم النصير، والحمد لله رب العالمين.

وقال رضي الله عنه: من عرف الله لا يختار غيره حبيبا سواه، وفى الخبر أن الله تعالى خلق الخلق فى ظلمة ثم ألقى عليهم شيئا من نوره، فمن أصابه من ذلك النور اهتدى، ومن أخطأه ضل وغوى، وهو نور يخرج من سرادق المنة

فيقع فى القلب فيستنير به الفؤاد ويبلغ شعاعه إلى حجب الجبروت، ولا يحجبه عن الحق الجبروت ولا الملكوت، فيصير العبد فى جميع أفعاله وأقواله وحركاته وإراداته فى حياته ومماته صائرًا إلى النور ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ ﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ﴾ العارف يشغله علم الله تعالى عن جميع الأسباب، فإذا نظر إليه الخلق استجهلوه، ويكون أبدًا فى ميدان العظمة والهًا بين الخلق، فإذا رأوه استجنوه، ويكون بكليته فانيًا بحب جلال عظمته تعالى، مشغولا عمن سواه، فإذا أبصروه استدهشوه، ولا يقدر أحد يخبر عن المعرفة بالله تعالى، فإنها منه بدت وإليه تعود، فالعارف فان تحت اطلاع الحق تعالى، باق على بساط الحق بلا نفس ولا سبب، فهو ميت حى، وحى ميت، ومحجوب مكشوف، ومكشوف محجوب، تراه والهًا على باب أمره هائمًا فى ميدان بره متدللا تحت جميل ستره، فانيًا تحت سلطان حكمه، باقيًا على بساط لطفه.

العارفون صارت أنفسهم فانية، تحت بقائه وسلطانه عن كل حول وقوة تراهم باقين بحوله وقوته متلاشين عن كونهم وأسبابهم تحت جلال ألوهيته ملوكا به دون مملكته، فقرهم به وغناهم به وعزهم به، وذلهم به.

يروى أن الله تعالى أوحى إلى داود عليه السلام: يا داود اعرفنى واعرف نفسك، فتفكر داود فقال: إلهى عرفتك بالفردانية والقدرة والبقاء، وعرفت نفسى بالعجز والفناء، فقال: الآن عرفتنى.

وروى فى الخبر: «لو عرفتم الله تعالى حق معرفته لتعلمتم العلم الذى ليس بعده جهل، ولزالت الجبال بدعائكم» مع إنه لا ينتهى أحد ولا يبلغ منتهى معرفته، إن الله تعالى أعظم من أن ينتهى أحد إلى منتهى معرفته.

وقال الإمام جعفر الصادق، عليه الرضوان والسلام: لا يعرف الله حق معرفته من التفت منه إلى غيره، المعرفة هى طيران القلب فى سرادق الأنس والألفة جولانًا فى حجب الجلال والقدرة، وهذه حالة من صُمَّت أذناه عن البطالات وعُمِّيَتْ عيناه عن النظر إلى الشهوات وخرس لسانه عن التكلم بالترهات.

أقول: المعرفة هى كشجرة لها ثلاثة أغصان: توحيد وتجريد وتفريد، فالتوحيد بمعنى الإقرار والتجريد بمعنى الإخلاص، والتفريد بمعنى الانقطاع إليه بالكلية فى كل حال، وأول مدارج المعرفة التوحيد، وهو قطع الأنداد، والتجريد، وهو قطع الأسباب، والتفريد، وهو بمعنى الاتصال بلا سير ولا عين ولا دون، ولها خمسة طرائق: **أولها**: الخشية فى السر والعلانية، **والثانية**: الانقياد له فى العبودية، **والثالثة**: الأنقطاع إليه بالكلية، **والرابعة**: الإخلاص له بالقول والفعل والنية، **والخامسة**: المراقبة فى كل خطرة ولحظة.

وعندى أن المعرفة كشجرة يغرسها ملك فى بستانه ثمينة جواهرها مُثمرة أغصانها حلوةٌ ثمارُها طريفةٌ أوراقها رفيعة فروعها نقية أرضها عذب ماؤها طيبٌ ريحها، صاحبها مُشفق عليها لعزتها مسرورٌ بحسن زهرتها، يدفع عنها الآفات ويمنع عنها البليات، وكذلك شجرة المعرفة التى يغرسها الله تعالى فى بستان قلب عبده المؤمن، فإنه يتعهدها بكرمه ويرسل إليها كل ساعة سحائب المنة من خزائن الرحمة، فيمطر عليها قطرات الكرامة برعد القدرة وبرق المشيئة، ليطهرها من غبار رؤية العبودية، ثم يرسل عليها نسيم لطائف الرأفة من حجب العناية ليتم لها شرف الولاية بالصيانة والوقاية.

فالعارف أبدًا يطوف بسره تحت ظلالها ويشم من رياحينها ويقطع منها بمنجل الأدب ما فسد من ثمارها، ووحل فيها من الخبث والآفة، فإذا طال مقام سر العارف تحتها ودام جولانه حولها هاج أن يتلذذ بثمارها، فيمد إليها يد الصفاء ويجتنى ثمارها بأنامل الحرمة، ثم يأكلها بفم الاشتياق حتى تغلبه نار الاستغراق فيضرب يد الانبساط إلى بحر الوداد، فيشرب منه شربة يسكر بها عن كل ما سوى الحق سكرة لا يفيق منها إلا عند المعاينة، ثم يطير بجناح الهمة إلى ما لا تدركه أوهام الخلائق.

أى سادة، إن الله تعالى جعل لكل شيء قدرًا، ولكل قدر حدًا، ولكل حد سببًا، ولكل سبب أجلا، ولكل أجل كتابًا، ولكل كتاب أمرًا، ولكل أمر معنًى، ولكل معنًى صدقًا، ولكل صدق حقًا، ولكل حق حقيقة، ولكل حقيقة أهلاً، ولكل أهل علامة، فبالعلامة يعرف المحق من المبطل، وكل قلب أقعده على بساط تحقيق المعرفة وقع بسيماء المعرفة على وجهه، ويظهر أثرها فى حركاته وأفعاله وأقواله، كما قال الله تعالى: ﴿تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ﴾ وقال ﷺ: من أسر سريرة ألبسه الله رداءها، إن خيرًا فخير وإن شرًا فشر.

أى سادة، اعلموا أن العارفين على أصناف مختلفة ومناهج متفاوتة ومراتب متلونة وأنواع متفرقة ومنازل متنوعة، فمنهم من عرف الله بالقدرة فخافه، ومنهم من عرفه بالفضل فأحسن الظن به، ومنهم من عرفه بالمراقبة فاعتقد الصدق، ومنهم من عرفه بالعظمة فاعتقد الخشية، ومنهم من عرفه بالكفاية فاعتقد الافتقار إليه، ومنهم من عرفه بالفردانية فاعتقد الصفوة، ومنهم من عرفه به فاعتقد الوصلة، فوجد أن الخوف على قدر عرفان

القدرة، ووجدان حسن الظن على قدر عـرفان الفضل، ووجدان الصدق على قدر عـرفان المراقبـة، ووجدان الخشيـة على قدر عرفان العظمـة، ووجدان الافتقار على قدر عرفان الكفاية، ووجدان الصفوة على قدر عرفان الفردانية، ووجدان الوصلة على قدر عرفان الرب تعالى.

وكذلك أهل السماوات فى العبادة على مقامات، فمقام بعـضهم الحياء والحرمة، ومقام بعضهم القربة والمـؤانسة، ومقام بعضهم رؤية المنة، ومقام بعضهم المراقبة، ومقام بعضـهم الهيبة، كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا مِنَّا إِلاَّ لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ فأهل المعرفة عامتهم يعرفونه على سبيل الخبر فى التوحيد عن مقام الصادق الأمين، سيدنا وسيد العـالمين محمد ﷺ، فصدقوه بقلوبهم وعملوا بأبـدانهم، إلا أنهم دنسوا أنفسـهم بالذنوب والمعـاصى فعـاشوا فى الدنيا علـى الجهل والتقـصير، فـهم على خطر عظيم إلا أن يرحـمهم أرحم الراحمين، وأناس فوقهم يـعرفونه بالدلائل، وهم أهل النظر والعقل والفكر، أيقنوا بالتوحيد من قبل الدلائل والآيات وآثار الربوبية، استدلوا بالشاهد على الغائب، واستيقـنوا صحة الدلالة فـهم على طريق حسن، إلا أنهم عـاشوا محجوبين عن الله تعالى برؤية دلائلهم.

وخواص أهل المعرفة من أولى اليقين عرفوه بـه سبحانه فوقفوا متمكنين مع معرفتهم لا تخطفـهم الأدلة ولا تصرفهم العلة، دليلهم رسول الله ﷺ وإمامهم القرآن ونورهم يسعى بين أيديهم.

فمن عرفـه تعالى بالخبر كـمثل أخوة يوسف إذ عرفـوا لونه وغفلوا عنه حتى افتضحوا بين يديه حيث: ﴿قَالُوا إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ﴾.

ومن عرفـه بالدلائل كمـثل يعقوب إذ عـرف أن يوسف يعد فى الأحـياء

فازداد حزنًا وبكاء، واحتمل ما احتمل من أنواع البلاء حتى ابيضت عيناه من الحزن، علمًا منه بحياته وشوقًا إلى لقائه، حتى قال: ﴿اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِن يُوسُفَ﴾ وقال ﴿إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ﴾ حتى قال من غفل عنه ﴿تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ﴾ وقالوا: ﴿تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ﴾ الآية، ومثل من عرفه به كبنيامين حين أخذه يوسف لنفسه فقال: يا أخي أمشاهدتي تريد أم الرجوع إلى أبيك؟ قال: بل مشاهدتك أريد، قال: فإن أردتني فاصبر على محنتي، قال: نعم أحتمل لأجلك كل بلوى، أليس أني أبقى معك ولا أفارقك؟ ثم أخرج الصاع من وعائه ونسبه إلى السرقة حتى عابه أهل مصر على ذلك ولاموه، وشتمه أخوته، وهو في ذلك كله مسرور ضاحك في سره، ولم يخف من لومة اللائمين، فهذا مثل من عرفه من أهل اليقين.

فأهل المعرفة ثلاثة أصناف: صنف يمشون على قدم الافتقار والاضطرار، وصنف يمشون على قدم الاعتبار والإنكسار، وصنف يمشون على قدم الافتخار والاستبشار، قال الله تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ﴾ الآية.

والناس في مشهد المعرفة على مرتبتين: إما في يقظة المعرفة، فهم في تربية الولاية فينظرون الكرامة، وإما في نوم الغفلة، فهم في تربية العداوة، فهم ينظرون الإماتة إلا أن يرحمهم أرحم الراحمين.

فسبحان من خص من عبيده من شاء وأعطاهم ثم دعاهم إلى نفسه بفضله حيث قال: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾ فأجابوه وأنابوا إليه، فهم على أصناف شتى، فالتائبون يمشون برجل الندامة على قدم الحياء، والزاهدون يمشون برجل التوكل على قدم الرضاء، والخائفون يمشون برجل الهيبة على قدم الوفاء، والمحبون يمشون برجل الشوق على قدم الصفاء والعارفون

يمشون برجل المشاهدة على قدم الفناء، المعرفة طعام أطعمه الله من شاء من عباده منهم من يذوقه ذوقًا، ومنهم من يأكل منه بلاغًا، ومنهم من يأكل منه كفافًا، ومنهم من يأكل منه شبعًا.

والناس فى المعرفة على منازل، فمنهم من يكون منزله منها كشعب، ومنهم من يكون كقرية، ومنهم من يكون كمصر، ومنهم من يكون منزله منها كالدنيا والآخرة.

أى سادة، للعارف أربع أجنحة: الخوف والرجاء والمحبة والشوق، فلا هو بجناح الخوف يستريح من الهرب، ولا بجناح الرجاء يستريح من الطلب، ولا بجناح المحبة يستريح من الطرب، ولا بجناح الشوق يستريح من الشعب، والله تعالى بيَّن فى كتابه نعتهم بقوله: ﴿تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ﴾ وقوله تعالى: ﴿لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ﴾ الآية.

إن الله تعالى كلما نظر إلى قلب عبد من عبيده بالفضل والرحمة كشف عنه حجاب الغفلة وأظهر له لطائف القدرة، فعند ذلك لا بد له من إحدى ثلاث: إما أن يصير حكيمًا يتصل به الخلق إلى الله، وإما أن يكل لسانه فيصير مدهوشًا مبهوتًا، وإما أن يصير مستوراً فى حجبه محفوظا فى قبضته حتى لا يراه غيره لشدة غيرته عليه.

فسبحان من حجب أهل معرفته عن جميع خلقه، حجبهم عن أبناء الدنيا بأستار الآخرة، وعن أبناء الآخرة بأستار الدنيا، وذلك لأن أهل المعرفة عرائس الله تعالى فى أرضه، والله محرمهم لا محرم لهم غيره، فهم عند الله مخدرون.

أى سادة، إن لله تعالى عبادا اصطفاهم لمعرفته، وخصهم بمحبته،

واختارهم لصحبته، واجتباهم لمؤانسته وقرّبهم لمناجاته وحرضهم على ذكره وأنطقهم بحكمته، وأذاقهم من كأس محبته، وفضّلهم على جميع خلقه، حتى لم يريدوا به بدلا ولا سواه كفيلا ولا دونه ناصرًا ومعينًا ووكيلا، ولقد سبقوا من دونهم سبقا لا بكثرة الأعمال ولكن بصحة الإرادات وحسن اليقين مع دقائق الورع والانقطاع بالقلب إليه وتصفية السر عن كل ما دون الحق، فأذاقهم الله طعم لباب معرفته وأنزلهم فى حضيرة قدسه، لا يصبرون عن ذكره ولا يشبعون من بره ولا يستريحون لغيره.

فيا طوبى لهم، هم الأقلون عددًا والأعظمون خطرًا، بهم يحفظ الله محبته حتى يؤدوها إلى نظرائهم، فيا طوبى لهم، هم الزاهدون فيما رغب فيه الغافلون، والمستأنسون فيما استوحش منه الجاهلون، والمشتاقون إلى ما هرب عنه الساهون، هم الذين نظروا بأعين القلوب إلى حجب الغيوب وجالت أرواحهم فى الملكوت، فهمتهم فى سرهم وسرهم عند ربهم به يستمعون، وبه ينظرون، وبه يريدون، وبه يتحركون.

قلوب العارفين خزائن الله فى أرضه، وضع فيها ودائع سره ولطائف حكمته ودقائق محبته وأنوار علمه وأمانة معرفته، فكلامهم هو الكشف عما يشاهده القلب وإظهار علوم السر وبيان معاملة الضمير من تمييز الانفصال عن الاتصال، وبيان الأسباب الشاغلة عن الحق من الأسباب الداعية إلى الحق، أما الداعى إلى الخلق فالدنيا والنفس والخلق، وأما الداعى إلى الحق فالعقل واليقين والمعرفة، كما ورد: «من عرف نفسه عرف ربه» يعنى من عرف ما لنفسه عرف ما لربه.

وكلامهم يدور على خمسة أوجه: به وله ومنه وإليه وعليه، وليس فى

كلامهم: إنا وإنى ونحن ولى وبى، لأن ألفاظهم فردانية وحركاتهم صمدانية وأخلاقهم ربانية وإرادتهم وحدانية، لا يعرف إشارتهم إلا من له قلب حريق فيه خزائن الأسرار وجواهر القدس وسرادقات الأنوار وبحار الوداد ومفاتيح الغيب وأودية الشوق ورياض الأنس، فكلما أبرز العارف لسان الحكمة من ينبوع المعرفة بإشارات استأنس بها قلوب المريدين والمشتاقين.

أى سادة، من أراد أن يتكلم بلسان أهل المعرفة فينبغى أن يحفظ أدب كلامه، فلا يكشف دقائقه إلا عند أهله، وأن لا يحمل المريد فوق طاقته، ولا يمنع كلامه من كان من أهله، ويكون كلامه مع أهل المعرفة، بلسان المعرفة ومع أهل الصفاء، بلسان الصفاء ومع أهل المحبة بلسان المحبة ومع أهل الزهد بلسانهم، ومع كل صنف على قدر مراتبهم ومنازلهم وقدر عقولهم، فإن الله تعالى جعل للعارف هذه الألسن نعم كلها تتلاشى عند ظهور سلطان الحق.

وينبغى أن لا يحدث بحديث لا يبلغ عقل المستمع إليه فيكون ذلك فتنة، فإن أكثر الناس جاهلون اشتغلوا بعلوم الظواهر وتركوا علم تصحيح الضمائر، فلا يحتماون دقائق كلام العارفين، لأن كلماتهم لاهوتية وإشاراتهم قدسية وعباراتهم أزلية، فلذلك ينبغى للمستمع أن يكون معه السراج الأزلى والنور الديمومى، ويقال: لسان الحال أفصح من لسان المقال، فمن رضى بالحال دون ولى الحال صار مخذولا عن الحال ومحجوبًا عن ذى الجلال، وأى دهشة أشد من دهشة العارف؟! إن تكلم عن حاله هلك وإن سكت احترق، فمن ورد قلبه الحضرة كل لسانه ومن غاب قلبه عن الحضرة كثر كلامه.

أى سادة، علم المعرفة هو العلم بالله تعالى، وهو نور من أنوار ذى الجلال وخصلة من أشرف الخصال، أكرم الله به قلوب العقلاء فزينها بحسن جماله وعظيم شأنه وخص به أهل ولايته ومحبته وفضله على سائر العلوم. وأكثر الناس عن شرفه غافلون وبلطائفه جاهلون، وعن عظيم خطره ساهون، وعن غوامض معانيه لاهون، فلا يدركه إلا أرباب القلوب الموفقون وهذا العلم أساس بنيت عليه سائر العلوم، به ينال خير الدارين بعز المنزلين، وبه يعرف العبد عيوب نفسه ومنن ربه وجلال ربوبيته وكمال قدرته، به يطير سر العبد بجناح المعرفة فى سراداقات لطائف القدرة ويجول حول منتهى العزة ويرتع فى روضات القدس، فلا تتم العلوم كلها دون امتزاج شىء منه بها، ولا تفسد الأعمال إلا بفقده، ولم تسكن إليه إلا قلوب نظر الله إليها بالرأفة والرحمة وأمطر عليها أمطار الفهم والبلاغة، وطيبها برياحين اليقين والفطنة، وجعلها موضع العقل والفراسة وطهرها من أدناس الجهالة والغفلة ونورها بمصابيح العلم والحكمة، قال الله تعالى: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ وكل عارف يخشى الله تعالى ويتقيه على مقدار علمه بالله عز وجل، لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ بنوره يعرف وساوس الشيطن الدافعة إلى المعاصى والزلات ويحذر به آفات الإرادات، قال الله تعالى: ﴿أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ﴾ وقال تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾ وفى الخبر أن من العلم كهيئة المكنون المخزون، لا يعرفها إلا أهل العلم بالله، ولا ينكرها إلا أهل الغرة بالله، وجاء رجل إلى النبى ﷺ فقال: أى الأعمال أفضل؟ فقال: «العلم بالله» وروى أن موسى عليه السلام قال: يا رب أى العباد أكثر حسنة

وأرفع درجة عندك؟ قال: أعلمهم بى، وقال الإمام الجليل سيدنا على بن أبى طالب رضي الله عنه وكرم الله وجهه: أعلم الناس بالله أشدهم تعظيمًا لحرمة لا إله إلا الله، قال أبو الدرداء رضي الله عنه: من ازداد بالله علما ازداد وجلا، وروى أن الله تعالى أوحى إلى داود ـ عليه السلام ـ أن يا داود تعلم العلم النافع، قال: إلهى وما العلم النافع؟ قال: أن تعرف جلالى وعظمتى وكبريائى وكمال قدرتى على كل شىء، فإن هذا الذى يقربك إلىّ، وإنى لا أعذر بالجهالة من لقينى، حق لمن عرف المولى أن لا يشكو من البلوى، إذا لم يعرف المولى فكل لسان له دعوى، ليس للعارف دعوى ولا للمحب شكوى، إذا سبقت من الرب العناية هزمت من العبد الجناية، إذا سبقت العناية وجبت الولاية، بالعناية تحصل الولاية، والولاية تهدم الجناية، ليس الشأن فى الولاية لكن الشأن فى العناية، لم يدرك الولاية من فاتته العناية، المصر من أسر السر طرح الخلق وجود الحق، اطرح الدعوى تجد المعنى، من كان له باطن صحيح فجميع كلامه مليح، لا تغتر بصفاء الأوقات فإن تحتها فنون الآفات، لا تغتر بصفاء العبودية فإن فيها نسيان الربوبية، خل الدارين للطالبين واستأنس برب العالمين، استهد بالله فنعم الدليل وتوكل عليه فنعم الوكيل.

أى بنى إذا تحققت بالرحمة للمخلوقين رحمت، وإذا جالست العارفين نجحت وإذا سألت الحكماء الربانيين تعلمت.

أى بنى، اعلم أن لكل شىء مفتاحا ومفتاح العلم السؤال، فإن قدر المريد على أن يجالس أهل المعرفة فيقتبس من علمهم وتحقيق رمزهم ولطائف إشاراتهم فبخ بخ، فإن شرف العلماء الربانيين أكبر من أن يدركه أحد غير الله لأنهم أحباء الله وأمناء سره، فليغتنم حرمتهم ويحرك خواطرهم

بحسن السؤال، فإن أمواج خاطر العارفين لا تفنى عجائبها، وكفى للمرء جهلا إمساكه عن التعلم واستكفاؤه بما عنده، وقد قال الله تعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ وقال النبى ﷺ: «جالسوا الكبراء وسائلوا العلماء».

أى بنى، اعلم أن العارف بأسرار المريدين المتطلع على همم العارفين كلف العباد وفاء صدق العبودية ثم بيَّن لهم تحقيق شرائطها كيلا يتجاوزوا حد العبودية إلى حد الربوبية وحد الفقر إلى حد الغنى، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ...﴾ الآية وجعل لكل شىء سببًا، فجعل سبب المخرج من عبودية المخلوقين القيام بصدق قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا﴾ من عبودية من سواه ﴿وَيَرْزُقْهُ﴾ المؤانسة والمحبة والشوق إليه ﴿مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ﴾ ومعنى آخر: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ﴾ يحفظ السر عن آفات الالتفات إلى ما سواه ﴿يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا﴾ من حجب الأبعاد ﴿وَيَرْزُقْهُ﴾ المشاهدة والوصلة ﴿مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ﴾ وكذلك جعل سبب معرفة العبد ربه معرفة العبد نفسه بشاهد من عرف نفسه، أى بالعبودية عرف ربه بالربوبية ومن عرف نفسه بالفناء عرف ربه بالبقاء ومن عرف نفسه بالافتقار قام لله على قدم الاضطرار، ومن عرف نفسه لمولاه قلت حوائجه إلى من سواه، روى أن النبى ﷺ قال: «من عرف الله قام بحقه» أى من عرف الله تعالى بالهداية سلم نفسه إليه، ومن عرف الله بالربوبية قام له بأشراط العبودية، ومن عرف الله بالجزاء أوقع نفسه فى العناء، ومن عرف الله بالكفاية اكتفى به عن كل ما سواه، ومن رضى من الدنيا باليسير فقد استراح من شغل كثير، ومن أصبح على الدنيا حريصًا أصبح من الله بعيدًا، ومن هتك سر التقى لم تستره

السموات العلى، ومن نظر فى عواقب الأمور سلم من نوائب الدهور، ومن لم يقنع بالقليل وقع فى غم طويل، ومن سل سيف التقى ضرب به عنق الردى، ومن كان مسرورا لم يزل مغروراً، ومن لم يحفظ لسانه فسد عليه شأنه، ومن لم يعرف موضع ضره لم يعرف موضع نفعه، ومن أعرض عن صحبه الفجار عوضه الله صحبة الأبرار، ومن أخذ عزا بغير حق أورثه الله ذلا بحق، ومن ضيع أيام حرثه ندم أيام حصاده، ومن توكل على غير الله يعذبه الله به، ومنه، رضى بالله وكيلا صار له بكل خير دليلا ووجد إلى كل خير سبيلا، ومن عرف حلاوة النجوى لا يجد مرارة البلوى ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ﴾ وقيل: ثلاث كلمات كان الأخيار من المتقدمين يوصى بعضهم بعضًا فى كتبهم بهن: من عمل لآخرته كفاه الله أمر دنياه، ومن أصلح سريرته أصلح الله علانيته، ومن أصلح ما بينه وبين الله أصلح الله ما بينه وبين الناس.

أى بنى، أعلم أن معرفة النفس أحد أصول العبودية، وقل من يعرفها، وعز وجود من يتمنى عرفانها، وما خلق الله تعالى فى الدارين سجنا أضيق على العارف ولا أوحش ولا أنتن من النفس، فمن عرفها على التحقيق وخالف أمرها «فكل أرض له ثغر وطرسوس» ومن غفل عن معرفتها فهو على خطر عظيم، ولا يسلم من شرها، فإن من لا يعرفها كيف يقوم بمخالفتها، جاء فى الخبر أن الله تعالى قال: يا دنيا اخدمى من خدمنى واستخدمى من خدمك، وليس من معانى الهمة الاشتغال بما فيه حظ النفس، وفى نعت النبى ﷺ بعلو همته الشريفة ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾ ولا يصل العبد إلى الله تعالى حتى يقطع مفاوز الدنيا وما فيها من زهراتها

ولذاتها وراحاتها وشهواته ويجاوز أودية الخلق، وما منهم من جميل معاشرتهم وثنائهم ومحمدتهم وأن الله تعالى خلق جميع ذلك ابتلاء لكل من أراد أن يصير مجرداً حتى إن التفت إلى شيء منها صار مفتضحًا فى دعواه وغرق فى أودية الحسبان والخسران.

فكم مستدرج بالنعم محجوب عن الخلق غافل عن الصدق جاهل بعرفان النفس يصبح ويمسى على الحسبان فيبدو له من ذى العرش ما لم يكن يحتسب، قال الله تعالى: ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾.

يا هذا، لو أن العالم فريقان: فريق يروحنى بمراوح من ند وفريق يقرض جسمى بمقارض من نار لا زاد هؤلاء عندى ولا نقص هؤلاء.

أى بنى، اعلم أن من عرف الله حق معرفته تلاشت همته تحت سرور وحدانيته، ولا شيء من العرش إلى الثرى أعظم من سرور العارف بربه، والجنة بكل ما فيها فى جنب سروره بربه أصغر من خردلة، لما علم أنه أكبر من كل كبير وأعظم من كل عظيم، فمن وجده فأى شيء لا يجد وبأى شغل يشتغل بعده؟ وهل رؤية غيره إلا من خساسة النفس ودناءة الهمة وقلة المعرفة به، وهل يكون لباس أجل من لباس الإسلام أو تاج أجل من تاج المعرفة أو بساط أشرف من بساط الطاعة، قال الله تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾.

أى بنى، اذكر الله تعالى واعلم أن الله تعالى أعلى درجة الذكر وعظم رتبته ورفع شأنه وشرفه وفضله، ثم قسمه على اللسان والأركان والجنان، فينبغى أن يكون الذاكر على حذر أن يلتفت إلى الذكر ويكون شريف الهمة والإرادة لطيف الفطنة فى الإشارة صحيح النية والإرادة لا يريد بذكره غيره،

ولا يتلمس منه فراغه عنه إلى ما دونه، لأن الوصول إلى الكل تحت الرضا به عن غيره، والحرمان من الكل تحت الاشتغال بغيره، ويجب على الذاكر أن يذكره على غاية من التعظيم والحرمة لا على العادة والغفلة، فيصير بذلك محجوبًا عن المذكور عقوبة لترك التعظيم والحرمة، لأن حفظ الحرمة فى الذكر خير من الذكر وما من عبد ذكره على التحقيق إلا نسى فى جنب ذكره ما سواه وكان الله له عوضًا من كل شىء، وربما يريد العارف أن يذكره فيهيج فى سره أمواج التعظيم والهيبة فيكل لسانه ويطير من إجلال الوحدانية ثم يبدو له شعاع الشوق والمحبة من حجب القلب والألفة، فتنتهى همته إلى سرادقات الألوهية وميادين الربوبية بإذن الله، فحينئذ يكشف له عما ستر عن غيره من عجائب غيبه ولطائف صنعه وكمال قدرته وأنوار قدسه، فعند ذلك يعرف العبد أن الله تعالى يفعل ما يشاء بمن يشاء لمن يشاء متى شاء كيف شاء، بيده المن والعطاء والإرادة لا راد لفضله ولا معقب لحكمه، فيشغل به ويصير فانيا تحت بقائه، وهذا معنى ما روى فى بعض الأخبار أن الله تعالى قال فى بعض الكتب: من يذكرنى ولا ينسانى حركت قلبه لمحبتى، حتى إذا تكلم تكلم لى، وإذا سكت سكت لى، قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما: ما من مؤمن إلا وعلى قلبه شيطان، إذا ذكر الله خنس، وإذا نسى الله وسوس.

ذكر الله شفاء لا يضر معه داء، وذكر الناس داء لا ينفع معه دواء، فاجعل ذكر الله قبلة همك وإضاءة مسجد فكرتك، واعلم أن حقيقة الاستئناس بذكر الحبيب هو نسيان غيره، من شغله ذكر الله تعالى فنى عن ذكر ما سواه وصار مدهوشا تحت لطائف صنعه، وتلاشت كليته تحت جمال حسن عنايته واستغرق فى بحار ذكر امتنانه:

للناس عيدان معدودان فى سنة
وللمريد جميع العصر أعياد
فالذكر عادته والحمد راحته
والقلب فى ملكوت الرب أواد

يا بنى، إن الله تعالى أعطاك المعرفة ووفقك لطاعته من غير إحسان سبق منك ومن غير شفاعة كانت لأجلك، فينبغى أن تشتغل بذكره وخدمته من غير طلب عوض ومكافأة منه فأهل الذكر أصناف مختلفة فمنهم من يذكر على جهة منة الإسلام، ومنهم على جهة منة السنة والجماعة، ومنهم من يذكره على جهة منة ذكره حتى يصير قلبه والهًا ولسانه كليلا وعقله هائمًا، ويصير فى عظمته مبهوتًا ويتيه فى كرمه ويدهش فى محبته لما علم أن الأعمال لا تقوم إلا به.

والذكر على وجهين: ذكر يتولد منه الخوف والخشية، وذكر يتولد منه الشوق والمحبة، فأما ما ينتج الخوف والخشية فهو ذكر من يذكر الله مع نفسه، ويرى ذكر الله يسبب ذكره لله تعالى، ولا يعلم أنه بذكر الله يصل إلى ذكره إياه، وأما الآخر فهو الذكر الذى يذكر ذكر الله له فى الأزل حيث لم يكن موجودًا إلى أن يصير فى الدنيا مفقودًا ثم إلا الأبد، فوجد ذكر الله له سابقًا أزليا خالدًا أبديا، وذكره له مكدر بالشهوات ممزوجًا بالغفلات، فشتان بين من يدخل على الله برؤية ذكر وبين من يدخل على الله برؤية فضله ومنته.

واعلم أن ذكر العبد لله تعالى فى إضافة ذكر الله تعالى للعبد كالغبار تحت الأمطار:

بذكـرك تحـيى مـهـجتى يـا مـؤملى
وذكــرك لى من قـبل ذكــرى أكـبــرُ
مـننـت بطَـولٍ لا أقـــوم بـشكـره
فـــأى أياديـك الجــزيـلة أشـكرُ

أى بنى، اعلم أن من تجرد بسره عن الكل وتفرد بسـر السر للفرد كشف له الغطاء واسـتبانت له البـراهين عند مشـاهدة نور الحق سبحـانه، وهنالك يسقيه الله بكأس محبتـه حتى يسكره به عن غيره ويزيل عنه التعب والنصب، ويصير سكوته ذكـراً وأنفاسه تـسبيـحًا وكلامه تقديسًـا ونومه صلاة، ولا يزال العبد يركب بسره مركب المعرفة حتى يصل بالمعروف، فإذا اتصل بالمعروف بقى معه إلى الأبد من غير أن يلتفت منه إلى ما سواه.

واعلم أن مثل القلب كالقصر، والمعرفة فيه كالسلطان، والعقل أمير على الأركان، والأركـان له تبع وأعوان، واللسان كـالترجمان، والسـر من خزائن الرحمن، ولا بد لكل واحد منها من الاستقامة فى مواضعه ودوران كلها على استقامة السـر مع الحق، فـإذا استقام السر استقامت المعرفة فـيستقيم العقل، وإذا استقام العـقل استقام القلب، وإذا استقام القـلب استقامت النفس، وإذا اسـتقامت النفس اسـتقامت الأحـوال، فالسـر منور بنور الجمـال والجلال، والعقل مـنور بنور اليقظة والاعـتبار، والقلـب منور بنور الخشـية والأفكار، والنفس منورة بنور الرياضة والانزجار، فالسـر بحر من بحور العطايا وأمواج الهمة فـيه لا يحصى عددها ولا ينقـطع مددها، وإن استقامـة السر مع الحق هى الدوام على بسـاط المشاهدة مع فقد رؤية الاستقامة.

واعلم أن صـراط استـقامـة السرادق من صـراطِ الآخرة، والمـرور على

جسـرها أصعب من المرور على جسـر الآخرة، وأن عالم الأسرار غـيور لا يحب أن يكون فى قلب العبـد حب أو ذكر لغيره، قـال الله تعالى فى بعض كتبه: إذا كان الغالب على عبدى الاشتـغال بى جعلت لذته وهمته فى محتى ورفعت الحجاب فيما بينى وبينه.

أى بنى، اعلم أن أعظم مصـائب السر حجـابه عن الله تعالى، فكل من حلت به هذه المصـيبة فـقد تلاشت سائـر مصائبـه فى جنبها، فـإن المحب سكران والسكران لا يجد حالة سكره وجع المصيـبة، فإذا أفاق وجد الألم، ومصيبة المحجوب عن الله لا تنجبر أبدًا إلا بتجريد السر عن كل ما دون الله تعالى، ولا وعـيد فى القرآن أصعب من قـوله تعالى: ﴿كَـلاَّ بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم﴾ فكم من طاعة حجبت صاحبها عن المطاع، وكم من نعمة قطعت صاحبها من المنعم، ورب نائم رزق الانتبـاه بعد رقدته، ومنتبه نام بعد طول الانتباه، ورب فاجـر رزق الولاية وبلغ منازل الأبرار، وزاهد سقط عن ولايته وسلك مسالك الفجار، وكم من عامل قد حجبته رؤية أعماله عن رؤية امتنان ربه به حتى عمى بصره فصار مبعـدًا وهو يحسب أنه واصل، ولا مصيبة أشد على العارف من الحجـاب ولو طرفة عين، وأعظم عقـوبة على العبد من الله البعد والحجاب.

أى بنى، اعلم أن العبـد بين الله وخلقه، إن التفت مـنه إلى الخلق تجرد عن الحق وصار متروكا محرومًا مخذولا، وإن التفت إلى الله عن الخلق قربه الله وأدناه وأوصله إلى قربه، فإن الله تعالى إذا أحب عبدًا أغار عليه على قدر قربه منه وحبه له، ولم يحتمل منه الالتفات إلى شيء سواه، فإنه إن نظر إلى شيء دونه عذبه الله بذلك الشيء، وجعله وبالا عليه، أما ترى أن إبليس لعنه

الله نظر إلى نفسه وقال عن آدم: أنا خير منه فلعنه، وقارون نظر إلى ماله وقال: إنما أوتيته على علم عندى فخسف الله به وبداره الأرض، وكذلك الملائكة نظروا إلى تسبيحهم وتقديسهم حيث قالوا: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ فابتلاهم الله تعالى بالسجدة لآدم، وكذلك كل من قال أنا يقول الله تعالى لا، بل أنا، ثم يرده إلى أسفل السافلين، وكل من يقول: أنت الله يرفعه إلى أعلى عليين.

والالتفات على وجهين: التفات العين والتفات القلب، فالتفات العين مثل ما قال الله تعالى لمحمد حبيبه ﷺ ﴿لا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ﴾ الآية ثم مَنَّ عليه لما عصمه حيث قال تعالى: ﴿وَلَوْلا أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلاً﴾ ثم مدحه بترك الالتفات إلى ما سواه فى قوله تعالى: ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾ ثم أورثه ذلك الترك الكلى أن رفع له الحجاب حتى رأى ما رأى فى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ وأن موسى عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾ قال انظر إلى الجبل ولن ترانى بعد أن نظرت إلى غيرى.

كان بعض العارفين يطوف حول الكعبة فناداه واحد فخطر بباله أن يلتفت إليه فسمع هاتفًا يقول: ليس منا من التفت إلى غيرنا.

أى بنى اعلم أن الله تعالى ربما يزين أعداءه بلباس أوليائه وأصفيائه حتى إنهم يغترون بصفاء الأوقات ويحسبون أنهم من أهل ولايته، فهذا من الله لهم استدراج، وربما يزينهم بالعز والجاه والرياسة والمنزلة عند الناس حتى يغتروا بثناء الناس ومحمدتهم ويحسبوا من أهل فضله، فهذا أيضًا من الله استدراج لهم، وكذلك ربما يزينهم بأنواع لطائف الحكمة فيغترون بحسن بلاغتهم

وكمال فهمـهم وفطنتهم ويحسبون أنهم أحاطوا بكل حقيـقة علمًا، فهذا لهم من الله استـدراج، وربما يزينهم بلباس النعـمة ويغرقـهم فى أنواع فيغـترون بحسن تجملهم ورطيب عيشهم ويحسبون أنهم على شيء من الله، فهذا لهم من الله استدراج، ولا يتـركه حتى يردهم إلى حقيـقة معلومة، قال سـبحانه وتعالى: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُونَ﴾ فهذا ما كدر عيش المريدين فى دار الدنيا حتى دام كمدهم واصفـرت ألوانهم وذابت نفسهم ودهشت عقولهم وطارت أفئدتهم وانشقت مراراتهم وفُقدوا من الخلائق.

وواجب على كل ذى عقل ومعرفة أن يحذر مـولاه كما حذر نفسه بقوله تعـالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ وكمـا قال: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ﴾ وقال ﷺ: «المؤمن لا يسكن اضطرابه ولا تأمن روعته حتى يخلف جسر جهنم» إلا أن الله تعالى غيب مكره فى حلمه وخداعه، فى لطفه وعدله، فى كـرمه وخذلانه، فى أنواع نعمه وسخطه، فى جـميل ستره وقطيعته فى إمهاله.

فينبـغى للعبد أن لا يعـتمد على حـسن أوقاته وكثـرة حسناته، فكم من واحد تراه فى زى المـريدين وهو فى علم الله من المطرودين، ولا يشـعر أن الله تعالى ربما يزين عدوه بلباس أوليـائه ثم يرده آخر الأمر إلى بعده، وربما يكسو وليه لباس الأعداء ثم يرده آخر الأمـر إلى حقائق كرمه، لأنه هو يبدئ ويعيد، يعنى: يبدئ على أوليائه صفـات أعدائه وعلى أعدائه صفات أوليائه، ثم يعيدهم إلى حـقائق معلومة، وهو الفعال لمـا يريد بإظهار فضله فى أهل عدله، وإظهار عدله فى أهل فضله.

ألا ترى أن الله زين إبليس بزينة عصـمته، وهو فى سـابق علمه من أهل

اللعنة، ستر عليه مـا سبق منه إليه حتى أظهر أمره فى العـاقبة، وكذلك زين بلعام بأنوار ولايتـه ـ وهو عند الله من أهل سخطه، وأغرق قـارون فى بحار نعمته ـ وهو عند الله تعالى من أهل سخطه.

لا يغرنك بالله أربعة أشياء: اظهاره لك ما لم تعلم، وستره عليك بما قد علمت، وزيادته لك فيـما لم تشكره، وإعطاؤه إياك ما لم تسأله، فـإنه ربما أراد الله تنبيهًـا لك أو استدارجًا، فيـا رب مستدرج بالإحـسان إليه، ويا رب مغتر بالثناء عليه، ويا رب مفتون بالنعم عليه، ويا رب مستهلك بالستر عليه، فمن لم يكن باطنه فى مـلازمة الحق تعالى عـين ظاهره كان شكه أغلب من يقينه، وإن كان ظاهره يدل على أوصاف المـوقنين. وفقدان أنوار الباطن من رؤية حركـات الظاهر والغفلة عن غوامض آفـات الاستدراج من رؤية صـفاء العبودية، فليس للموفق أن يعتمـد، ولا للمخذول أن ييأس، واستدراج أهل الذنوب الركون إليـها والإصرار على الإعـراض عن الله سبحانه، واسـتدراج أهل العلم طلـب الجـاه والمنزلة عند الخلق، واسـتـدراج أهل الاجـتـهـاد الاستكثـار والإعجـاب واستدراج المـريدين تطلعهم إلى العطـايا والكرامات وسكونهم إليها، واستدراج العارفين استـغناؤهم بالمعرفة دون المعروف حتى جعـلوا لها حـدا وغاية ونهـاية، وظنوا أنهم قد أحـاطوا بها، فكل مـن كان منزلته أرفع كان استدراجه أعظم وأدق.

كم من مذكر لله ناس لله! وكم من مخوف بالله جرىء على الله وكم من داع إلى الله! بعـيـد من الله! وكم من تالٍ كـتـاب الله منسلخ من آيات الله! وبحق أقول: ما اشتغل أحد بغيره إلا ضاع عمره وذهبت عنه صفاوة الوقت، فمن أراد صـفاوة الوقت فليؤثر الله على شـهوته، وقيل لواحـد: ما حقيـقة

صفاوة الوقت؟ فقال: تصفية الكلية لخلاق البرية بوفاء صدق العبودية، وقال: الجهل كله موت إلا من يرزقه الله العلم، والعلم كله حجة إلا من وفقه الله للعمل به والعمل كله هباء منثور إلا أن يكون صافيا لله تعالى، وأهل الصفاء على خطر عظيم إلا أن يسلموا ذلك إلى الله تعالى بلا عيب، ويجب على العبد أن ينظر فى حال أكله وشربه ولباسه وكلامه وحركاته وإرادته فيدع منها ما كدر، وليأخذ ما صفا، لأن صفاوة الأوقات على قدر صفاوة الأحوال، قال الله تعالى حكاية عن إبراهيم عليه السلام: ﴿يَوْمَ لا يَنفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ (٨٨) إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ أما ترى أن إبراهيم عليه السلام وضع قدمًا واحدًا بصدق الوفاء على صخرة صماء فأمر الله تعالى أن اتخذوا من مقام إبراهيم مصلى.

وحقيقة الصفاء التخلق بخلق المصطفى ﷺ، والاقتداء بأصحابه أولى الصدق والوفاء والانقطاع إلى الملك الأعلى، وقيل: حقيقة الصفاء طرح القلب على بساط الامتنان واستقامة السر مع الملك الديان، وقيل: تصفية القلوب لعلام الغيوب، وقيل: صدق الافتقار مع دوام الاضطرار وترك الاختيار مع حسن الانتظار، وقيل: فناء الكلية تحت كمال القدرة وطيران الهمة بأجنحة الشوق نحو رب العزة، وقيل هجرة السر إلى الله من المراتب والدرجات والفرار إلى الله من المنازل والمقامات، وقيل هى مجانبة دواعى انفس ومتابعة دواعى الروح وإخماد صفات البشرية تحت صفات الربوبية.

أى بنى، إذا نظرت فى القوم الذين ادعوا التصوف اليوم رأيت أن أكثرهم من الزنادقة والحرورية والمبتدعة ورأيتهم أكثر الناس جهلاً وحمقًا وأشدهم مكرًا وخديعة وأعظمهم عجبلا وتطاولا وأسوأهم ظنا بأهل الزهد والتقوى

وأهل الصدق والصفاء، وعلامات أهل الصفاء أدق من أن يصفها واصف وأعلى من أن تحتملها الأوهام.

فمن علامات الصوفى أن يصفو فى أقواله وأفعاله وحركاته من أدناس آفات النفس والخلق والدنيا، وتصفو خواطره من غبار الأعراض عنه تعالى والنظر منه إلى من سواه، وأيضًا من علاماته أن يكون مع النفس بلا نفس ومع الخلق بلا خلق ومع القلب بلا قلب ومع الحال بلا حال ومع الوقت بلا وقت، ويكون مستقيمًا على بساط أمر الله متذللا تحت جلا عظمة الله مستكفيًا مستغنيا به عن غيره، قلبه مضروب بسياط خشية البعد والحرمان، نفسه منورة بنور الخدمة، وقلبه منور بنور المحبة وسره منور بنور المعرفة، ومن علامته أيضًا أن يكون فؤاده طائر بأجنحة الشوق وأكانه مستقيمة على طريق الحق بالحق للحق مع حسن الانتظار وعلى غاية الانكسار، مقبلا بالكلية على مليكه مع ترك الالتفات منه إلى ملكه، مع الفرار من المخلوقين لشدة وجدانه حلاوة الأنس برب العالمين رجوعه إلى الحق واعتماده على الحق وقراره مع الحق من غير أن يلتفت منه إلى الخلق، وحشى القلب سماوى الحديث ربانى العلم فردانى الهمة روحانى العيش نورانى القدر وحدانى المعنى جميع إراداته تحت إرادة المعبود، شاكرًا لله تعالى فى السر والإعلان كى لا يقع فى أبحر الكفران، ذاكرا لله بالقلب واللسان فى كل وقت وأوان كيلا يتيه فى مفاوز النسيان، يعلم أن المولى يراه ومن فوق العلى يرعاه، فهو فان تحت عظمة نظره متلاش بكليته تحت كمال قدرته مستغرق صفاء أوقاته فى أبحر امتنانه، مع سقوط كل حلاوة غير حلاوة محبة ربه، مستقيم على صدق العبودية من غير رؤية العبودية، فارغ القلب عن الشغل

بغير الله مع الاتكال بالقلب على الله، متواضع لأهل الإيمان قائم على بساط الأحزان حتى يأتيه اليقين بالعفو والرضوان، لسانه مثل قلبه يصدق فى جميع أقواله وأعماله، لا كما قال الله تعالى: ﴿لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ﴾ شاكر لقليل النعمة صابر على كثير الشدة راضٍ بقضاء رب العزة دائم على احتراس القلب لله بالحجة، لا يخاف دون الله ولا يرجو غير الله ولا يريد إلا الله، لما علم أنه لا مضر ولا نافع ولا رافع ولا دافع ولا معز ولا مذل إلا الله، وحده لا شريك له، متابع لسنة المصطفى وأخلاقه ومذاهب أصحابه، خائف من سوء العاقبة مشتغل بالمقدر إذا اشتغل الناس بالتقدير، وبالمدبر إذا اشتغلوا بالتدبير، جالس على بساط الخدمة مع الحياء، متكئ على سرير الفقر والفاقة، مشرف على غرف القرب والمشاهدة، شارب بكأس الأنس والمحبة، يطيل صمته ويكظم غيظه ويغلب شهوته ويفارق راحته من غير أن يلتفت إلى معاملة قلبه، فارغ من مصالح نفسه تارك لجميع راحاته وشهواته، خائف من الوحشة بينه وبين حبيبه، يكون أحسن الناس للناس وأتقاهم، وأصدق الناس وأصفاهم، وأعقل الناس وأرعاهم، ينظر إلى الدنيا بعين الاعتبار، وإلى النفس بعين الاحتقار، وإلى الآخرة بعين الاستبشار، وإلى الرب بعين الافتخار، فى الاستقامة كالجبل الراسى لا تحركه الرياح الهائجة لا يطلب ما ليس له ولا يهتم بما قسم له، فارغ عن خدمة المخلوقين مشتغل بخدمة رب العالمين، لا يعرض عنه ببلواه ولا يختار حبيبًا سواه، نفسه طاهرة من كل خطأ وذلة، وقلبه متبرئ من كل سهو وغفلة، وسره من كل حول وقوة، بدون الله سبحانه لا يرضى، طعامه طعام المرضى، وبكاؤه بكاء الثكلى، لا يتوكل قلبه إلا عليه، ولا يسلم إلا إليه، ولا يشكر النعمة إلا له،

ولا يطلب الحاجة إلا منه، مستأنس بالله فى جميع الأحوال، منقطع إليه فى جميع الأعمال وذكر الله حديثه فى جميع المقال، تارك اختياره إلى ذى الجلال، نومه قليل وحزنه طويل وبدنه نحيل وأنيسه الملك الجليل، حسبنا الله ونعم الوكيل.

أى بنى، اعلم أن قلوب أهل المعرفة خزائن الله فى أرضه، يضع فيها ودائع سره ولطائف حكمته وحقائق محبته وأنوار علمه وآيات معرفته، التى لا يطلع عليها ملك مقرب ولا نبى مرسل ولا أحد دون الله بغير إذنه سبحانه، فينبغى أن يكون العارف عالمًا بصلاحه وفساده مستقيمًا على معاملته عارفًا بربحه وخسرانه، حافظا له من مكايدة عدوه، مستعينا بالله فى ذلك كله، وأن لا يدع فى قلبه مكانا لغيره، فإن الله تعالى إذا اطلع على قلب فرأى فيه غيره مقته وخذله وسلط عليه العدو، ومعاملة القلوب لله خاصة ومعاملة الأركان مختلطة، ومعاملة القلوب تقبل بغير الأركان ومعاملة الأركان لا تقبل بدونه القلب، ولا تستوجب الثواب، فإن كان العبد فى معاملة القلب مقصرًا وفى معاملة الأركان موفرًا حكم على توفير إحكامه بتقصير قلبه، وإن كان فى معاملة القب موفرًا وفى معاملة الأركان مقصرًا حكم على تفصير أركانه بتوفير قلبه.

روى أن موسى عليه السلام مر بقوم من بنى إسرائيل قد لبسوا المسوح وقد جعلوا التراب على رءوسهم ودموعهم منحدرة على خدودهم فبكى عليهم رحمة لهم، وقال: إلهى، أما ترحم عبادك: أما ترى حالهم: فأوحى الله تعالى إليه: يا موسى، انظر هل نفدت خزائنى؟ أولست بأرحم الراحمين؟ كلا، ولكن اعلمهم بأنى بذات الصدور خبير: يدعوننى بقلوب خالية عنى مائلة إلى الدنيا.

ومعاملة القلوب على عشر مدارج: أولها: الخطرات، ثم حديث النفس، ثم ثالهم، ثم الفكر، ثم الإرادة، ثم الرضاء، ثم الاختيار ثم النية، ثم العزيمة، ثم القصد، حتى يبلغ علىٰ عمل الظاهر.

فمن قام لله تعالى فحفظ معاملة القلب عند الخطرات فهو على مدارج المقربين، ومن قام لله فحفظ معاملة القلب عند الهم فهو على مدارج الأوابين، ومن قام لله فحفظ معاملة القلب عند الفكرة فهو على مدارج المخلصين، ومن قام لله فحفظ معاملة القلب عند الإرادة فهو على مدارج المريدين، ومن قام لله فحفظ معاملة القلب عند الاختيار فهو على مدارج المتقين، ومن قام لله فحفظ معاملة القلب عند النية فهو على مدارج الزاهدين، ومن قام لله فحفظ معاملة القلب عند العزم فهو على مدارج المنيبين، ومن قام لله فحفظ معاملة القلب عند القصد فهو على مدارج المجتهدين، ومن قام لله فحفظ معاملة القلب عند عمل الظاهر فهو على مدارج العابدين من عامة الموحدين.

أي بني، اعلم أن الله تعالى ذكر في محكم كتابه للعباد أمره ونهيه ووعده ووعيده وترغيبه وترهيبه وقضاءه وتقديره وحكمه وتدبيره ومشيئته في خلقه، وضرب الأمثال، وذكر آلاءه ونعماءه ولطائف صنعه وكمال قدرته وعظيم ربوبيته، ثم قال: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾ أشهد في هذه الآية جميع العباد شرف مراتب إبناء القلوب وبين فضلهم على من دونهم، قال بعض المفسرين في معنى قوله تعالى: ﴿لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾ أي قلب واثق بجميع ما ذكره الله سبحانه في كتابه من الوعد والوعيد وغيرهما، وقال بعضهم: لمن كان له عقل يزجره عن جميع الضلالات والغوايات في جميع

الحالات، وقال بعضهم: لمن كـان له قلب يفر به عن الشرك والشك، وقال بعضهم: لمن كـان له يقين يسقط عنه وثاق الغرور فى جـميع الأمور إلى أن يصل إلى الملك الغفور، وقال بعضهم: لمن كـان له سر يتلاشى معه جميع أوصاف العبودية تحت إشارة الربوبية عند مشاهدة الحق، وقال بعضهم: لمن كان له استقامة السر مع الحق من غير التفات إلى ما سواه.

أى بنى، اعلم أن العبد إذا علـم أن الله سبحانه حكيم فيـما حكم وقدير عالم بما قـضى ودبر وعرف نفسه أنه جاهل بالمـحبوب والمكروه رضى عن الله فى حكمته وقضائه، والرضا هو سكون القلب إلى الحكيم وترك الاختيار مع التـسليم، ولا شىء أشـد على النفس مـن الرضاء بالـقضـاء لأن الرضـا بالقضـاء يكون على خلاف رضـا النفس وهواها، فطوبى لعبـد آثر رضا الله تعالى على رضا نفسه، وروى أن موسى عليه السلام كان يقول فى مناجاته: إلهى خـصصـتنى بالكلام ولـم تكلم بشراً قـبلى فـدلنى على عـمل أنال به رضاك، فقال الله تعالى: يا موسى رضائى عنك فى رضاك بقضائى.

أى بنى، اعلم أن الغنى والفقـر صفتان: صفـة لله وصفة للعبد، فـصفة الفقر للعـبد وهو صفة مدح كمـا أن صفة الغنى لله وهو صفة مـدح، والفقر بالحقيـقة صفة العبـد، إذ لا يشوبه غنى، والغنى بالحقيقـة صفة الرب إذ لا يشوبه فقر وأن أشرف صفات العبـد افتقاره إلى الله تعالى فى كل شىء، كما أن أشرف صـفات الرب استـغناؤه عن العبد فى كل شىء، قـال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَاءُ﴾ و ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ .

واعلم أن الافتـقار إلى الله مـقسوم على النفس والروح والـقلب والسر،

ففقر النفس إلى الله تعالى يكون على سبيل القرب والرضاء، وفقر السر إلى الله تعالى على سبيل المشاهدة واللقاء، فكلما رأى العبد نفسه متحيرة على باب عهده ووفائه رجع بالافتقار إلى باب عفوه، وكلما رأى روحه متحيرة على باب وده ومحبته رجع بالافتقار إلى باب عنايته، ومن حقيقة الافتقار الاستكفاء بالكافى وطرح النفس السقيمة بين يدى المعافى، وأيضا من حقيقته انتظار السبب من المسبب مع عدم رؤية السبب، والاشتغال بالمسبب مع نسيان السبب، وأيضًا من حقيقته دوام التبصبص والاعتذار بلسان صدق الافتقار مع غاية الانكسار، ومن حقيقته تخليص الأسرار من رؤية الأعمال وترك الاعتماد على حسن الحال، ومن حقيقته أن لا ينصرف العبد عنه بخلقه ولا بملكه.

واعلم أن الافتقار أجل مراتب المحبين وأرفع منازل المنيبين وأزلف حالات المريدين وأعظم آلات الأوابين وأجل مقامات التائبين وأعلى وسائل المقربين، وهو أصل العبودية وصدر الإخلاص ورأس التقوى ومخ الصدق وأساس الهدى، فمن أراد أن يدخل فى عصبة أهل الافتقار فينبغى أن لا يهتم بمصلحة نفسه وعياله، وأن يتملق بين يدى الله تعالى وأن يكون آيسا مما سوى الله مع الافتقار إلى الله، كرجل يكون فى بئر مظلم ورأس البئر مسدود وأثره مستور، وليس له فى البئر مؤنس، ولا للخلق على رأس البئر ممر، فهل يكون رجاؤه وافتقاره إلى أحد دون مولاه.

أى بنى، أعلم أن من نظر فى حسن تدبير الله تعالى ولطائف صنعه وكمال قدرته فى كل شىء علم أنه تعالى قائم على نفسه بما كسبت، وأن نواصى العباد بيده يقلبهم كيف شاء وأن سعادتهم وشقاوتهم فى ماضى

حكمته لاراد لقضائه ولا معقب لحكمه، فمتى تحقق ذلك اعتصم بالله واستسلم له وفوض الكلية إليه، وقام بقدم الاضطرار بين يديه، بلا حول ولا قوة ولا اختيار ولا تعليق ولا تدبير ولا سؤال، فإن راحة الدارين وسرورهما فى الاعتصام بالله، وهمومهما فى الاعتصام بغير الله، ورؤية الحول والقوة بالنفس، ألا ترى قول الله تعالى لنبيه ﷺ : ﴿قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلا ضَرًّا إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ ومعاملة الله تعالى مع موسى عليه السلام فى التيه مكافأة لقوله: ﴿لا أَمْلِكُ إِلاَّ نَفْسِي وَأَخِي﴾ وقيل فى معنى قوله تعالى: ﴿فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ﴾ أى اخلع عن قلبك أهلك وولدك وكل ما سوى الله، ثم قال تعالى: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَىٰ ⑰ قَالَ هِيَ عَصَايَ﴾ أضافها إلى نفسه، قال: ما تصنع بها؟ قال: ﴿أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا﴾ فقال له: ﴿قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَىٰ ⑲ فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ﴾ قال الله تعالى: يا موسى هذه التى قلت أتوكأ عليها صارت عدوة لك لتعليق قلبك بغيرى، فرجع موسى بقلبه إلى الله تعالى، فلما علم الله ذلك منه: ﴿قَالَ خُذْهَا وَلا تَخَفْ﴾ وقال لنبينا ﷺ ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾ يقول الله تعالى ما من عبد نزلت به بلية فاعتصم بمخلوق دونى إلا قطعت أسباب السماء من يديه ووكلته إلى نفسه، وما من عبد نزلت به بلية فاعتصم بى دون خلقى إلا أعطيته قبل أن يسألنى واستجبت له قبل أن يدعونى.

السيد الأعظم والكنز المطلسم ﷺ حالة كونه سر الوجودات وسبب الموجودات والبرزخ الوسط بين الخلق والخالق قد فعل فى مقام عبديته ما تورم له قدماه الشريفان فأين نحن؟ هات أيها العارف ابذل مهجتك اتباعا لهذا الرسول العظيم ﷺ، وامحق كلك فى اليوم والليلة ألف مرة وأنت بعدها مقصر العبودية.

وصف العارف المحض

أى بنى، قد ذكر الله تعالى فى كتب الأنبياء نعت الأصفياء، يقول الله تعالى عبدى، بى وجدتنى، وبى وقع بينى وبينك عقد المحبة، وبى صرت من أهل خدمتى، وبى تعرفنى، وبى تذكرنى وتثنى علىّ، وبى تتلذذ بذكرى، وبى قصدت صحبتى، وبى قدرت أن تنظر فى الآخرة إلى وجهى.

عبدى، نفسك لى وروحك لى، وقلبك لى وكليتك لى، فإن أعطيتنى الكل أعطيتك الكل وكنت لك مع الكل.

علامة السعداء ثلاثة: التمسك بسنة النبى المختر والصحبة مع الأولياء الأخيار والحياء من الملك الجبار، ومكتوب فى الزبور: يا داود إنى لأستحيى من عبدى أن أرده إذا دعانى، وإن عبدى لا يستحيى من أن أدعوه فلا يجيبنى، قال النبى ﷺ: «الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك».

أى بنى، أعلم أن التقوى على وجهين: خاص وعام، فأما التقوى الخاص فالاتقاء بالسر عن الهمة، والمنية من غير ذات الله تعالى حيث الله تعالى يقول: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ وأما تقوى العام فالاتقاء بالظاهر عن جميع ما كره الله تعالى قال الله سبحانه: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ﴾ والله تعالى، جعل الفرج والمخرج من الهموم واليسر والسعة فى التقوى لقوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا﴾ الآية، قيل فى معناه: ومن يتق الله فى أداء الطاعة يجعل له مخرجا من غبار الذنوب والزلات ويرزقه النجاة من العقوبات من

حيث لا يحتسب، ومعنى آخر: ومن يتق الله عند الإبانة بالحجة يجعل له مخرجًا من شدة المحاسبة ويرزقه سلامة الدارين من حيث لا يحتسب، ومعنى آخر: يجعل له مخرجًا من جميع الاشتغال بغير الله، ويرزقه حياة طيبة من حيث لا يحتسب، ومعنى آخر: من يتق الله بترك المحارم والشبهات يجعل له مخرجًا من الإرادات والشهوات، ويرزقه حلاوة الطاعة من حيث لا يحتسب، ومن يتق الله عند قول الحق ولا يخاف فى الله لومة لائم يجعل له مخرجًا من مكر الناس ومكائدهم ويرزقه الظفر من حيث لا يحتسب، ومن يتق الله بترك التعلق بغير الله يجعل له مخرجًا من عبودية ما سواه ويرزقه الصدق والإخلاص من حيث لا يحتسب.

يروى أن أبا هريرة سمع من النبى ﷺ يقول: «إذا كان يوم القيامة يقول الله تعالى: يا أيها الناس، إنى جعلت نسبًا وأنتم جعلتم نسبًا إنى جعلت أكرمكم أتقاكم، وأنتم جعلتم أكركم أغناكم، وإنى أرفع اليوم نسبى وأضع نسبكم، فأين المتقون؟ اليوم لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون» وقال ﷺ : «الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور متشابهات لا يعلمها كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات سلم دينه، ومن وقع فى الشبهات وقع فى الحرام، فدع ما يريبك إلى ما لا يريبك» وقال عيسى عليه السلام: «لو صمتم حتى تكونوا كالاوتار، وصليتم حتى تكونوا كالحنايا، ما قبل منكم إلا بورع صادق».

أى بنى، أعلم أن أهل المعرفة يبكون إذا ضحك أهل الغفلة ويحزنون إذا فرح أهل الغرة، قال الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ وقوله: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ (٣٨) ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ﴾ وإن الله تعالى ذكر من

دلائل المعرفة ومن علامات العارفين كثرة البكاء وسيل الدموع، قال تعالى: ﴿وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ﴾ وذم أهل الغفلة بالضحك وترك البكاء فى قوله: ﴿أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ﴾ الآية.

واعلم أن البكاء بكاء العين وبكاء القلب وبكاء السر، فأما بكاء العين فهو لأهل المعرفة من المنيبين، وأما بكاء القلب فهو لأهل المعرفة من المريدين، وأما بكاء السر فهو لأهل المعرفة من المحبين.

واعلم أن لأهل المعرفة همومًا مخبوءة تحت أسرارهم، مستورة عن أفكارهم، فكلما هاج من أسرارهم رياح خشية الهيبة ومن قلوبهم لهب نيران الأحزان أحرقت ما عليها من هشيم الغفلة والنسيان.

والبكاء على خمسة أوجه: بكاء الحياء مثل بكاء آدم، وبكاء الخطيئة مثل بكاء داود، وبكاء الخوف مثل بكاء يحى بن زكريا، وبكاء الفقد مثل بكاء يعقوب، وبكاء الهيبة مثل بكاء سائر الأنبياء، وهو قوله تعالى: ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ...﴾ الآية، وبكاء سادس مثل بكاء شعيب، ذلك بكاء الشوق والمحبة، بكى شعيب حتى ذهب بصره، ثم رد إليه بصره، فبكى حتى ذهب بصره ثلاث مرات، فأوحى الله تعالى إليه: يا شعيب إن كان بكاؤك من مخافة النار فقد أمنتك من النار، وإن كان بكاؤك من أجل الجنة فقد أوجبت لك الجنة، فقال: لا يارب، ولكن من الشوق إلى رؤيتك، فأوحى الله إليه أن يا شعيب حق لمن أرادنى أن يبكى من شوقى، إنه ليس لهذا الداء دواء غير لقائى، ويروى أن النبى ﷺ قال: «لو أن عبدًا بكى من خشية الله فى أمة لرحم الله تلك: «الأمة ببكائه».

أى بنى، اعلم أن حبيب القلوب سبحانه إذا أحب عبدًا أطلع سره على

جلال قدرته وحرك قلبه بمراوح ذكر منته وسقاه شربه من كأس محبته حتى يسكره به عن غيره، وجعله من أهل أنسه وقربه وصحبته، حتى لا يصبر عن ذكره، ولا يختار أحداً عليه ولا يشغل بشيء دون أمره، أصل المحبة هو المحو إلا أنه هو على ثلاث مدارج: العام والخاص، وخاص الخاص، فأما العام فمحو القلب عن حب الذنوب والمعاصى، والخاص محو القلب عن حب الدنيا وأهلها، وخاص الخاص محو القلب عن حب ما دون الله تعالى.

أى بنى، اعلم أن الله تعالى خلق الدنيا وجعلها دار المحنة ومحل الأخطار والأشرار، ثم خلط فيها الأبرار والفجار وأهل المحبة بأهل البطالة، ثم يقلبهم من حال النعمة إلى حال الشدة ومن حال الشدة إلى حال النعمة، لإظهار من يعبده على بساط المحنة ممن يعبده على بساط النعمة، ومن يعبده على رؤية المعطى ممن يعبده على رؤية العطاء، قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ﴾ الآية، وفى الخبر أن الذهب ليجرب بالنار والعبد الصالح ليجرب بالبلاء» والحكمة فى امتحان الله تعالى عباده الصالحين إظهار ما فى ضمائرهم من صدق الدعوى وكذبه وحقيقة المعنى وبطلانه ليكون فيه ظهور مرتبة الصديقين وافتضاح غيرهم أما ترى أنه لا يسع الحاكم أن يحكم للخصم على إحاطة علمه فى تصديق دعواه وبطلانها من غير أن يظهر لغيره ذلك، قال تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا﴾ الآية، وقال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ وقال تعالى: ﴿لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ﴾ ثم اختلفوا فقال بعض العلماء: من يعبده على بساط النعمة أولى ممن يعبده على بساط المحنة، لأن منزلة الشكر أفضل من منزلة الصبر، وذلك لأن الشكر على النعمة طاعة بساط الفراغة، والصبر على

الشدة طاعة على بساط الشغل وليس من عبد الله فارغا كمن عبده مشغولا، وقال بعضهم: من يعبده على بساط المحنة أفضل، لأن الأنبياء أفضل مرتبة ممن دونهم، فامتحن الله عامتهم بأنواع المحن والبلاء، قال ﷺ: «إن أشد الناس بلاء الأنبياء...» الخبر، وأن الكفرة هم أهون الخلق على الله وعيش عامتهم بأنواع النعم، وليس من طلبه بنفى الحجاب كمن طلبه من وراء الحجاب، والشاكر يطلبه وراء الحجاب والصابر يطلبه دون الحجاب، والشاكر يعبده على حظ نفسه والصابر يعبده على حب ربه، والشاكر مفتخر بملكه، والصابر مفتخر بمليكه والشاكر حبس نفسه مع النعمة والصابر حبس قلبه مع المنعم والشاكر يقول: ما دامت النعمة لا أبالى أن أصابنى ما أصابنى، والصابر يقول: ما دام المنعم معى لا أبالى أن أصابنى ما أصابنى، قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ وإن الله تعالى أوجب للشاكر الزيادة ونفى عن أجر الصابر النهاية حيث قال: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ وقال: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾.

أوحى الله تعالى إلى نبى من الأنبياء أنى قدرت فى أم الكتاب إذا أحببت عبدًا جعلته للبلاء غرضًا وألبسته جلباب الفقر، وفى الخبر أن الله تعالى أوحى إلى داود عليه السلام: قل لأوليائى وأصفيائى وأهل محبتى أن لا يدخلوا مداخل اعدائى ولا يسكنوا مساكن أعدائى ولا يطعموا مطاعم أعدائى فيكونوا أعدائى كما أولئك أعدائى، وقال وهب: إنا نجد فى كتاب الله المنزل أن عبادى المخلصين كانوا إذا سلكوا طريق الشدة والبلاء فرحوا واستبشروا ويقولون: الآن يتعهدنا ربنا، وفى الحديث القدسى أن البلاء أسرع إلى من يحبنى من السيل إلى منتهاه.

أى بنى اعلم أن المحبين فى طرائق العبودية وأوقات المناجاة على أصناف شتى، فمنهم من ناجاه على لسان الاعتذار، ومنهم من ناجاه على لسان التحير والاضطرار، ومنهم من ناجاه على لسان الطرب والافتخار، ولو علم أهل الغفلة ما فاتهم فى كل نفس؟ قال النبى ﷺ فى مناجاته: «إلهى إذا قرت أعين أهل الدنيا من دنياهم فأقر عينى بك، وأقر عينى بلذائذ أنسك والشوق إلى لقائك» وكذا يقول من يحب: يا خير مؤنس وأنيس، يا خير صاحب وجليس، طوبى لمن اكتفى منك بك، لبيك لبيك يا حبيب القلوب، لبيك يا سرور القلوب، لبيك يا منى القلوب لبيك، اللهم آليت بك عليك أن لا تصرفنى بك عنك، ولا تحجبنى بك عنك، إلهى لو دعوتنى إلى النار لأجبتك وافتخرت بك، فكيف وقد دعوتنى إلى نفسك ألهى؟ إن قربتنى منك فمن الذى يبعدنى؟ وإن أعززتنى بك فمن الذى يذلنى؟ وإن رفعتنى إليك فمن الذى يضعنى؟ إلهى من أرهب وأنت مولاى؟ ولمن أرجو وأنت مناى؟ وبمن أستأنس وأنت جليسى، فبك عليك أن تتفضل بإتمام فضلك يا نعم المولى ونعم النصير، إلهى سرى عندك مكشوف، وأنا إليك ملهوف، وأنت بالجود معروف، وبالكرم موصوف، إلهى أنت أنيس المستأنسين من أحبائك، ومأوى المرهوبين من أصفيائك وجليس الملهوفين من أوليائك، إلهى ما أطيب معرفتك فى قلوب العارفين، وما أحلى ذكرك فى أفواه الذاكرين، وما أحلى مودتك فى أسرار المحبين، إلهى أنت الذى لا تبطل أمل الآملين ولا يخفى عليك أحوال المريدين ولا يخيب لديك رجاء المنيبين، إلهى أنت سرورى إذا نظرت منك إليك، وأنت حسبى إذا استكفيت بك منك، وأنت أنيسى إذا نزلت منك بى، اللهم ارحم انقطاعى إليك

وانفرادى بك ووحشتى عمن سواك، فيا خير مؤنس وأنيس، ويا خير صاحب وجليس كن دليلى منك إليك.

وأقول: إلهى اجعل أجل العطايا فى قلبى حياءك وأعذب الكلام على لسانى ثناءك وأحب الساعات إلىّ ساعة يكون فيها لقاؤك، إلهى ما أوحش قلبًا ليس فيه ذكرك وما أخرب قلبًا ليس فيه خوفك وما أقل سرورًا ليس فيه حبك، إلهى لا صبر لى فى الدنيا عن ذكرك فكيف أصبر فى الآخرة عن رؤيتك؟ إلهى أشكو إليك غربتى فى بلادك ووحشتى بين عبادك، إلهى ما لمرادنا غيرك ولا لبغيتنا دونك وما لحاجتنا سواك، ألهى هذه لذائذ المناجاة فكيف لذائذ الملاقاة، إلهى هذا شكرى وشكر شكرى، إلهى هذا سرورى وسرور سرورى وودى وود ودى، إلهى أنسى بك أوحشنى من خلقك، ومعرفتى بك تمنعنى عن مناجاة غيرك، إلهى كيف أشغل لسانى بذكر غيرك؟ أم كيف أشغل بصرى برؤية غيرك؟ أم كيف أشغل قلبى بحب سواك وأنا لا أعرف غيرك؟ إلهى على من أثنى وأنت وليى، ومن أرجو وأنت مناى، يا خير معروف ومذكور، أعززتنى بولاية معرفتك فلا تذلنى يا سيدى بعدها بمن سواك، إلهى عجبت ممن يعرفك كيف لا يستغنى عمن سوك؟ إلهى عجبت ممن آنس بك كيف لا يستوحش عن غيرك؟ إلهى عجبت لمن أرادك كيف يريد سواك لهى هذ سرورى بك فى دار الفناء فكيف سورى بك فى دار البقاء؟ إلهى هذا سرورى بك فى قراطق الخدمة فكيف سرورى بك فى غلائل النعمة؟ إلهى هذه لذائذ المحبة فكيف لذائذ الرؤية؟ إلهى هذه لذائذ المؤانسة فكيف لذائذ الزيارة، لهى من لم يكن مسرورًا بك فمنى أى شىء يكون له سرور؟ إلهى سقيتنى بكأس الحب حتى أسكرتنى، فالحب يقتلنى

والشوق يحرقنى، لهى آريتنى حبك فأنى وصلك، إلهى طال بك حسن ظنى على أن لا تردنى خائبًا فلا تخيب ظنى بك، يا معروف بالمعروف، إلهى ليس لى عنك صبر ولا فيك حيلة ولا منك بد ولا عنك مهرب ولا مع سواك أنس إلهى أحييتنى بمعرفتك فلا تمتنى بنكرتك إلهى أريتنى وصالك، فلا ترنى فراقك، إلهى إن لم تفعل ما نريد فصبرنا على ما تريد، إلهى فرغ قلبى لذكر عظمتك، وأطلق لسانى بوصف منتك، وقونى على شكر نعمتك، إلهى ارحمنى فأنا عاجز عند النصب جاهل بالسبب، حيران فى الطلب، إلهى جعلت سبب ما تعطى رجاءك وسبب ما يجمع بين أوليائك تأليفك بين قلوبهم، إلهى فأعطنى المرجو كما وهبت الرجاء واجمع بينى وبين أوليائك كما ألفت بين القلوب.

كيف يفتقر من أنت حظه؟ أم كيف يستوحش من أنت أنيسه؟ أم كيف يذل من أنت حبيبه؟ أم كيف يحزن من أنت نصيبه؟ إلهى همك أبطل عنى الهموم، وحبك حال بينى وبين الرقاد، وشوقى إليك منعنى اللذات، وأنسى بك أوحشنى عمن سواك، إلهى أنت توالى من يعاديك فكيف تعادى من يواليك؟ إلهى معرفتى بك دليل عليك، وحبى لك وسيلتى إليك، إلهى عرف المحبون كمال ربوبيتك، والمذنبون صنيعك وكمال قدرتك فاستسلموا وانقادوا لك، إلهى اجعلنى ممن لا يتخذ دونك خليلا، ولا يلتمس إلى سواك سبيلا، ولا يرجو من غيرك فتيلا، إلهى لا تجعلنى ممن صرفت عنه وجهك وحجبت عنه عفوك وأغلقت عليه بابك وقطعت عنه أسباب عصمتك ووكلته إلى نفسه، إنك على كل شىء قدير.

أى بنى، أعلم أن لله تعالى عبادًا قد مُلئت قلوبهم بمحبة ربهم، ينتظرون

الموت اشتياقًا إلى حبيبهم، ويكرهون طول المكث فى هذه الدنيا، لا راحة لهم دون الخروج منها، وهم مغمومون بطول البقاء فيها، وشوقهم إلى الخروج أشد من شوق العطشان إلى الماء الزلال، فإذا قرب أجلهم أتاهم ملك الموت مع سبعين ألف ملك من الله بالتحية والسلام، كما قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلامٌ عَلَيْكُمُ﴾ الآية، وكذلك يجىء الملك للمؤمن على أطيب ريح وأحسن صورة فيقول المؤمن له: مرحبا، لأى أمر جئت؟ فيقول له: لقبض روحك، على أى حال تحب أن أقبض روحك؟ فيقول: إذا كنت فى السجود، فيفعل ذلك ملك الموت، فيأتيه حافظاه ويقول أحدهما لصاحبه: كان لنا صاحبًا وأخًا خان له الفراق، فيقولان له: جزاك الله خيرًا وغفر لك، فنعم الأخ كنت، لقد كنت أيسر مؤمن، ونعم ما قدمت لنفسك ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾ بالروح والراحة، وتقول روحه لجسده: جزاك الله عنى خيرًا، كنت تحب الخير وأهله، وتبغض الشر وأهله، أستودعتك الله.

مر بجنازة على أمير المؤمنين على، كرم الله وجهه ورضى عنه، فقال: مستريح أو مستراح منه فقيل له من المستريح؟ قال: المؤمن، إذا مات استراح من نصب الدنيا وإيذاء أهلها، فلقى رحمة الله عليه، والمُستراح منه: الفاجر، إذا مات استراح منه العباد والبلاد.

وقال ابن بكار: صلينا الغداة يومًا بالمصيصة، فلما سلم الإمام قام رجل وقال: يا أيها الناس، إنى رجل من أهل الجنة، وإنى أموت اليوم، فمن كانت له حاجة فليأت، فلما صلينا العصر مات الرجل فى سجوده.

وحكى أن الحارث بن عمرو الطائى مرض بأرمينية، فيوما من الأيام

استقبل القبلة وصلى ركعتين ثم قال فى آخر سجوده: اللهم إنى أسألك باسمك الذى هو قوام الدين، وبه ترزق العالمين وبه تحيى العظام وهى رميم، إن كان لى خير عندك فعجِّل قبضى، ثم سكت، فحركوه فإذا هو ميت.

وقال مالك بن دينار رضي الله عنه كان لى رفيق، وكان والله من العارفين، فمرض فحضرته لأعوده، فإذا هو رافع بطرفه نحو السماء وقال: اللهم إن كنت تعلم أنى أحبك فبارك لى فى لقائك، فلم يتم كلامه حتى مات.

وحكى أن رجلاً رأى مالك بن دينار رضي الله عنه كأنه فى قصر معلق فى الهواء، بحيث لم يصف الواصفون حسنه، فقال: ما فعل الله بك يا مالك؟ فقال: أنزلنى ربى فى هذا القصر كما ترى، وأباح لى أن أنظر إليه كلما اشتقت إلى رؤيته بلا كيف ولا شبه، والحمد لله رب العالمين.

ولما حضرت الوفاة سيدى الشيخ منصور رضي الله عنه بكينا حوله فأفاق من غشيته وقال:

موت المحب حيا لا انقطاع لها
قد مات قوم وهم فى الناس أحياء

ثم قال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله، صلى الله عليه وسلم وقضى نحبه، رضى الله عنه وعن عباد الله الصالحين أجمعين.

وقال رضي الله عنه: الحمد لله والصلاة والسلام الأتمان الأكملان، على سيد خلق الله محمد رسول الله وعلى الآل والأصحاب والأتباع والأحباب أجمعين، أما بعد، فإن أشرف ما تنعطف إليه الهمم قرب القلب من الله تعالى، وذلك دوام الذكر وهو المعبر عنه بالحضور، وهذا سلم الولاية،

والولاية أجل المعاريج وأعظم المقامات بعد النبوة، إذ لا سبيل للأولياء والصديقين على مراتب الأنبياء والمرسلين، لأنها لا تحصل بالعمل قطعًا ومنزلة الولاية منزلة الوهب وتحصل بالعمل قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ والنبى الأعظم ﷺ قال: «من عمل بما يعلم ورثه الله علم ما لم يعلم» ولا يصل العبد إلى مقام الولاية الكاملة إلا إذا كمل عقله وعلت همته وصح صدقه وتم اتباعه فى الأقوال والأفعال للنبى ﷺ، لأن مرتبة الولاية ينوب صاحبها عن النبى فى الأمة، ولا يعد الرجل عند أهل الكمال كاملا إلا إذا بلغ عقله الإحاطة بجميع شبه الزنادقة والملحدين، مع فهم سوابحها وغاية خبطها وتمكن إيمانه من إهمالها ومحوها، وقدر على دفعها بسلطان الحجة الشرعية وبرهان الحكمة المحمدية، ولا يكمل حتى يبلغ عقله الإحاطة بشؤنات اللصوص والسكارى والظلمة وقطاع الطريق وأهل الغدر والخدعة والدهاء والحيلة، ومصادر همتهم ومنتهاها فى مفازات أطوارهم من كل شكل ونوع من التيقظ والمحاسبة للنفس مع كل نفس، فلا يندلس فيها وصف من تلك الأوصاف الذميمة، وتكون له القدرة على تطهير تلك النفوس الأمارة المشوبة بهاتيك المصائب القاطعة لينوب عن نبيه فى مقام الإرشاد المحض، فإنه ﷺ ما ترك خصلة ذميمة إلا وحذر الأمة منها، ولا ترك خصلة كريمة إلا وأمر الأمة باقتنائها، ولا يكمل الرجل حتى يبلغ عقله الإحاطة بحكم المعائب كلها لينبه عنه وبالمحاسن كلها ليقرب منها بالحكمة السليمة والموعظة الحسنة، عملا بقول الله تعالى لسيد خلقه عليه صلاة الله وسلامه ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ ولا يكمل حتى يبلغ عقله الإحاطة بمذاهب أهل الدنيا دهاقنتهم وحكامهم

وتجارهم والطبقة السفلى منهم مع الزهد فيهم وفى دنياهم، فلو صيرت له الدنيا بيضة وجعلت ملكا له ثم سقطت منه فانكسرت وذهبت وكأنها لم تكن لا يعبأ بها، ولا يجزع لها استغناء بالله وإيمانًا به، ويكون له الباع الرحب بالتخلص من ربقة الدنيا وأهلها والحكمة الخالصة بتقريب المبعودين ورد الشاردين وإيقاظ الغافلين، ولا يكمل حتى يبلغ عقله الإحاطة بالعوارض التى ترد على الناس على اختلاف طبقاتهم فيكون بما يحدثه الغنا من الطغيان والتعزز أدرى من أغنى الناس، وبما يحدثه الفقر من الذل والمسكنة أدرى من أفقر الناس، وبما يحدثه المرض من ضيق الصدر وطالعة العجز أدرى من أكثر الناس مرضًا، وبما تحدثه العافية من العجب ودعوى القدرة أدرى من أزيد الناس عافية، وبكل عارض ونتيجته أدرى من خاصة أهله، هذا مع التجرد من عوارض الأكوان والأزمان لله تعالى على الطريقة المحمدية الشرعية، فلا ينقض للشرع عهدًا ولا يتجاوز له حدًا، ويكون له الهمة الصالحة واللسان المؤيد، فيجمع صنوف هذا الطبقات المذكورة على طريق الله، ويدل الجميع بحكمته على الله، ولا يكمل حتى يبلغ عقله الإحاطة بمقادير الأشياء جزئيها وكليها من طريق الإجمال، فيعرف قدر الشىء عند راغبيه وطالبيه كمعرفته بقدره عند الراغبين عنه والزاهدين به، لينظم حكم الإرشاد بالموافقة مع حكمة الأمزجة، وعليه فى كل ذلك أن لا ينحرف عن منهج الشرع ذرة لا فى أقواله ولا فى أفعاله، فإذا استجمع الرجل هذه الأوصاف صار معدودًا عندنا من أهل الكمال، وإلا فهو ناقص وله من مائدة الولاية بقدر إحاطة عقله وبلوغ همته وتمكن قدمه من هذه الخصال المحمدية الشريفة، وهذه الخصال جمع شتاتها سيد المخلوقين، أرواحنا

لجنابه العظيم الفداء بقوله: «بعثت بالمداراة» وأمرنا بمثلها فقال ﷺ: «كلموا الناس على قدر عقولهم» وهذه الحكمة التى وعد الله عباده معها الخير فقال تعالت قدرته: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ وصاحب هذه المرتبة الرفيعة كالغيث أين وقع نفع، وتفاوت مراتب الواصلين والعارفين يدرك بهذا الميزان، وفى كل الأمور الأمر لله، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وقال ﷺ: جمع كل أحكام الفناء فى النبى ﷺ بقوله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ أين يرى اللبيب وقتًا يتكلم به أو ينظر إلى شىء أو يشتغل بشىء وحجة الشرع قائمة عليه، وهو من شهداء الله على الأمم، والشهيد عليه السيد العظيم، عليه صلوات الله وسلامه وتحياته، والمقام خطير والحضرة منيعة رفيعة والناقد بصير، وينشد:

أحـيـيب قلبى والمـحـبـة حـجـة
تقـضى بأنك سـيـدى وحـبـيـبى
أنت الرقـيـب علىَّ من ديـن الهـوى
أين انفـلاتى والحـبـيب رقـيـبى

معرفة النبى ﷺ باب معرفة الله، فمتى عرف العبد حقيقة نبيه عرف ربه ومعرفة حقيقته العظيمة لها طريقان: طريق لفظى، وهو المنقول المحفوظ من سيرته وخصاله وأحكام شريعته وجليل شأنه، وطريق معنوى، وهو سر كشفى ينتجه العمل بأعماله والقول بأقواله والأخذ الأكمل فى الحركات والسكنات بسنته، عليه من الله أشرف الصلاة وأكرم السلام، والوقوف على حقيقة نوره والاطلاع على المقام الجامع بين بطنه وظهوره

هو عندى العلم المورث اللدنى الذى انطوت به جميع العلوم وحارت بدركه الفهوم، وهو المقصود من قوله ﷺ : «من عمل بما يعلم ورثه الله تعالى ما لم يعلم».

ويه على المحجوبين الذين وقفوا مع الظاهر وما أدركوا سرائر الخمايا المطوية فى المظاهر، يقول: «كنت نبيا وآدم بين الماء والطين» درك هذه الكينونة وفهم مزية النبوة والاطلاع على نسخ الصورة الآدمية قائم بحقيقته ومعرب عن سر جامع، وإلا فهو لا ينطق عن الهوى.

تلك إشارات خاصة قامت مع البلاغ العام، أين أهل الصوامع؟ أين أهل البيع؟ أين سكان القفار؟ انقطعت حجتهم وانفصمت مهجتهم.

هذه نكات محمدية فى سرادق ألفاظ ملكية تجمعها حروف صيغت بمعانٍ قامت بإيجازها بلاغة سيد أهل البيان، برهان العقلاء سلطان الأنبياء الذى أوتى جوامع الكلم واستودع سلك الإرشاد عقود هذا النظام المنتظم، فالفناء فيه بقاء بالله، وهو سلم الدنو الرفيع الناهض بالضعفاء والأقوياء إلى الحضرة القدوسية، وهناك لا بد منه ولا غنى عنه ومن حدثته نفسه بالتخلى عن حمايته والتجرد عن وقايته، فقد باء بالخسران المبين، كيف لا وقد قال له ربه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ وكل ما نوه به الصالحون من التخلى والتجرد فهو فيما يئول إلى حكم تقديم العبودية المحضة لله لا فيما يئول للتوسط والتوسل، قال تعالى ﴿وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ﴾ وقال: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ وهذا السيد العظيم وسيلة الوسائل، آمنا بالله وبرسوله ﷺ وكفى بالله وليًا.

«طلب الإمام المستنجد بالله العباسى، طيب الله مرقده النصيحة من الإمام السيد أحمد الرفاعى ﷺ، فأنفذ له بذلك كتابًا مع حاجبه ابن عماد، ذكره الكثير من الثقات فى كتبهم فأجابه الإمام الرفاعى بما نصه:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله والصلاة والسلام على سيد خلقه محمد عبده وحبيبه ومصطفاه.

أما بعد.. من الفقير إلى الله أحمد بن على أبى الحسن ـ كان الله له ـ إلى الإمام الخليفة المطاع أمير المؤمنين، أبى أحمد المستنجد بالله العباسى الهاشمى، أيده الله بما أيد به عباده الصالحين آمين.

وصلنا كتابك الآمر بالنصيحة، والحديث الشريف: «الدين النصيحة.. الدين النصيحة.. الدين النصيحة» ولولا هذا الحديث لما تصدرت لنصحك، لأن نصيحة مثلك ـ بارك الله بك ـ لها شرطان: الإخلاص من الناصح، والقبول، بشرط العمل بالنصيحة من أخيه، أيدك الله بتوفيقه.

يا أمير المؤمنين، إن أنت أنفذت أحكام كتاب الله تعالى وتقدس فى نفسك نفذت أحكام كتبك فى ملكه، وإن عظمت أمر الله تعالى باتباع رسوله ﷺ واحتفلت بشأنه الكريم عظم الناس أعمالك وولاة الأمور من قبلك، ولا تنظر يا أمير المؤمنين لما عليه القياصرة وملوك المجوس من القوة فى ملكهم مع انسلاخهم وبعدهم عن كل ما ذكرته لك، فإنهم جهلوا الحق فأبعدهم عنه، وقربهم من الدنيا وقربها منهم، وولاهم أمر من شاء من خلقه، فإن ساسوهم بما تسكن إليه أفئدتهم وتطمئن له طباعهم دام أمرهم فى حجاب دنياهم إلى أن تنقطع حبال آجالهم، وإن لم يسوسوهم بالرفق

والمداراة وأوقعوا فيهم ما يثقل عليهم سلطهم عليه فسلب دنيا قوم بقوم، والنار مأوى الكافرين.

وأما أنت يا أمير المؤمنين فحافظ ثغور وحارس دماء وأموال هزت بكل مفازتها سيوف الإسلام، لا علما بقدومك بعد حين، ولا تمهيداً لك لتفعل برأيك إنما فكان ذلك لله ولرسوله، فافزع فى كل أمورك إلى الله، وعظّم فى ثكل شؤنك أمر رسول الله، وأنت حينئذ فى أمان الله وظل نبيه نافذ الأمر ثابت السلطان مؤيدٌ بجند الله وكلماته، ولا تبديل لكلمات الله.

ثم زن يا أمير المؤمنين كل ما يصل إلى خويصة نفسك فى هذه الدار من طعام تأكله وشراب تشربه ورداء ترتديه وظل تستظله، واجعل الشره على الدنيا بقدر ذلك، وإياك وظلم العباد، وإذا استفزك الشيطان ورام نزغك إلى الظلم فسل نفسك أن لو كنت مسجونًا أو مظلومًا أو مقهورًا أو مكذوبًا عليك ما الذى تريده لنفسك من سلطانك؟ وعامل الناس بما تريده لنفسك، فإنك إن فعلت ذلك وفيت العدل والآدمية حقهم.

واعلم أن ما أنت فيه من الملك والدولة شىء يسير من ملك الله، وأنت جزء صغير منه فإن رأيت لك شيئًا ونسيته وقمت تفعل فعل من يزعم مشاركته فى ملكه فأهملت حقه وغدرت خلقه يصرف عنك عونه ونصره، ولك فيمن باد عبرة.

ولا تنظر يا أمير المؤمنين إلى من صرفهم عن مشغلة الدنيا من أحبابه المقربين إليه، كبعض الصحابة الذين نازعهم الناس وانتزعوا أزِمَّةَ الدنيا من أيديهم، لأن أولئك قوم اجتذبهم إليه وولى على الناس من يشاكلهم فى أعمالهم، وكلٌ عن عمله مسئول ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾.

يا أمير المؤمنين ظلك ما أظلك، ورداؤك ما سترك، وطعامك ما أشبعك، ومالك ما لك منه شيء، وليس لك من الأمر شيء، إن ربى على ما يشاء قدير.

نعم، أنت خاتم من خواتم القدر يطبع على ألواح الصور فيرفع الله به ويضع ويصل به ويقطع، فإن أنت لزمت الأدب مع الفعَّال المطلق برعاية حق شرعه الذى شرع لعبده أثابك وأدار محور الوهب بك وبأهلك بعدك، وإن أهملت أمره وهتكت ستر خلقه دخلت فى أعداد الظالمين ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾.

يا أمير المؤمنين، أهل الفهم السليم والذوق الصالح تجتمع همتهم على الحق، ويترعرعون فى بحبوحة العدل والإحسان، فكبيرهم وصغيرهم أميرهم ومأمورهم حرهم، وعبدهم فى الدين سواء، ولكلٍّ منهم مقام معلوم، لا تشب فيهم نار الشقاق، ولا يتحكم فيهم سلطان سوء الأخلاق، يحكمون بما أنزل الله، ولا يزالون فى أمان الله، ولو احتالوا فى الحكم فجعلوا له وجهًا فى الظاهر وأبطنوا الباطل يقول لهم الحكم العدل: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ فإذا أظهروا الباطل وهيئوا له سبيلاً شرعيا أدخلته غلبيتهم وشوكتهم فى الحكم، قال الحق تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ فإذا ظهر الباطل وانتحلوا له سبيلا من الرأى استصغارًا لحكمة الشرع وتعززًا بالأمر فحكموا به قال لهم المنتقم الجبار: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾.

يا أمير المؤمنين، أروقة الأعمال لا تعمر بأيدى الخيال، ولا يصان حى إلا بمادة جامعة تلصق القلوب ببعضها وتدفع النزاع والتفرقة، وما هى والله

إلا الشرع العادل والسنة المحمدية الصالحة، وكل ذلك أمر الله الذى طبع الطباع وعلم ما تطيب له، وبه يرتاح الضعيف لطلب حقه من خصمه القوى، وأنت تدرى يا أمير المؤمنين أن ابن عمك إمام المسلمين عليا، أمير المؤمنين كرم الله وجهه ورضى الله تعالى عنه حدث عن البن عمه سيد المخلوقين أنه قال: «لن تُقَدَّسَ أمة لا يؤخذ للضعيف فيها حقه من القوى غير متعتع» والأمر والله كذلك.

وعلمت يا أمير المؤمنين من سيرة عمر بن الخطاب الفاروق الجليل ﵁ أنه لم يرهب فارس والروم والمغرب والصين والهند والبربر بفرش الديباج وبسط الحرير وكئوس الجوهر والخيول المسومة والبيوت الشاهقة والأقواس المذهبة، إنما أرهبهم بالعدل المحض، وأفحم شوس رجالهم بالحكمة البالغة، ألا وهى شريعة نبيك سيد الحكماء وبرهان العقلاء وإمام الأنبياء محمد ﷺ.

ولتعلم - أمطر الله على قلبك سحاب الإلهام المبارك والتوفيق، وأحكم أمرك بالأعوان الصالحين، أهل الحكمة والنجدة، أن الحق كمين تحت ضلوع الخاصة والعام، المحق والمبطل، فربما أعانك عبدك على باطلك بيده ولسانه، انقياداً لوقتك، وأنكره عليك بسره، وأضمر قلبه لك بعدها السوء فلا يزكى ذكرك لديه، ولو جعلته حرّاً ثم أكبرته ثم استوزرته، بل ولو كان أشد منك باطلا، وهذا سر الله المضمر فى الحق.

واعلم أى سيدى أن جيش الملوك العدل وحراسهم أعمالهم ودفاتر أحوالهم عمالهم، وأصحابهم وهذه الدفاتر فى أيدى العامة، فأصلح دفتر أحوالك وأحكم حراستك وأيد جيشك، وعليك بأهل العقل والدين، وإياك

وأرباب القسوة والغدر والضلالة، فهم اعداؤك وصن أمرك من أن تلعب به النساء والأحداث والذين لا نخوة لهم، فإنهم من دواعي الخراب والاضمحلال، وإذا أحببت فحكم الإنصاف في عملك حتى لا تقدم غير محق أو ترفع بغير الحق، وإذا كرهت فاذكر الله ونزه طبعك من خور الغدر، فإن مكانك مكان الأمن يدور صاحبه مع الحق لا مع الغرض، وإذا غضبت فاجنح للعفو، فإن أخطأت فيه خير من أن تخطئ في العقوبة، واجعل بذلك ونوالك لأهل الدين والحكمة والغيرة للإسلام، واختر منهم أشرفهم طبعًا وأكبرهم عقلاً وأوجزهم رأيا ونطقا وأثبتهم حجة وأعلمهم بالله ورسوله، وساو الناس برا وفاجرا، مؤمنا وكافرا، في باب عدل؛ واحفظ حرمة الدين وأهله واعمل عملا تحسن به عاقبتك إذا لقيت ربك.

والله ولي التوفيق، إنا لله وإنا إليه راجعون.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وقال رضى الله عنه وعنا به، حالة كونه فى رواقه الشريف بأم عبيدة سنة سبع وسبعين وخمسمائة ظهر يوم خميس من أيام رجب:

الحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، أيها الإخوان، نقطة المعانى لها ذوائب أسرار، كلما أمعن اللبيب النظر فيها انكشف له حقائق لم تكن بباله، نعم يسيح الخيال الفاسد إلى استقطاف نتائج غير الحقيقة والخيال الصحيح، أعنى الذى نهضت له فكرة الحكيم العاقل لا ينصرف لما يرده العقل السليم، وهذه المكونات الأرضية لها صانع أحكمها ورفع ذروة معراجها وأقام لها منبراً سماويا جعله سلم الوصلة والقربى بين مكوناته ومصنوعاته العلوية والسفلية لإبراز حكمة الصنع، ولتقر دهشة التعظيم للصانع فى قلب المصنوع.

فأهل الأرض يطلبون غرائب القدرة فى السماء، وأهل السماء يطلبون غرائب القدرة فى الأرض، وهمم الأرضيين إذا طلبت الحاجات انصرفت للعرش، فهو قبلة الطلب، وهمم السماويين إذا ضرعت انصرفت للكعبة، فهى قبلة طلبهم.

وهنا سر غريب: العرش قبلة الضراعة للأرضيين، والكعبة قبلة العبادة، والكعبة قبلة الضراعة للسماويين، والعرش قبلة العبودية، والفريقان فى بحبوحة العجز عن معرفته، يقول سيدهم: سبحانك ما عرفناك حق معرفتك، فالمقربون من أهل السماء الذين انكشفت لهم غرائب القدرة المطوية فى عالم الأرض، كما أن المقربين من أهل الأرض هم الذين انكشفت لهم غرائب القدرة المطوية فى عالم السماء، أى حيرة أى طمس أى

حرف لا يقرأ أى معنًى لا يدرى؟ آه آه ثم آه وراء هذه المطارق، حقائق وراء تلك الحقائق، دقائق الحقيقة جاهلة بنفسها حائرة فيه كجهلنا بأنفسنا، وحيرتنا به حكم فعدل، والمحجوب لا يدرى سر الحكم وما فيه من الحكمة، ولو حكم المحجوب فحكم بما استحسنه لندمته النتيجة التسليم سلامة الموقنين والتوكل سلم أهل اليقين وغلغلة الأكوان فيها من طمسها وانكشافه أنواع أسرار كلها حكمة بالغة، لوث فهم المرء سر نوع منها صار من العارفين، ما أثقل حملة الرسالة، ما أكبر مقامها، ما أوسع حضرتها، ما أشرف منزلة وراثها أئمة الهدى العلماء، ورثة الأنبياء العلماء بالله الذين علمهم أمره وكشف لهم سره وأظهر لهم ما طوى فى مصنوعاته من عجائب القدرة، وحققهم بمقام العلم وأفرغ عليهم سجال الفهم فعلمهم وفهمهم ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾.

أيها المبعود عن ربك المعجب بنفسك، تزعم أنك على كل شىء قدير، كلنا جائع إلا من أطعمه، كلنا عار إلا من كساه، كلنا خائف إلا من أمنه، كلنا ذليل إلا من أعزه، كلنا معدوم إلا من أوجده، تقول: لو أردت لفعلت كذا، أين أنت من أن تريد، من يملك السمع والأبصار؟ من يدبر الأمر؟ من يصرفك للإرادة؟ من يمنعك؟ من يعطيك؟ هو لا غيره، قف عند حدك، تقول: فليوقفنى، أوقفك بصنعك، قيدك، بطبعك أنت أعجز من أن تحمل قيدك وبعد ذلك تنقض عهدك، ما أجرأك ما أوقحك، يجيعك بحكمته فتحاول أن تشبع بقوتك، يشبعك بفضله فتزعم أنك شبعت بحولك، أنت فى القولين كاذب، يريضك بالأمن فتغفل ويمسك بالخوف فتذهل ألا إن الخوف سوط الله، يقوم به نفسًا تعودت سوء الأدب، يا من يتحكم وهو

محكوم، ويتقادم وهو معدوم، كلك خيال وحالك ظلال وشأنك زوال وزعمك محال.

أيها الغافل عن ربك أى حال؟ تختار كل ما أنت تحاوله من الخيرة سقم، لو بدلك حالا لازورت عينك لحال آخر، يشتيك فتطاول أن تصيف، ما أعداك على مال غيرك، ما أجلهك بقدرك وقدرتك، التوحيد وجدان سر عظيم فى القلب يمنع خوض فكرك عن التعطيل والتشبيه، وإذا وحدت أسقطت إرادتك لإرادته، بعت نفسك به، أنت ملكه أنت مطموس عنك أنت غير ما تزعم، زعمت القدرة وأنت عاجز، وزعمت العلم وأنت جاهل، وزعمت الغنى وأنت فقير، وزعمت العز وأنت ذليل، وزعمت العلو وأنت سافل، أين أنت منك إذا انتحيت بيت الخلاء؟ أين أنت منك إذا نمت؟ أين أنت منك إذا كنت فى البحر؟ أين أنت منك فى كل موطن من مواطن انقطاع حيلتك؟ هناك هات ما عندك من زعمك، تطير مراقبتك فى ذيل الأمل إلى من هو فوقك فى أمر الدنيا ولا تطير عبرتك إلى من هو فوقك فى أمر الآخرة، تلهث للأمل ما دام نفسك يصعد وينزل وهو كما شاء قسم وعلى ما شاء حكم.

يا تاجر الخيال، يا أسير الآمال، قال ربك: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ﴾ إذا حاجك العارف تندفع لضرب الأمثال فتقول: قاتل النبى ﷺ أقوامًا وقتل أقوامًا، وفعل المرسلون كذا، وفعل الصحابة والآل كذا، كل ذلك صحيح، ولكن لا هم مثلك ولا قصدهم مثل قصدك، النية بالقصد، قاتلوا لله وقتلوا لله ونصروا الله وأسقطوا أنفسهم من البين يقتلون لله ويود أحدهم لو أن مقتوله فى الله نصيره، يؤيد ذلك قول ربك لنبيك ووليك سيد

المخلوقين: ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَٰذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾.

يا سكان العراق، هذه الغفلة عمت بالله عليكم، انتبهوا يا عامة يا خاصة، قولوا لبعضكم، نبهوا بعضكم، يا ساداتى كفى هذا الترف، هذا السرف هذا النعيم هذا الدلال، هذا النوم، واويلاه وراء هذا الحجاب المسدول خيل القضاء تجول، كأنى بأطاليس الدماء وقد انتشرت، وعيون البلاء وقد انفجرت، وزمزمة الدمدمة الساكنة وقد ضجت، وزلزلت أطباق الأرض الثابتة وقد رجت، وبالحديد على الحديد والبعيد القريب والقريب البعيد والأعلاج على قوارع الطرقات تتقارع سنابك خيولهم فتشق القيعان، سبحان من إذا ساق جيش القدر أعانه بالقدرة وطوى فيه المهابة، فكل من رآه هابه.

يا ساداتى تملموا على التراب، تجردوا عن الثياب، بيعوا الأرواح بالباب، ردوا صواعق البلاء الوارد بالذيل والانكسار لله، وهو أرحم الراحمين، آه لولا قفل الشرع، آه لولا طابع الأدب لتكلم لسان العلم بما فى صحف الإرادة، ولله الأمر من قبل ومن بعد جزاء وفاقًا لا يظلم ربك أحدًا.

قف يا عالم وخذ من مائدة هذا المجلس لقمة أحسن مضغها لتعرف حلاوة البراهين الربانية، افرش جبينك على صعيد الأدب لتفهم ما فى خزانة الأزل: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ إذا كثرت الدعاوى واختلطت الأسباب وعظمت المقاصد وصغرت الهمم ونام الحكماء وخطب الأمة اللكناء وصمت الآذان وتكلم كلٌّ بما يريد، وتوارت الحقائق وانجلت الزخارف، وسقطت الحدود وتجرأ اللئام على الكرام، وسبق الركب الهزيل ودرت

عوارض الخوف والأمن، واختلفت مصادر الأمرين ومواردهما وذبذبت الذبذبة فى الشئون، هناك تبرز الدواهى وتنقطع دونها الحيل فيخبط القوم فيها خبط عشواء فى فاعمة ظلماء، وهى على سدوتها تنسج بخيوطها ويدا حانكها تلعبان حتى تشق الشقة، هاتوا عبرتكم يا فقراء يا شيوخ يا فقهاء يا علماء يا عقلاء يا حكماء، أنتم قادة الأمة، أنتم هداتها، إذا فاتكم الاعتبار بالأحرى أن ينسلخ من أهل الترف والسرف والجهل التاجر إذا لم يعرف حسابه يخرب تجارته، حاسبوا أنفسكم ،من لم يحاسب نفسه على كل نَفَسٍ ويتهمها لم يحسب فى أعداد الرجال، إذا فسد العلماء فسد الناس.

يا معشر القراء يا ملح البلد
ما يصلح الملح إذا الملح فسد

ربوا الناس بأحوالكم وأقوالكم، لا يستقيم الظل والعود أعوج.

قلت لسيدى الشيخ منصور ﷺ: عظنى فى أمر التوكل، قال: عزمت على شراء بستان وقد تبت عنه الساعة، والآن أقول لك: التوكل ثقتك بربك عن غيره، يا صوفى ما تاب الشيخ ﷺ عن شراء البستان ولكن تاب عن العزيمة التى خالطها الركون لناتج البستان، ما أدق هذا النظر إذا كنت كاذب العزيمة فاتر العزم ذا شقشقة ودعوى باطلة يشتت عليك أمرك، إياك إياك أن تكذب فيما يئول إلى طريق ربك، تقول: صمت كذا سنة، وصليت كذا سنة، وتصدقت بكذا درهما، وفعلت كذا من الخير، وخدمت كذا الشيوخ، ولو كنت كذا فاعلا أو عكس هذا صانعًا لكان أقرب إلى حصول الغرض من هذا، وها أنا الآن لا على شىء، أى مبارك ما صدقت إلا بقولك ها أنا الآن لا على شىء، كيت تكون نتيجة من هذه النية مقدمته، صمت وصليت

وتصدقت، وله عليك الفضل والمنة إذ وقفك لعمل يرضيه ولم يبتلك بمعاصيه، قال تعالى: ﴿قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ﴾ تقول: لو كنت فاعلا عكس هذا لكان أقرب إلى حصول الغرض، بئس ما زعمت، ما ذاك إلا من نزغ الشيطان يستخف بك، يهزأ بعقلك، لا تنال الأغراض إلا بإرادته سبحانه، ووسائلها تقوم بتسخيره وتبرز بتيسيره: «اعملوا فكلٌّ ميسر لما خلق له» فإن أنا لك غرضًا من أغراضك بوسيلة مردودة لديه فقد دل ذلك على سوء حالك، وإن أنالك غرضك بوسيلة مرضية عنده فقد دل ذلك على حسن عاقبتك، ثم على باب القدر، فهرولتك وراء غرضك جهل الأدب، الأدب يفعل الله ما يشاء.

تقول: إذًا ما أنا فاعل من الخير والشر لست عليه بمجزى، كلا، وهبك إرادتك الجزئية حالة تكوينك وصرفك فى أفعالك الاختيارية وأجرى فيك بقدرته الأفعال الاضطرارية، فأنت عن اختيارك مسئول، وعلى أعمالك الصادرة عنه مجازى، لازم أهل العلم به العارفين الذين اختارهم له، أصحاب القلوب أصحاب الحضور أصحاب الصدق أتباع النبى الأمين خدام ظاهر شريعته علماء باطن حكمته أعيان الحضرات، لا تجهل منازلهم وتبخسهم حقوقهم لما يظهر لك بمقتضى نظرك القاصر عن الحقيقة، إنهم فى وهدة العجز لا نفع بهم، أنت بهذا فى سفينة خطئك السابحة فى بحر عيبك، هم معك فى العجز لكن وهبهم قدرة منه معك فى الجهل لكن أعلمهم أعطاهم أرضاهم، أنا منهم، قال ربى سبحانه: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ خذ من مجلسى حصة من الفضل الإلهى والمنح النبوى، كل من أظلته الخضراء وأقلته الغبراء اليوم محتاج لأخذ هذه الحصة من هذا

المجلس، سل أهل الذوق، سل أهل الشـوق، سل الأقطاب، سل الأفراد، سل الأوتاد، ختمت بى هذه النوبة الجامعة المـحمدية، كل ولى محمدى إذا مات تؤخذ سيفه ويعلق فى هذا الباب إلى ما شاء الله، إذا أردت سعادة القوم فـاتبع ولا تبـتدع ولا تفـارق سنة نبـيك ﷺ، هو السـر الأعظم هو الكنز المطلـسم، هو باب الله وإليه تنتهى الأبواب، ومن حدثته نفسه بتسلق المعالى من غير طريـقه فقد ضل وسلك سبـيل الهالكين، وهو صاحب اليـد والعهد والكلمة السارية إلى يوم الدين، ﷺ وعلى آله وأصحـابه الهداة المرضـيين أجمعين.

هذا ما من الله به اليوم من الفتح، والله ولى المتقين.

قال شيخنا الإمـام العلامة الجليل القطب الفرد السيد بهـاء الدين محمد مهدى الخزامى الصيادى الرفاعى الحسـينى المشتهر بالرواس رضي الله عنه فى كتابه: طى السجل ما نصه:

ولمـا كـان القـوم أهل الله رجـال الله رضي الله عنهم لهم ذوق كـامل من أسـرار المناجاة النبوية، وكان من أكمل القوم فى مقام الاتباع مرتبة وأقربهم للحضرة يدًا ولسـانًا شيخنا خاتمة الصديقـين علم أهل اليقين سلطان الأولياء والعارفين المشرف بـتقبيل يد جده الطـاهر الأمين سيدنا السـيد أحمد الكبيـر الرفاعى الحسـينى رضى الله عنه وعنا به، رأيت أن أتبرك بذكر حـزب المناجاة له فى هذا المقام، فإنه عزيز عند أهله.

وقـال رضي الله عنه: بسـم الله الرحـمن الـرحيم، اللهـم أنت الله الملك الحق الحى الذى لا إله إلا أنت، خلـقتنى وأنا عـبدك، عـملت سـوءًا وظلمت نفسى واعترفت بذنبى فاغفـر لى ذنوبى كلها، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت،

يا غفور يا شكور يا حليم، اللهم إنى أحمدك ـ وأنت للحمد أهل ـ على ما اختصصتنى به من مواهب الرغائب وأوصلت إلىّ من فضائل الصنائع وأوليتنى من إحسانك وبوأتنى من مظنة الصدق وأنلتنى به من مننك الواصلة إلىّ، وأحسنت إلى من اندفاع البلية عنى والتوفيق لى والإجابة لدعائى حين أناديك داعيا وأناجيك راغبا وأدعوك ضارعًا متضرعًا مصافيًا ، وحين أرجوك فأجدك فى المواطن كلها لى جارًا حاضرًا حفيا بارا، وفى الأمور ناصرًا وناظرًا وللخطايا والذنوب غافرًا وللعيوب ساترا، لم أعدم عونك وبرك وخيرك طرفة عين منذ انزلتنى دار الاختيار والفكر والاعتبار لتنظر ما أقدم لدار القرار فأنا عتيقك من جميع المضار والمضال والمصائب والمعائب واللوازب واللوازم والهموم قد ساورتنى فيها الغموم بمعاريض أصناف البلاء وضروب جهد القضاء، لا أذكر منك إلا الجميل، ولا أرى منك إلا التفضيل، خيرك لى شامل وصنعك إلى كامل ولطفك بى كافل ونعمك عندى متصلة وفضلك على متواتر، لم تخفر جوارى وصدقت رجائى وصاحبت أسفارى وأكرمت أحضارى وشفيت أمراضى وعافيت منقلبى ومثوائى ولم تشمت بى أعدائى، ورميت من رمانى بسوء وكفيتنى شر من عادانى، فحمدى لك واجب وثنائى لك متواتر دائم الدهر إلى الدهر بألوان التسبيح والتوحيد، وإخلاص التفريد وأمحاض التمجيد بطول التعبد والتعديد، لم تعن فى قدرتك ولم تشارك فى إلهيتك ولم تعلم لك مائية ولا ماهية فتكون للأشياء المختلفة مجانسا، ولم تعاين إذ خلقت الأشياء على العزائم المختلفات ولا خرقت الأوهام حجب الغيوب إليك فاعتقد منك محدودًا فى عظمتك ولا يبلغك بعد الهم ولا ينالك غوص الفطن ولا ينتهى

إليك نظر الناظرين فى مجد جبروتك، ارتفعت عن صفة المخلوقين صفات قدرتك وعلا عن ذكر الذاكرين كبرياء عظمتك، فلا تنتقص ما أردت أن يزداد ولا يزداد ما أردت أن ينتقص، ولا أحد شهدك حين فطرت الخلق، ولا ند حضرك حين برأت النفوس، كلت الألسن عن تفسير صفاتك وانحسرت العقول عن كنه معرفتك فكيف يوصف كنه صفتك يا إلهى وأنت الله الملك الجبار القدوس الذى لم تزل أزليا أبدا سرمديا دائما فى الغيوب وحدك لا شريك لك، ليسَ فيها أحد غيرك، ولم يكن إله سواك، حارت فى ملكوتك عميقات مذاهب التفكير، وتواضعت الملوك لهيبتك، وعنت الوجوه بذلة الاستكانة لعزتك، وانقاد كل شىء لعظمتك، واستسلم نقدرتك، وخضعت الرقاب، وكل دون ذلك تحير اللغات، وضل هنالك التدبير فى تصاريف الصفات، فمن تفكر فى ذلك رجع إليه طرفه حسيراً وعقله مبهوتًا وتفكره متحيراً، اللهم لك الحمد حمداً متواليًا متواتراً متسعًا متسقًا مستوثقًا يدوم ولا يليد غير مفقود فى الملكوت ولا مطموس فى العالم ولا منتقص فى العرفان فلك الحمد على مكارمك التى لا تحصى فى الليل إذا أدبر والصبح إذا أسفر، وفى البرارى والبحار والغدو والآصال والعشى والأبكار والظهيرة والأسحار، وفى كل جزء من أجزاء الليل والنهار.

اللهم بتوفيقك قد احتضنتنى النجاة وجعلتنى منك فى ولاية فلم أبرح فى سبوغ نعمك وتتابع آلائك محروسًا فى الرد والامتناع محفوظا بك فى المنعة والدفاع ولم تكلفنى فوق طاقتى، فإنك أنت الله الذى لا إله إلا أنت لم تغب ولم تغب عنك غائبة ولا تخفى خافية ولن تضل عنك فى ظلم الخفيات ضالة إنما أمرك إذا أردت شيئًا أن تقول له كن فيكون.

اللهم لك الحمد مثل ما حمدت به نفسك وحمدك به الحامدون ومجدك به الممجدون وكبرك به المكبرون وهلك به المهللون وعظمك به المعظمون، حتى يكون لك منى وحدى فى كل طرفة عين ـ وأقل من ذلك ـ مثل حمد الحامدين وتوحيد أصناف الموحدين والمخلصين وتقديس أجناس العارفين وثناء جميع المهللين والمصلين والمسبحين، ومثل ما أنت به عارف وهو محمود ومحبوب ومحجوب من جميع خلقك كلهم من الحيوانات، وأرغب إليك فى برك ما أنطقتنى به من حمدك، فما أيسر ما كلفتنى به من حقك وأعظم ما وعدتنى على شكرك، ابتدأتنى بالنعم فضلا وطولا وأمرتنى بالشكر حقا وعدلا ووعدتنى به عليه أضعافًا ومزيدًا وأعطيتنى من رزقك اختيارا ورضاء، وسألتنى منه شكرًا يسيرًا صغيرًا إذا نجيتنى وعافيتنى من جهد البلاء ولن نسلمنى لسوء قضائك وبلائك وجعلت ملبسى العافية وأوليتنى البسطة والرخاء وسوغت لى أيسر القصد وضاعفت لى أشرف الفضل فيما وعدتنى به من المحجة الشريفة وبشرتنى به من الرفعة واصطفيتنى بأعظم النبيين دعوة وأفضلهم شفاعة وأوضحهم حجة محمد ﷺ وعلى جميع الأنبياء والمرسلين، اللهم اغفر لى ما لا يسعه إلا مغفرتك ولا يمحقه إلا عفوك ولا يكفره إلا تجاوزك وفضلك، وهب لى فى يومى هذا يقينا صادقًا يهون علىَّ مصائب الدنيا وأحزانها ويشوقنى إليك ويرغبنى فيما عندك، واكتب لى المغفرة، وبلغنى الكرامة من عندك وأوزعنى شكر ما أنعمت علىَّ، فإنك أنت الله الواحد المبدى الرفيع البديع، السميع العليم، الذى ليس لأمرك مدفع ولا من فضلك ممتنع، وأشهد أنك ربى ورب كل شىء، فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة العلى الكبير المتعال.

اللهم إنى أسـألك الثبـات فى الأمر والعـزيمة على الرشـد والشكر على نعمك، وأعوذ بك من جور كل جائر وبـغى كل باغ وحسد كل حاسد ومكر كل مـاكر وشـماتة كل كـاشح، بك أصـول على الأعداء وإياك أرجـو ولاية الأحبـاء والقرباء، فلك الحـمد على ما لا أسـتطيع احصـاءه ولا تعديده من عوائد فـضلك وعوارف رزقك وألوان ما أوليتنى من أرفـادك، فإنك أنت الله الذى لا إله إلا أنت الفاشى فى الخلـق حمدك الباسط بالجـود يدك لا تضاد فى حكمك ولا تنازع فى سلطانك وملكك وأمرك، تمـلك من الأنام ما تشاء ولا يملكون إلا ما تريد.

اللهم أنت المنعم المـفضـل القادر القـاهر المقـتدر القـدوس، فى نور القدس تـرديت بالعز والعـلاء، وتأزرت بالعظمة والكبـرياء وتغشـيت بالنور والضـياء، وتجللت بالمـهابة والبـهاء، لك الـمَنُّ القديم والسلطان الشـامخ والملك الباذخ والجود الواسع والقدرة الكاملة، فلك الحـمد على ما جعلتنى من أمة محـمد ﷺ، وهو أفضل بنى آدم الذين كرمتهم وحـملتهم فى البر والبحر ورزقـتهم من الطيبات وفضلتـهم على كثير ممن خلقـتهم من أهلها، وخلقتنى سميعًـا بصيرًا صحيحًا سويًا سالمًا معـافًا، ولم تشغلنى بنقصان فى بدنى ولم تمنعنى كرامـتك إياى وحسن صنيعك عـندى وفضل منايحك لدى ونعمـائك علىَّ، أنت الذى أوسعت علىَّ فى الدنيـا وفضلتنى على كثـير من خلقك، فجـعلت لى سمعًا يسـمع آياتك وعقلاً يفهم إيمـانك، وبصرًا يرى قدرتك وفـؤادًا يعرف عظـمتك وقلبـا يعتقـد توحيـدك، فإنى لفـضلك علىَّ حامد، ولك نفـسى شاكـرة، وبحقك شاهدة، فإنك حى قبل كل حى، وحى بعد كل حى، وحى بعد كل ميت، وحى لم ترث الحياة من حى، ولم تقطع

خيرك عنى فى كل وقت ولم تنزل بى عقوبات النقم ولم تمنع عنى دقائق العصم ولم تغير علىَّ وثائق النعم، فلو لم أذكر من إحسانك إلا عفوك عنى والتوفيق لى والاستجابة لدعائى حين رفعت صوتى بتوحيدك وتمجيدك وتحميدك، وإلا فى تقدير خلقى حين صورتنى فأحسنت صورتى، وإلا فى قسمة الأرزاق حين قدرتها لكان فى ذلك ما يشغل فكرى عن جهدى، فكيف إذا تفكرت فى النعم العظام التى أتقلب فيها ولا أبلغ شكر شىء منها، فلك الحمد عدد ما حفظه علمك وعدد ما وسعته رحمتك وعدد ما أحاطت به قدرتك وأضعاف ما تستوجبه من خلقك.

اللهم فتمم إحسانك إلىَّ فيما بقى من عمرى كما أحسنت إلىَّ فيما مضى منه، اللهم إنى أسألك وأتوسل إليك بتوحيدك وتمجيدك وتهليلك وكبريائك وكمالك وتكبيرك وتعظيمك ونورك ورأفتك ورحمتك وعلوك ووقارك وبهائك وجمالك وجلالك وسلطانك وقدرتك وإحسانك وامتنانك ونبيك وعترته الطاهرين أن لا تحرمنى رفدك وفضلك وجمالك وفوائد كراماتك، فإنه لا يعتريك لكثرة ما نشرت من العطايا عوائق البخل ولا ينقص جودك التقصير فى شكر نعمتك، ولا ينفد خزائنك مواهبك المتبعة ولا يؤثر فى جودك العظيم منحك الفائقة الجميلة الجليلة ولا تخاف ضيم إملاق فتكدى، ولا يلحقك عدم فينقص من جودك فيض فضلك، اللهم ارزقنى قلبًا خاشعًا خاضعًا ضارعًا وبدنا صابرًا ويقينا صادقا ولسانا ذاكرًا وحامدًا ورزقًا واسعًا وعلما نافعًا وولدا صالحًا وسنا طويلا وعملاً صالحًا، وأسألك رزقًا حلالا، ولا تؤمنى مكرك ولا تنسنى ذكرك ولا تكشف عنى سترك ولا تقنطنى من رحمتك ولا تبعدنى من كنفك وجوارك، وأعذنى من سخطك وغضبك، ولا

تزينى من رحمتك وروحك، وكن لى أنيسا من كل روعة ووحشة، واعصمنى من كل هلكه ونجنى من كل بلية وآفة وغصة ومحنة وشدة فى الدارين، إنك لا تخلف الميعاد، اللهم ارفعنى ولا تضعنى، وادفع عنى ولا تدفعنى، وأعطنى ولا تحرمنى، وأكرمنى ولا تهنى وزدنى ولا تنقصنى وارحمنى ولا تعذبنى وانصرنى ولا تخذلنى وآثرنى ولا تؤثر علىَّ واحفظنى ولا تضيعنى، إنك على كل شىء قدير، وصلى الله على سيدنا محمد وصحبه وآله أجمعين، اللهم ما قدرت لى من أمر وشرعت فيه بتوفيقك وتيسيرك فتممه لى بأحسن الوجوه وأصلحها وأصوبها، فإنك على ما تشاء قدير وبالإجابة جدير، يا من قامت السموات والأرض بأمره، يا من يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه، يا من أمره إذا أراد شيئًا أن يقول له كن فيكون ﴿فَسُبْحَانَ الَّذِى بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.

ومن أدعيته الشريفة المجربة لكشف الكرب بإذن الله تعالى: «يا لطيف لطفك وأدركنا بلطفك، وهذا الوقت وقت لطفك يا لطيف».

وكان كثيراً ما يصلى على النبى ﷺ ويأمر بها إخوانه وأتباعه وأهله وأشياعه ويقول: بلغنى أنها تجيز صاحبها على الصراط بسرعة، وكلماته الشريفة لا تعد، وهى فى كتب السادة الأحمدية وغيرهم معروفة، وبجلالة الشأن موصوفة، ولذلك اكتفينا منها بهذا المقدار تبركا بآثار هذا الإمام الجليل الأطوار، الزكى النجار، عليه وعلى آبائه الأخيار تحيات الله وتسليماته إلى يوم القرار.

خاتمة شريفة

قد طاب للخاطر ذكر شيء يسير من ترجمة هذا الإمام الجليل والعلم الطويل الوارث لجده الأعظم صاحب جبريل، عليه أجل صلوات الخالق الجليل.

لا يخفى أن هذا الإمام الكبير والهزبر العلوى الخطير هو فى القوم الأعيان سيف المدد المشهور، علم الله المنشور، رئيس حضرتى الخفاء والظهور، المندوب فى مهمات الأمور المغيث بإذن الله لناديه فى البرارى والبحور، الغوث الأجل الأكبر والقمر الساطع الأنور، نائب السبطين، وارث جده أسد الله أبى الحسنين شيخ الطائفتين أستاذ الفريقين أبو العلمين قرة عين أبيه الإمام الحسين، مقبل يد سيد الكونين، ثالث عشر الأئمة فى الأمة، الإمام الذى تجلى ببركة همته المهمة سلطان الحضائر جحجاح الدوائر ملحق أصاغر الأبواب بأعاظم الأكابر، رب اليد السيالة والمفاخر المسلسلة، شيخ من لا شيخ له، محبوب رسول الله، سلطان أولياء الله، صباح العرفان الواضح المنير: محيى الدين، أبو العباس، شيخ العواجز، مولانا وسيدنا الشيخ أحمد الرفاعى الحسينى الكبير رضى الله عنه وعنا به، وجعلنا من خاصة أشياعه العاكفين على عتبة بابه، وحشرنا معه تحت لواء جده النبى الأعظم ﷺ.

فنسب هذا الإمام رضوان الله عليه من جهة أبيه: فهو كما تواتر وشاع وملأ الأقطار والبقاع أن تقول: هو سيدنا السيد أحمد ابن السيد السلطان على أبى الحسن دفين رأس القرية ببغداد، ابن السيد يحيى نقيب البصرة المهاجر من المغرب، ابن السيد ثابت، ابن السيد الحازم، وهو على أبو الفوارس ابن السيد أحمد ابن السيد على ابن السيد الحسن رفاعة الهاشمى المكى نزيل بادية أشبيلية بالمغرب، ابن السيد المهدى ابن السيد أبى القاسم محمد ابن السيد الحسن أبى موسى رئيس بغداد نزيل مكة، ابن السيد الحسين الرضى ابن السيد أحمد الأكبر الصالح، ابن السيد موسى الثانى، ويقال له: أبو سبحة وأبو يحيى، ابن السيد إبراهيم المرتضى، ابن الإمام موسى الكاظم، ابن الإمام جعفر الصادق، ابن الإمام محمد الباقر، ابن زين العابدين على الأصغر، ابن الإمام الحسين، الشهيد بكربلاء، ابن الإمام أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه وعنهم أجمعين.

وأمه: سيدة النساء فاطمة الزهراء، بنت سيد المرسلين حبيب رب العالمين محمد ﷺ.

ونسب سيدنا السيد أحمد الرفاعى، رضى الله عنه، المشار إليه لأمه: فهو كما صححه الثقات الأثبات ابن ولية الله الحسيبة الدعمرة الزاهدة العابدة الصالحة أم الفضل فاطمة الأنصارية، أخت الباز الأشهب والترياق المجرب الإمام العارف بالله صاحب وقته ذى الكاس النورانى والفتح الصمدانى شيخ الطوائف منصور الزاهد البطائحى البرانى لأبويه، وأبوهما العارف الكبير الشيخ يحيى النجارى ابن الشيخ موسى أبى سعيد ابن الشيخ

كامل ابن الشيخ يحيى ابن الإمام الصوفى الشهير محمد أبى بكر الواسطى، ابن موسى بن محمد بن منصور بن خالد بن زيد بن مت، وهو أيوب بن خالد أبى أيوب بن زيد الأنصارى النجارى الصحابى الجليل، رضى الله عنه وعن أصحاب رسول الله أجمعين.

ونسب أمه لأمها: هو أنها فاطمة بنت السيدة رابعة بنت السيد عبد الله الطاهر نقيب واسط ابن السيد أبى سام النقيب، ابن السيد أبى يعلى النقيب بن السيد أبى البركات حمد النقيب ابن السيد أبى الفتح محمد، أمير الحاج، ابن الأمير الجليل السيد محمد الأشتر ابن السيد عبيد الله الثالث ابن السيد على ابن السيد عبد الله الثانى ابن السيد على الصالح ابن السيد عبيد الله الأعرج ابن السيد الحسين الأصغر ابن الإمام زين العابدين على ابن الإمام الحسين، سبط النبى ﷺ.

ونسب جده لأبيه: السيد يحيى الرفاعى نقيب البصرة من جهة أمه، فهو: يحيى ابن آمنة بنت يحيى العقيلى ابن الناصر لدين الله على ملك الأندلس ابن أحمد بن ميمون بن أحمد بن على بن عبد الله بن عمر بن إدريس الأكبر الذى فتح الله الغرب على يديه ابن عبد الله المحض، ابن الحسن المثنى ابن السيد الإمام الحسن سبط النبى ﷺ.

ونسب جده لأمه: الشيخ يحيى النجارى الأنصارى ـ من جهة أمه أيضًا ـ فهو يحيى ابن علوية، ويقال عالية بنت الحسن اللاع بن محمد بن يحيى بن الحسين ملك اليمن ومكة ابن القاسم أبى محمد الرسى ابن إبراهيم طباطبا بن إسماعيل بن إبراهيم الغمر ابن الحسن المثنى ابن الإمام الحسن السبط رضى الله عنه وعنهم أجمعين.

وقد يتصل نسب السيد أحمد بالإمام أمير المؤمنين أبى بكر الصديق من جده الإمام جعفر الصادق، فإن أم الإمام جعفر أم فروة بنت القاسم بن محمد ابن سيدنا أبى بكر الصديق ﷺ، ووالدة أم فروة المذكورة أسماء بنت عبد الرحمن بن أبى بكر ﷺ، ولهذا كانت الإمام جعفر الصادق يقول: ولدنى الصديق مرتين.

هذه صورة رقعة نسب السيد أحمد الرفاعى المحفوظة المتواترة.

تحفة شريفة: قال سيدنا ومولانا الأستاذ الأعظم والقطب الغوث المكرم السيد بهاء الدين محمد مهدى آل خزام الصيادى الرفاعى الحسينى ﷺ، يمدح جده ملجأ الأقطاب وفرحة الأحباب، سيدنا الإمام الرفاعى ـ المشار إليه ـ رضوان الله تعالى عليه بهذه القصيدة الفريدة، وهى قلادة در تشير لجلالة قدر الحضرة الرفاعية السعيدة:

لك يا رفاعى الفخار الأشهر
والمجد والشرف الصميم الأطهر
قد نَسَّقَتْكَ من الفواطم نسبة
زهراء من شمس الظهيرة أظهر
وورثت أخلاق النبى وعلمه
والأمر باد شأنه لا ينكر
يا صاحب العلمين والمدد الذى
عنه الخوارق والعجائب تصدر
أعلاك جدك فى الأكابر رتبة
عنها برفعتها الكواكب تقصر

وحـبـاك منقـبـة بمـد يمـينه
في العـالمين إلى القـيامـة تذكر
ولأنت لـلمـدد المـؤمل مـورد
ولمـوجـة الحال المـؤيد مـصدر
غـوث أعـز الله طلـعـة وجـهـه
بجـلالـة تطوى الشـئـون وتـنشـر
يعلو إلـى قـمم المـفـاخر مـفـردًا
وعليـه للشـرف الطـراز الأخـضـر
ثبـتـت له في الأوليـاء مناقب
مـثل البـدور لدى المطالع تـزهر
قـد ذل لله الكـريم تبـتـلاً
والأسـد ترعـد في الفـلا إذ يذكـر
تلـقـاه وهـو على منصـة زهده
فـتـقـول ذو يزن لـديه العـسكر
ولخـشـيـة كـون السـوى لا يُـبْـصرُ
ولهـيـبـة في طوره لا يُـبـصـرُ
إن تنعت الأقطاب في حـفـل العـلا
قـالوا هو الغـوث الأجل الأكـبـر
في كل عـصـر مـن عـصـائب قـومـه
قـوم بمظهـرهم تبـاهى الأعـصـر
وله بـسـاحـة كـل أرض جـامع
وبكـل فج للمـفـاخـر منبـر

بحـــر من الحكم البـتـــوليات قــد
حلَّى رقـــاب القـــوم فــهى الجـــوهر
وغــضنفـــر وأبوه حـــيــدرة الوحـــا
مـــا كـــل مـبـــســوط الذراع غـضنـفـر
يدعى وتبـــرد حينمـا يحكـى اسـمــه
نار إلى الـجـو المـــقـــعـر تـسـعـــر
والسم يـقلب حـــين يندب طبـــعـــه
مـــاء زلالا والأفـــاعى تحـــقـــر
وكـــأنمـــا الـــسيف المـــهند فى أيا
دى ناديـــه قـــضـــيب بان أخـــضـــر
تـلك الـمـــــواهب من عنـاية ربـه
سـبـحـانـه يعطى الكثـيـر وينصر
رفع الرفــــاعىً الكبـــيـــر بفـــضله
فــــمـــا لـه بأولى الولاية مـظهــر
منن تفـــاض من الـــسمـــاء لـمثلهـــا
تعنو الرقـــاب ويخـــضع المـــتكبـــر
هذا أبو العـلمين أحـــمـــد واحـــد الـ
ـأقطاب كــوكـبـهـــا المنيـــر الأزهر
شيخ الخشـوع فتى الخضوع مـهذب
كلـمــــاته يـنـهـل منـهـــا الكـوثر
أحـيـا طريق الـصـالحـين بحكمـــة
منهـــا ينابيع الهـدى تتـــفـــجـــر

عبقت بأصناف الشذا فكأنها
روض بعطرى الحقائق مزهر
تتلى لأرباب القبول نصوصها
وترى جحاجحهم تهيم وتسكر
وإذا ترنمت الحداة بذكره
فالأسد عن رهب تغيب وتحضر
لا تلق بالا للجهول فإنه
حسدًا يقول الشمس ليل مغبر
دعه الزمان على لظى تمويهه
فحقائق الأشياء لا تتغير
وانهج طريق ابن الرفاعى الذى
آثاره رغم المكابر تشكر
علم الأئمة من بنى الزهراء بل
فلك به نمط الحسين مصور
الله كم ذكروه والألباب قد
دهشت به يومًا يرن المزهر
كم مهجة من عاشق لهبت وكم
عين كسحاح السحابة تقطر
غوث الوجود ولجة الجود التى
عنها تفجر فى البرية أبحر
لله أيامى بأم عبيدة
بربيعها والليل صاف مقمر

ورحاب أحمد بالمكارم حافل
وبه الصغير أبو الحقارة يكبر
والحال يسأل والعناية ترتجى
والفضل يهطل والمواهب تمطر
وهناك عمتنى عوارف كفه
فضلا وعُرُف لى بذاك منكّر
فغدوت من برد الحقائق كاسيا
وبسوح ذياك الحمى أتبختر
ووردت من تلك الحظيرة منهلا
وصدرت عنه بمهجة لا تصدر
وله حنانا يا هذيم ورأفة
نعم علىّ بنطق كلى تذكر
نسجت علىّ من المكارم رونقا
بعيون سادات الحظائر يبصر
هى تلك أى والله عادة روحه
ولنعم روح عزمها لا يفتر
فى حضرة الإطلاق تسرح قد جلا
برهانها المزمل المدثر
صلى عليه الله ما لمع الضحى
ودعا الإله مهلل ومكبر
والآل روح المجد والصحب الألى
ما لذ شعرى لابن ذوق يشعر

قال الإمام الشيخ ضياء الدين أحمد الوترى الشافعى قدس الله سره فى كتابه: روضة الناظرين ما ملخصه مع حفظ نصه بحروفه:

ولد سيدنا السيد أحمد المشار إليه ـ عام اثنى عشر وخمسمائة بقرية حسن من أعمال واسط، قرية محاذية لأم عبيدة بالبطائح، قرى مجتمعة حول الماء، وواسط بلدة معروفة شهيرة فى العراق اختطها الحجاج الثقفى ومصرها سنة ثلاث وثمانين، وهو يومئذ وال على العراق من قبل عبد الملك بن مروان الأموى، ثم عظم أمر واسط فى أيام الخلفاء العباسيين وأنجبت العلماء والأولياء والأمراء وأئمة الرجال والوزراء الأعاظم، توفى أبوه وهو حمل، والذى عليه الحجج الأثبات من الثقات الأحمديين ـ وهم أدرى من غيرهم ـ أن أباه قدس الله روحه توفى ببغداد حين كان مسافراً بها سنة تسع عشرة وخمسمائة، وللسيد أحمد ﷺ من العمر إذ ذاك سبع سنين، فبعد أن توفى والده نقله خاله البار الأشهب شيخ الوقت منصور البطائحى الأنصارى الحسينى، من قرية حسن هو ووالدته وأخوته إلى بلدته نهر دقلى من أعمال واسط، وكان السيد أحمد ﷺ قد أكمل قراءة القرآن العظيم حفظًا بقرية حسن، على الشيخ الورع المقرى الصالح عبد السميع الحربونى، فلما صار فى كنف خاله أخذه إلى واسط بأمر سبق له من النبى ﷺ فى منامه، وأدخله على الإمام العلامة المقرى الحجة الشيخ على أبى الفضل الواسطى ـ قدس سره ـ فتولى أمر تربيته وتعليمه وتأديبه امتثالا للأمر النبوى، فبرع فى العلوم النقلية والعقلية ومهر واشتهر وأحرز قصب السبق على أقرانه، ولا زال يعظم أمره وينمو علمه حتى تفرد فى زمانه، وكان يلازم درس الشيخ أبى بكر الواسطى ـ وهو الأخ الأكبر لأمه ـ وكان إذ ذاك المشار إليه فى وقته بين الشيوخ والعلماء ويتردد على الشيخ عبد الملك الحربونى.

قال الإمام الشيخ على أبو الحسن الواسطى الشافعى قدس سره فى خلاصة الأكسير: قرأ العلم والفنون مدة عشرين سنة حتى رجع إليه أشياخه وانعقد عليه إجماع الطوائف، وقل بتفرده فى ميدان الكمال الموافق والمخالف.

ومثل ذلك قال الإمام الرافعى فى سواد العينين وغيره، وأطنب بشأنه رجال الطبقات والمؤرخون، كلٌ على قدر فهمه وبلوغ علمه وخدمه الحفاظ الأعيان وأكابر الزمان فألفوا فى شأنه كتبًا مخصوصة عديدة تدل على علو قدره وعظم أمره، منها: ربيع العاشقين للشيخ الإمام على بن جمال الدين الحدادى الشافعى، وترياق المحبين للإمام الحافظ تقى الدين الواسطى، وخلاصة الإكسير فى نسب الغوث الرفاعى الكبير للشيخ العارف بالله على أبى الحسن الواسطى، وجلاء الصدا بسيرة إمام الهدى للإمام شيخ الإسلام أحمد بن جلال اللارى المصرى الحنفى، وأم البراهين للحافظ قاسم بن محمد بن الحجاج الواسطى الشافعى وشفاء الأسقام للقدوة الحجة إبراهيم ابن محمد بن إبراهيم الكازرونى البكرى وسواد العينين للإمام عبد الكريم الرافعى القزوينى ـ رحمهم الله أجمعين وغير ذلك مما يضيق عن ذكره هذ المختصر، وهى أشهر من أن تذكر.

وقد أجازه بعد العشرين سنة شيخه الشيخ على أبو الفضل محدث واسط إجازة أمة بجميع علوم الشريعة والطريقة وكان مع اشتغاله بالدروس والتعلم والتعليم ملازمًا خدمة خاله سلطان الرجال الشيخ منصور، فلما بلغ هذه المرتبة العلية وتبحر فى العلوم الشرعية أجازه خاله الشيخ منصوت ـ المشار إليه ـ وألبسه خرقته وأمره بالمقام فى أم عبيدة، وهى قرية مشهورة بواسط

العراق، وكانت بها قاعدة بيت الأنصار بنى النجار، آباء الشيخ منصور، وفيها رواقهم المبارك المدفون فيه جد السيد أحمد الرفاعى لأمه: الشيخ يحيى النجارى الأنصارى، والد الشيخ منصور، فأقام بها سنة، وبعد مضى السنة توفى الشيخ منصور ـ قدس الله روحه ـ وكانت وفاته سنة أربعين وخمسمائة، وللسيد أحمد ﷺ من العمر ثمان وعشرون سنة فعهد الشيخ منصور قبل وفاته بمشيخة الشيوخ وبمشيخة الأروقة المباركة المنسوبة إليه لابن أخته السيد أحمد المشار إليه، فتصدر على سجادة الإرشاد بذلك العام، وسنة خمس وخمسين وخمسمائة حج السيد أحمد ﷺ بإشارة معنوية وزار قبر جده ﷺ وأنشد تجاه القبر الطاهر:

في حالة البعد روحى كنت أرسلها
تقبل الأرض عنى وهى نائبتى
وهذه دولة الأشباح قد حضرت
فامدد يمينك كى تحظى بها شفتى

فظهرت له يد جده ﷺ فقبَّلها والناس ينظرون.

وهذه القصة تواتر خبرها وعلا ذكرها وصحت أسانيدها، وكتبها الحفاظ والمحدثون، وكثير من أهل الطبقات والمؤرخين، لا ينكرها إلا جاهل قليل الرؤية، حاسد لسلطان النبوة وظهور المعجزة المحمدية، أو معذور من غير هذه الأمة الأحمدية، على أن ظهور هذه المعجزة النبوية فى تلك الأعصار التى ظهرت بها البدع وكثرت بها الفتن وتفرقت بها الأهواء وذهب بها أهل الباطل إلى مذاهب كثيرة كالإلحاد والزندقة وغير ذلك، مما سلكه الفرق الضالة من طرق الضلالة، ما كان إلا لإعلاء كلمة الحق والشريعة والدين

على يد هذا السيد الجليل الذى اختصه الله ورسوله بهذه النعمة وأبرزه لهذه الخدمة، لعدم وجود من يماثله أو يشاكله فى ذلك القرن من الأولياء والسادات وصالحى الوقت ـ نفعنا الله بهم. اهـ.

وقد تشرفت بمدح الحضرة الرفاعية بقصيدة تحاكى أفلاذ الدرر النضيدة، أحببت أن استودعها كتابى هذا عريضة روح ترفع لذلك الجناب، وتقدم لتلك الأعتاب، وها هى:

لك الإضافات بالأسرار والنسب
ورفعة القدر والبرهان والرتب
يا أحمد القوم يا شبل الحسين ويا
من أنت للزهر من آل البتول أب
قد جئت للحسنين الأحسنين على
بعد المدى خلفًا يزهو به الحسب
وأنت للدين صبح يستضاء به
وفى سماء العلا آباؤك الشهب
مجد ترقرق فيه الفضل منهمراً
كما همت مذ طمت أنواءها السحب
يا صاحب العلمين الخافقين ويا
شيخ الفريقين يا من طوره الأدب
أنت الرفاعى مرفوع المكانة فى
آل الوصى وغوث الكون والقطب
لك النيابة عن طه الحبيب وقد
لاذت بسامى علاك العجم والعرب

تدعى ولـلنوب الدهـمـاء زمـجـرة
فـيـدفـع الله مـا صـالت به بـالنوب
والأسد ترجف فى الـغابات أن ندب الـ
ـملهـوف باسمك فى قـفر ولا عـجب
مـتـى ذكـرت وجـمـر النار ملتـهب
بقـــدرة الله ذابت وانطـوى اللـهب
والـسم يـغـدو زلالا أن دعـيت وقـد
تحلو سـمـوم الأفـاعى حـيث تنقلب
والهـنـدوانى لم يقطع وجـرحـتـه
سـحا عليـها الشـفاء المـحض ينسكب
الأولـيـاء نجـوم الأرض مـا برحـوا
وأنت شـمس سناها لـيس ينحـجب
سـبـقـتـهـم بشـئـون لا تعـد لذا
عليك سـاداتهم فـى الكون تنحـسب
وقـد لـثـمت يمـين المـصطفى علنا
والقـوم منهم هناك الـعـسكـر اللجب
فـقـبلوا منك بالـعـهـد الوثـيق يدا
منهـا عـليـهم رداء الـفـضل يـنـسحب
وأنت حـامى الحـمـا فى كـل نازلة
بهـا الـسيـوف اندهاشـا ليس تنجـذب
سلطـان غـر صـدور الأولـيـا أبو الـ
ـعـرجاء من كـشف جـهرا له الحـجب

للمرتضى الليث جحجاح الحروب على الـ
ـآل منك علا بالرفعة النسب
لك الجماد مطيع لا يضر وقد
تهتز وجدا لمعنى ذكرك القضب
والعيس إن راح يحدوها باسمك من
يحدو فلا الحمل يضنيها ولا التعب
متى ندبناك فى أمر ألمّ بنا
فالشر مبتعد والخير مقترب
أعطاك ربك أسراراً مؤبدة
موهوبة بالتمنى ليس تكتسب
عليك رضوان ربى يا بن فاطمة
ما قام فى الكون شأن أو بدا سبب
انظر إلىّ بعين كلها همم
تعطى وبالوهب من خلاقها تهب
وخذ مديحة عبد أنت سيده
وهذه لك من بعض الذى يجب

من المعلوم الذى لا نزاع فيه والمقرر الذى لا شبهة تعتريه أن سيدنا الإمام الرفاعى رضى الله عنه وعنا به قد امتن الله تعالى عليه فتفرد فى المناقب العالية والمراتب السامية والخوارق التى لا تحصى ولا تحصر والفضائل التى أشرقت فى سموات المفاخر، ودونها القمر الأزهر، وقد عده أئمة العرفاء بين إخوانه الأولياء كجده سيدنا وسندنا الحبيب المصطفى ﷺ

بين الأنبياء، وهو فـى الأولياء سلطانهم وفى الأصفياء برهـانهم وفى العرفاء مرشدهم وفى الأقطاب سيدهم، بل هو شيخ الكل، : الكل وأستاذ الجميع في العقد والحل.

قال شيخنا الفرد السـيد محمد مهدى الصيادى الـرفاعى الشهير بالرواس ﷺ يشير لرفـيع منزلة الإمام الرفاعى ـ أعاد الله علينا وعلى الـمسلمين من شريف نفحاته وبركاته:

الأوليــاء على اخـتـلاف شـئـونهم
في غـابة لأكـوان هـم أسـد الشـرى
ومـتى انتـمـيت لشيخ أم عـبـيـدة
اهدأ فكل الـصـيـد فى جـوف الفـرا

قال الإمـام قاضى القضاة أبو المـفاخر عـز الدين محمد المـعروف بابن السراج الدمشـقى الشافعى فى كتابه: تفاح الأرواح عند ذكـر الإمام الرفاعى ﷺ ملخصًا منصوصًا بحروفه:

لو شرعنا فى ذكر أحواله وصفاته وطرائقه لَكَلَّ اللسان وعجز البنان.

وقد صنف فيـها العلماء مجلدات مشهـورة، واعلم أنه من أكابر الرجال وأعيان المحـققين وصدور الصالحين وأئمة الناسـكين وقدوة السالكين، وقد أنطق الله الألسنة بأنه سيـد وأنه سلطان العارفين، له القدم الراسـخة والهمم الشامـخة والمقـامات العاليـة والرتب الساميـة إلى أن قال وهو من أعظم من خرق الله لهم العوائد وحلت إلى خلقه بواسطتهم الفوائد.

وبعد إطناب كثير قال: ولقد رزقه الله تعالى منه ما لعله لم يحصل لغيره إلا نادرًا، وأعظم تمكنه من أسراره حتى صـار فردا واردا وصادرا، وملأ الله

القلوب بمحبته وشغل الخواطر بإرادته، وطار ذكره فى الآفاق وعمر بتقديمه قلوب أهل الخلاف والوفاق، وآمال إلى جانبه ذوى الطاعة والشقاق، ونفع به العالم وجدد به أمر دين المنقطعين إلى الله، ولو شرعنا بذكر ما أعطاه الله تعالى من جميع أسباب الفضائل ووراثة المناقب لما وسعته الأوراق ولكلَّت الأقلام، كيف لا وإلى محاسن شيمه وجلائل نعوته غاية السباق ونهاية الإقدام. اهـ.

قلت: قد أطبق المؤرخون ورجال الطبقات من العلماء والصوفية ـ قدست أرواحهم ـ على أنه لم يكن لأحد فى زمنه ما له من كثرة الأتباع والمريدين، بل قالوا إن اتباعه ومريديه لا يحصى عددهم، واتفقت الكلمة على تخلقه بأخلاق النبى ﷺ وتمسكه بآثاره وانعقاد إجماع الطوائف على تقدمه وتفرده فى عصره، لما اشتمل عليه من العلم والعقل والعبادة والكمال والفضائل والمجد وعلو النسب والكرم والخوارق البيض والحكم الجليلة والطور المبارك المحمدى والشأن الرفيع والصيت الوحيد فى زمنه ﷺ.

قال الحافظ الذهبى فى مختصره حين ذكره: هو سيد العراقين الزاهد الكبير سلطان العارفين وأتباعه لا يحصى عددهم.

وقال فى خلاصة الإكسير: كانوا يسمونه قبلة القلوب لشدة ارتباط قلوب الناس به ومحبتهم له وإجماعهم عليه، وهو الحقيق بذلك، فإنه بركة العصر وإمامه ومرشده إلى الله وهاديه إلى طريقة الله وشريعة جده رسول الله ﷺ.

ذكر ابن الجوزى أنه كان عنده ليلة نصف شعبان وعنده أكثر من مائة ألف إنسان من الزائرين، وقد قام بكفاية الجميع، وفى رواقه من أتباعه

ومريديه الذين يحضرون ورده كل يوم عشرون ألفًا ويمد لهم السماط صباحًا ومساء.

هذا ما أطبق عليه الإخباريون والمؤرخون.

وتوفى عن مائة وثمانين ألفا من خلفائه وخلفائهم، كلهم من العارفين الواصلين، وقد أنبت بيته الكريم من ذريته الطاهرة من أكابر الأولياء الأئمة الأعيان، وأنجب من عقبه وأخلافه النجباء ما لا يقاس به نبات بيت آخر من منجبى السادة، وصدقه الله وعده، فإنه قال: وعدنى ربى أن ينبت فى بيتى الأولياء كما ينبت الربيع البقل.

نعم، كثر لهذا البيت الأحمدى المحمدى الحاسدون، وإن حسادهم لمخذولون، كذا جرت فيهم عادة الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وإن شيخنا خاتمة الصديقين فى عصره سيدنا السيد بهاء الدين محمد مهدى الصيادى الرفاعى المعروف بالرواس ﷺ قد خاطب حاسد هذا البيت الذى برأه الله رغم حساده من كل لو وليت فقال:

حسدت عناية الرحمن فينا
وقد أبرزت ذا الحقد الكمينا
ضلالا تجعل العرفان غيا
وجهلا تكتم الحق المبينا
رويدك أنت مفتون وأنا
شموس الأولياء العارفينا
ونحن بنو النبى بغير مين
وعين محمد ترعى البنينا

طويت بزعمك المنبت نشراً
نوافج نشره فى العالمينا
جهلت شئونا طيشًا ويوما
ستعلم حقها العلم اليقينا
مكرت بنا ومكرك فيك ماض
وحفظ الله درع المخلصينا
أقام لهم تعالى الله عزا
وأيد بالقبول المتقينا
وأعطى القوم أهل الحق نصرا
وعن كرم تولى الصالحينا
فيا من أمَّنا بالسوء مهلاً
فإن الله عون العاجزينا
عبثت بنا لتسقط من علانا
وسهم الخزى سهم الحاسدينا
وأعطانا الكريم يد المعالى
وشاد لحفظنا الحصن الحصينا
وأيدنا بنور منه يجلى
بطالعة تسر الناظرينا
أتعجب إذ يضىء لنا فخار
ويملأ بالتجلى طور سينا
ويسرى فى فجاج الكون طرا
ويلمع مشرقًا حينا فحينا

وإنــا الــزهــر مــن أبــنــاء طــه
أئــمــــتــنــا الكــرام الـطـاهـريـنـا
وإن خـــــوارق العـــــادات إرثــا
بضـــاعـــة بيــتـنـا والســـر فــيـنـا

ومـا هذه الفيـوضات السـيالة والهـمم الفـعالة إلا من عناية الله تعـالى المفاضة بواسطة رسوله سيد الوجودات حـبيبنا ونبينا محمد المصطفى ﷺ إلى روح سيدنا الإمام الرفاعى المشار إليه ـ رضوان الله تعالى عليه.

وكانت وفاته ﷺ سنة ثمان وسبعين وخمسمائة، ومرقده الشريف فى أم عبيدة بحى واسط العراق، بالقرب من البصرة المحمية.

أعاد الله علينا وعلى المسلمين من بركـاته، ونفعنا بشريف علومه الجليلة ونفحاته وحـشرنا معه تحت لواء جده علة المخلوقـين، عليه صلوات البارئ المـعين، فى كل وقت وحـين ﴿وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات